الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣١٨ - ذو الحجة ١٤٢٣ هـ - فبراير ٢٠٠٣م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 318 -FEB. 2003



سكانسن
أول متحف مكشوف في العالم



أجمل التهاني وأطيب التمنيات بالعيد السعيد

أعاده الله على الجميع بالخير واليمن والبركات

وكل عام وأنتم بخير

الفيصل
بسم الله الرحمن الرحيم
الناشر: دار الفيصل الثقافية

المحتويات

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلس ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٦٠ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٧٠ ديناراً ـ المغرب ٨ دراهم ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٨٠ ديناراً ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٣٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية ـ الشركة السعودية للتوزيع ـ هاتف ٦٥٣٠٩٠٩(٠٢)، فاكس ٦٥٣٣١٩١(٠٢)، مصر ـ مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ـ ٢٠٢..، سورية ـ المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٢٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨ـ فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ـ ١١ـ ٩٦٣..، تونس ـ الشركة التونسية للصحافة ـ ٣نهج المغرب ـ ص.ب ٧١٩ـ فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ ـ ٧١ ـ ٢١٦..، قطر ـ دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ ـ فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ـ ٩٧٤..، الأردن ـ شركة وكالة التوزيع الأردنية ـ ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ـ فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ـ ٦ـ ٩٦٢..، البحرين ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ـ فاكس ٥٣١٢٨١ ـ ٩٧٣..، الإمارات العربية المتحدة ـ مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ ـ فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ـ ٤ ـ ٩٧١..، الكويت ـ شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ ـ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ـ ٩٦٥..، المغرب ، الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ ـ ٢١٢.. ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية ـ القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ ـ ٣ ـ ٩٦٧.. فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧



سكانسن:
أول متحف مكشوف في العالم

السويدي آرتور هاسيليوس هو أول من شيّد متحفًا في الهواء الطلق ليكون نموذجًا مصغرًا يحاكي الطبيعة، وسمي هذا المتحف باسم سكانسن نسبة إلى حصن صغير. وتتميز الجزيرة التي أقيم فيها هذا المتحف بجمالها وبكونها أحد مراكز الترفيه الخاصة بالعائلة المالكة السويدية .. فما قصة هذا المتحف؟

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:
ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:
١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:
هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨

استدراك

نعتذر للدكتورة فاطمة حسن العبد الفتاح عما وقع من خطأ غير مقصود في مقالتها «جهود العلماء العرب في روسيا في القرن التاسع عشر» المنشورة في العدد (٣١٦)، إذ إن لقاءها مع المستعربة الروسية البروفسورة أولغا فرالوفا كان في عام ١٩٩٨م، وليس ١٩٨٨، كما أن حديثها في صفحة ١٩ كان عن الاستعراب الروسي وليس الاستغراب، لذا لزم التنويه.

قضايا سياسية

لقد كان من دواعي سروري أن قُدّر لي الاطلاع على مجلتكم الغراء عدد(٢٨٠) وبمحض المصادفة، وكان أن أعجبت باهتمامكم وانتقائكم لموضوعات وقضايا أدبية وعلمية وتربوية ونفسية وكذلك تاريخية واجتماعية. إن هذا التنوع الحافل والمغني في الطرح والمعالجة الموضوعية العلمية لكثير من القضايا دفعني إلى أن أتخذ قراراً بمتابعة أعداد المجلة، والحرص على اقتنائها، والتنقيب عن أعدادها القديمة لدى الأهل والأصدقاء.

وأصدقكم القول: إنني تأسفتُ كثيراً على ما فاتني من أعداد سابقة، وعلى ما تضمنته تلك الأعداد من فوائد ومعارف ولطائف نيّرة تشبع نهم القارئ، وتكفيه مؤونة البحث. ومما استرعى انتباهي في هذا العدد موضوع «الأسطورة في الرواية العبرية»، وما أحوجنا إلى التعرف إلى الأدب اليهودي واتجاهاته وروّاده في الوقت الذي يُحجم فيه كثير من المجلات العربية عن التطرق إلى مثل هذه الموضوعات وأنها في نطاق المحظور تناوله. ولا أظنكم تختلفون معي في أن الأدب والفن لا جنس لهما ولا دين ولا هوية، وآمل أن تتعرضوا في المرة القادمة لنزعة العنصرية وإحلالها في الأدب اليهودي. كما أنتهزها فرصة لأطلعكم على اقتراحي هذا: وهو أن تخصصوا زوايا من المجلة لطرح ومعالجة قضايا سياسية ورؤى تحليلية لمفكرين وباحثين حول المستجدات والأحداث العالمية والمحلية.

تمنياتي لكم بدوام التميز.

زينب البادي

تبوك - المملكة العربية السعودية.

التحرير:

الشكر لك على هذا الارتباط بمجلتك، واهتمامك بالتعليق على ما يجيء فيها، وبخصوص الاهتمام بالأدب اليهودي، فإن المجلة نشرت عدداً كبيراً من المقالات التي تناولت مختلف جوانبه، في إطار اهتمامها بالقضايا الفكرية، ومن بينها ما يتصل بالفكر اليهودي. أما الموضوعات السياسية، فيأتي تناولها من خلال اهتمام المجلة بالقضايا المعاصرة، وتطالعين في هذا العدد مقالة عما يدور في ساحل العاج.

حتى لا يندثر تراثنا

أبعث إليكم تحياتي مبدياً إعجابي بالفيصل التي هي زهرة يفوح منها شذا المعرفة، مما جعلني أتابعها منذ أعدادها الأولى، وقد أرسلت إليكم منذ أكثر من سبع سنوات اقتراحاً بتخصيص باب لتناول الصناعات والحرف اليدوية في العالمين العربي والإسلامي، لكثرة تلك الحرف، وتعرضها للانقراض بسبب التقدم العلمي. ومع أنني لست رافضاً للتطور إلا أنني أرى أنه يجب ألا ننسى الماضي، بل يجب علينا إطلاع الأجيال القادمة على تراثنا وكيفية الحفاظ على مصنوعاتنا التي كادت تندثر، وكان ردكم في ذلك الوقت أنكم معجبون بالفكرة، وتبحثون عن كتّاب يتولون الكتابة في هذا الباب وأقترح عليكم اليوم أن تتولى تحرير هذا الباب مجموعة من الكتاب وأصحاب الحرف والمهن، وأنا على استعداد للإسهام فيه إذا رأيتم ذلك؛ لأنني مهني، وأرى أن ذلك يحتاج إلى زيارة معظم الأسواق القديمة وملاقاة أصحاب المهن، ومعرفة تاريخها وأحوالها، ولكن ذلك يتطلب وجود بطاقة صحفية رسمية صادرة من المجلة لكي تساعدني وتسهل مهمتي. ولما لمسته منكم من تشجيع للمواهب أرفق لكم مع رسالتي هذه قصيدتين، آمل أن تجدا طريقهما إلى النشر، وأن توجهوني إذا لم تحظيا بالقبول؛ لأنني آمل أن أكون شاعراً أو قاصاً، وقد كتبت سبع قصص، وأرى أن إحداها تصلح أن تكون عملاً فنياً؛ لأنني بذلت جهداً في تأليفها..

فماذا يمكنني أن أفعل حتى يتحقق طموحي هذا؟

عدنان حسن بيطار

حلب - سورية

التحرير:

نشكر لك اقتراحك، ونفيدك أن المجلة تهتم كثيراً بالمهن والحرف القديمة في إطار اهتمامها بالتراث، وقد نشرت كثيراً من الموضوعات التي تتناولها في عدد من البلدان العربية، لذا صرفنا النظر عن إيجاد باب يختص بها.

ونشكر لك حسن ظنك بالمجلة، وطلبك النصيحة لتنمية مواهبك الأدبية وصقلها،

فالقصيدتان اللتان أرسلتهما تشتملان على معان جميلة، ولكنهما تفتقدان إلى الوزن والقافية، وفيهما أخطاء نحوية وإملائية كثيرة. لذلك يطلب إليك حفظ الكثير من القصائد العربية الأصيلة، مع الاطّلاع على علم العروض حتى تصقل موهبتك ،ويستقر الوزن الشعري في ذهنك، ومن ثم يمكنك كتابة الشعر، ولا تتسرع، ولكن ابدأ بالخطوة الأولى. وتستطيع أن تعرض قصصك على أحد أصحاب الخبرة ليوجهك التوجيه الصحيح، وقد يكون عملك الذي أشرت إليه على المستوى الذي ذكرته؟ أو يكون دون ذلك، في كل الأحوال ما خاب من استشار.

عتاب من القلب

إن الفيصل أصبحت المجلة المفضلة منذ أن بدأت أتابع أعدادها منذ أكثر من عامين. ومن خلال متابعتي لها، أجد أنها عندما تصل إلى المكتبات في اليمن سرعان ما تباع أعدادها موازنة بالمجلات الأخرى، ولكن هناك اقتراحات أريد أن أقولها لكم، وأرجو منكم أن تضعوها في الحسبان، وهي على النحو الآتي:

- لماذا لم يكتب عن الصحابة، وعن الفتوحات الإسلامية، ولو بشكل مختصر؟
- لماذ لم يكتب عن العصر الأموي، والعصر العباسي، وعن الولاة كل على حدة، كم حكم وكم عاش؟ تحدد صفحتان على الأقل ..
- الغزوات الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.
- المعارك التي خاضها الصحابة في الفتوحات الإسلامية.
- أيضاً لاتوجد فقرة «كلمات لها معنى»!
- كما لا يوجد مع عدد الفيصل «هدية العدد»!
- أيضًا لم تحدد صفحة لشعراء العصر الحديث مثل أحمد شوقي، وإيليا أبوماضي..!

أنتم تكتبون عن الشعر الجاهلي صفحة، فيجب أن يكتب عن الشعر الحديث صفحة، وعن قصة حياة الشاعر، ولو بشكل مختصر .. صفحتان!

والطلب المهم والأخير هو:

- عليكم أن تعالجوا التأخير في الشحن؛ لأن المجلة لم تصل إلى اليمن صنعاء إلا متأخرة جداً مما يعرقل الاشتراك في المسابقة في الوقت المناسب، ونظل ننتظر وصولها على أحر من الجمر..!

هذا ما كان يجول في خاطري، وما يعاتبكم إلا محب، وأول مرة أراسلكم، وأقدم ملاحظاتي لتكون مجلة الفيصل المستقبل الزاهر لدى القراء في جميع أنحاء العالم، ونحن معكم حتى الموت.

شايف علي سيف السبيتي

صنعاء ـ اليمن

التحرير:

نشكر لك تواصلك مع المجلة وتقديمك هذه الاقتراحات القيمة، وما اقترحته موجود بالفعل، ولكن ليس من خلال أبواب ثابتة، وإنما هناك مقالات مطولة قيمة تتناولها، وهي أكثر عمقًا من الأبواب التي تكون في العادة محدودة الصفحات ولا تعطي مجالاً للكاتب لاستكمال جوانب موضوعه، كما أن عملية متابعة الحلقات المتسلسلة أمر صعب وغير مجد في مجلة شهرية، ونكرر لك شكرنا وتقديرنا.

ردود سريعة

الأخ محمد بن أحمد ساسي ـ نابل تونس:

تطلب منا أن نعدك بأن موضوعاتك ستنشر حتى تكتب للمجلة، ومثل هذا الشرط لا يمكن أن تقبله أي دورية، بل إنه شرط مرفوض من أي كاتب مهما كان حجمه، وإذا أردت أن تجد أعمالك منشورة في «الفيصل» أو في غيرها، فعليك أن ترسل إنتاجك ليتم تقويمه، ثم تحديد مدى مناسبته للنشر.

الأخ عبدالفتاح بن يحيى ـ تونس:

نفيدك أن المجلة تهتم بإبراز التراث العلمي للأمة، وبإلقاء الضوء على إسهامات علمائها في إغناء التراث الإنساني من خلال مقالات طويلة معمقة، لذا لا نرى ضرورة لنشر مقتطفات من مآثرهم من خلال باب أو زاوية؛ لأنها لن تفيد القارئ كثيراً.

الأخ منصور سليمان عبدالله ـ تعز ـ اليمن:

يشاركك الكثيرون في الشكوى من تأخر وصول المجلة، وقد سبقت الإشارة إلى هذه المشكلة أكثر من مرة، ونعمل جهدنا على حلها بتعاون مع شركات التوزيع، ومع ذلك نطمئنك بأنه لا تأثير لهذا التأخير في وصول حلول المسابقة من الإخوة القراء في المدة المحددة.

الأخ محمد سليمان علوان الأنباري ـ بغداد ـ العراق:

نشكر لك اهتمامك بمتابعة المجلة، والمشاركة في مسابقتها، ونأمل أن تثق بأن تحديد الفائزين فيها يتم بالقرعة من دون أي تدخل، وفرص الجميع من كل الدول متساوية في الفوز، فتفاءل خيراً، لعلك تكون من الفائزين في أحد الأعداد القادمة.

سكانسن
أول متحف مكشوف في العالم

ثائر صالح
بودابست - المجر

القومية - عكس ما يتصوره الكثير منا - مفهوم حديث ظهر في أوربا في القرن التاسع عشر، بالترافق مع ظهور الفكر القومي المرتبط بتكون الدول القومية في أوربا: ألمانيا الموحدة على يد بسمارك، وإيطاليا الموحدة على يد غاريبالدي، وكانت بدايات الفكر القومي هي التي مهدت للثورات القومية التحررية التي اكتسحت أوربا في عامي ١٨٤٨ و١٨٤٩م.

ونمو الفكرة القومية دفع معتنقيها الى البحث عن جذورهم القومية؛ فبدأ البحث في الأساطير والقصص الشعبية، وتجسد ذلك في الأدب والفن، وتلقف الناس أساطير نيبلونغ وأدّا الجرمانية، وأساطير فالهالاً الفنلندية، أساطير الفايكنغ عند الإسكندنافيين، والميثولوجيا الكلتية (الأقوام الكلتية مثل الغاليين والإيرلنديين والويلزيين) وغيرها.

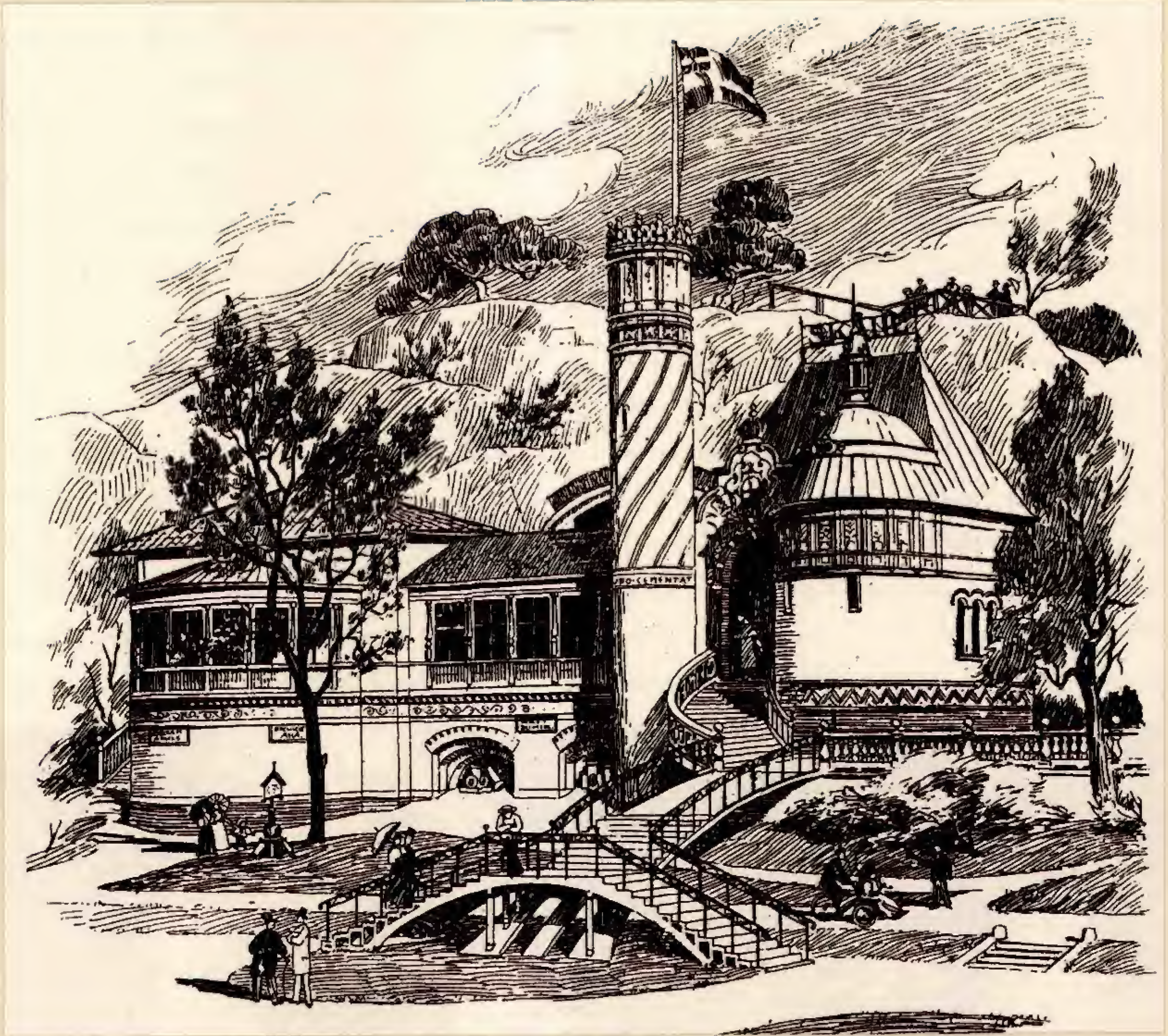
ومع ظهور الفكر القومي ظهر كذلك علم الفولكلور، أو دراسة التراث الشعبي، وبدأ الاهتمام بالصناعات والفنون



صناعة الفخار

الشعبية، خصوصًا بعد انتصار الثورة الصناعية في أوربا وتهديدها لنمط الحياة الريفية والفلاحية التقليدي بالزوال التام بعد إفقار الفلاحين أو انسلاخهم عن الأرض، وتحولهم الى عمال في المدن، مما هدد باندثار ما يعرف الآن بالتراث الشعبي الذي هو صفة مميزة لمجتمع ما قبل الصناعة.

ولهذا السبب شيدت متاحف في مختلف البلدان الأوربية خاصة بالفنون الشعبية، وذلك في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، لتجميع ما تبقى من أشياء وأدوات استعملها



سكانسن رمز لتاريخ السويد

الفلاحـون والحرفيون قـرونًا طويلة قبل أن يحكـم الإنتاج الصناعي الواسع على الحرف اليدوية بالانقراض.

غيـر أن السويدي آرتور هاسـيليوس Artur Hazelius كـان أول من شيّـد في العـام الميلادي ١٨٩١ متـحفًا في الهواء الطلق ليكون نموذجًا (مـاكيتًا) مـصغراً لما كـانت عليه الحـياة على الطبيعة، وذلك على جـزء من الجزيرة المعـروفـة باسم حـديقـة الحـيوان Djurgarden، إحدى جزر ستوكـهولم العـاصمة السـويدية. ولهذا السـبب نقل هاسـيليـوس الكثـير مـن الأبنيـة المميـزة لمختـلف الأقـاليم السـويدية، وجرى تجـميع أصناف الحـيوانات والنبـاتات التي تتمـيز بها هذه المناطق مـن دببة وأيائل وذئاب وقطط وحـشـيـة وطيـور وغـيـرهـا، ومن أصناف الشـجـر والمزروعات والخضراوات والفـواكه والأزهار، ووضعها في بيئة مقاربة لبيئـتها الأصلية. وسمّى هذا المتحف باسم سكانسن نسبـة الى حـصن صغيـر كان مـوجـودًا هناك «بالسـويدية Skans، التي تعـرّف بإلحـاق n التـعـريف، لتـصـبح Skansen». وتسـتـعـمل هـذه الكلمـة الآن في اللغـات الأوربـيـة للدلالة على المتـاحف المكشـوفـة التي تعرض العمارة والفنون والحرف الشعبية.

وتتـمـيـز هذه الجـزيرة بجـمـالهـا، وبكونهـا واحـدة من

مراكز الترفيه الخاصة بالعائلة المالكة السويدية منذ وقت طويل، وفيها علاوة على متحف سكانسن، عدد من المتاحف الاخرى وقصور للنبلاء والأمراء، مثل الكونت برنادوت، وقصور المشاهير مثل أعضاء فرقة آبّا Abba الموسيقية الشهيرة، وتوجد فيها موانئ اليخوت الفارهة، ومدينة الألعاب (تيفولي) وغيرها.

نشوء المتحف

ولد هاسيليوس في ستوكهولم عام ١٨٣٣م، وتوفي ودفن في سكانسن عام ١٩٠١م. درس في جامعة اوبسالا Uppsala الشهيرة، وحصل على شهادة الدكتوراه في اللغات الإسكندنافية. اطلع على حال الريف والمناطق السويدية في رحلات كثيرة قام بها، ورأى أن التراث الشعبي ماضٍ إلى زوال بسبب التغييرات العميقة في المجتمع وظهور الصناعة، فقرر إنشاء متحف للحفاظ على هذا التراث من الضياع.

وافتتح أول متحف للتراث الشعبي في عام ١٨٧٣م، وساهم في معرض باريس الدولي في عام ١٨٧٨م الذي فاز فيه بجائزة ذهبية للأفكار الجديدة التي حملها معه في معرضه.

وبسبب تنامي حجم مجموعة هاسيليوس التي حصل عليها بفضل دأبه وعلاقاته الواسعة مع الأقاليم، اتجه الى الملك فأقنعه بتخصيص أرض على جزيرة حديقة الحيوان لبناء متحف مكشوف، وابتدأ العمل هناك في عام ١٨٨٨م، ودام حتى عام ١٩٠٧م، بعد وفاة هاسيليوس بستة أعوام. وقد افتتح المتحف في ١١ أكتوبر/ تشرين الأول ١٨٩١م ببناية واحدة هي بناية (مورا) من مقاطعة دالَنا Dalarna الواقعة في وسط شمال السويد، الى الشمال الغربي من ستوكهولم، وكانت مساحة المتحف ٣٠ ألف متر مربع في البداية. وتنامت المساحة تدريجيًا بالحصول على المزيد من



بيت من الخشب

الأراضي، لتصل الى ٣٠٠ ألف متر مربع اليوم.

ويقول هاسيليوس: «يهدف المتحف الى أن يصبح متحفًا حيًا، متحفًا لا يعرض أبنية وأثاثًا وأدوات مختلفة فحسب، إنه يهدف إلى تقديم حياة الشعب بلمسات فرشاة رسم حية». ولهذا الغرض أصبح الاحتفال بالمناسبات المختلفة تقليداً ثابتًا في المتحف: الاحتفال بالأعياد الدينية وتقديم الفولكلور الخاص بها مثل: عيد الفصح، وعيد الميلاد، والاحتفال بالأعياد الشعبية مثل عيد منتصف الصيف (أهم عيد شعبي في السويد، ويقع في ٢١ يونيو / حزيران من كل عام، وهو أطول نهار في السنة)، وكذلك يوم اسم غوستاف (اسم الكثير من الملوك السويديين) والذي أصبح الاحتفال بيوم العلم السويدي لاحقًا، وهو يقع في ٦يونيو/ حزيران، والذي أصبح منذ عام ١٩٨٣م اليوم الوطني السويدي. وخلال هذه الاحتفالات يقام في المتحف الكثير من الأنشطة، مثل تقديم الموسيقى والرقص الشعبيين، والحرف اليدوية ويقدمها حرفيون ماهرون، وأسواق لبيع المصنوعات الشعبية، وتقديم وممارسة العادات والتقاليد الشعبية (مثل تزيين شجرة منتصف الصيف ونصبها، والرقص حولها، وتقديم المأكولات الخاصة بهذه المناسبة).

ويستحق متحف سكانسن زيارة طويلة ليوم كامل أو حتى أكثر من يوم لسعته وتنوع المعروضات فيه، وهو يعوض عن زيارة مختلف أرجاء السويد إذ يجد فيه الزائر قطعة من كل المناطق السويدية (ولايات أو محافظات أو بلديات). ويجد الزائر البنايات في سكانسن وكأنها مسكونة، إذ يعمل فيها موظفون بالملابس الشعبية المميزة للمنطقة السويدية المعنية، وبعضهم حرفيون حقيقيون يعملون في مختلف الورشات، ويصنعون الكثير من الحاجيات التذكارية ذات القيمة الفنية العالية، والتي يمكن شراؤها.

أقسام المتحف

أكثر أقسام المتحف حيوية ونشاطًا هو حي المدينة، وهو نموذج مصغر لما كانت عليه منطقة سودرمالم Sodermalm في ستوكهولم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين. وفي الواقع تطورت



الدب البني

رغبة إدارة المتحف في الحصول على البيت الذي ولد فيه هاسيليوس إلى فكرة إقامة حي للحرفيين، وتلاقت الفكرة مع قيام بلدية ستوكهولم بشراء الأبنية القديمة في جزيرة سودرمالم تمهيداً لهدمها وبناء شقق سكنية حديثة بين عامي ١٩٢٦و١٩٣٣م، فنقلت هذه الأبنية الخشبية القديمة الى سكانسن، وأعيد تركيبها في جزء صخري مشابه لطبيعة سودرمالم. ونقلت لاحقاً أبنية أخرى الى هذا الحي من مختلف أنحاء السويد تعود الى أوائل القرن العشرين. أول ما نشاهد من أبنية الحي بعد دخولنا سكانسن عند مدخل الدرج الكهربائي الذي يوصلنا إلى

مركز الحي، وهو بناية خشبية جميلة وواسعة من عدة طوابق شيدت في عام ١٨١٦م، تحتضن اليوم مقهىً ومتحفي التبغ والثقاب. ومع أن ما عرض في متحف الثقاب هذا لا يضاهي المجموعة التي يمتلكها ويعرضها متحف الثقاب في مدينة يُنشوبنغ Jonkoping في منطقة سمولاند Smaland، إلا أنه يمثل مراحل تطور هذه الصناعة التي تتفاخر السويد بها.

وبعد الصعود إلى التلة الصخرية بالدرج الكهربائي نجد في الحي نفسه بناية اسمها Stora Gun-gan، أي الصخرة الكبيرة، وهو بناية شيّدت في عام ١٨٠١م إلى الجنوب من ستوكهولم، ونقلت إلى المتحف في عام ١٩٨١م.

هذه البناية الآن مطعم جميل فوق التلة التي تشرف على جنوب ستوكهولم. ولعل ورشة نافخي الزجاج Glashyttan، والمتجر الذي يباع فيه ما ينتجه نافخو الزجاج من أكثر ورشات الحرفيين إثارة، إذ يمكن للزائر الجلوس على مصاطب خشبية داخل الورشة لمشاهدة مراحل عملية صنع مختلف المنتجات الزجاجية من كؤوس ومزهريات وتحف فنية، بدءاً من إخراج عجينة الزجاج المنصهر من الفرن حتى نفخها وتشكيلها بالشكل المطلوب حتى تلوينها وتبريدها. ويمكن شراء قطع فنية جميلة من متجر الورشة، وبأسعار معقولة.


تجليد الكتب

وإلى جوار ورشة الزجاج نجد ورشة النجارة، وهي بناية خشبية مطلية باللون الأحمر التقليدي من منطقة سمولاند Smaland جنوب السويد، كانت قد شيدت قرب شلال في عامي ١٨٩٧و١٨٩٨م، وكانت طاقة ماء الشلال تدير محاور المكائن الموجودة في الورشة قبل أن تدخل المحركات التي تدار بالطاقة الكهربائية في العقد الثاني من القرن العشرين. ويصنع في الورشة أثاث جميل من خشب البلوط ومن أخشاب أُخرى.


إحدى المزارع داخل المتحف



الغزل التقليدي

أما الورشة الميكانيكية فقد شيدت من الآجر في عام ١٨٨٩م في نورتَيلْيَه Norrtalje شمال ستوكهولم، ويتميز سقفها المشابه لأسنان المنشار بشبابيك لإنارة الورشة، وهو طراز معماري اقتبسته المعامل السويدية من إنجلترا في ثلاثينيات القرن التاسع عشر. وهناك محركان كهربائيان لإدارة محورين يحركان مختلف المكائن، مثل المخرطات والفارزات والمثاقب وغيرها بواسطة أحزمة جلدية كما كانت العادة متبعة في القرن التاسع عشر لتدوير مختلف المكائن.

وتدب الحياة في ورشة الخزافين، والبناية التي تضم الورشة جاءت من منطقة سودرمانلاند Soderman-land القريبة من ستوكهولم، وقد شيدت في بداية القرن التاسع عشر الميلادي. والخزف هو أحد أوائل المنتجات البشرية، وكان اكتشاف الخزف - أي شيّ الطين وفخره - في العصور الموغلة في القدم أشبه باكتشاف الحاسبة الإلكترونية في عصرنا هذا. فقد انتقلت البشرية بفضل الخزف من عصور ما قبل التاريخ الى العصور التاريخية التي تبدأ بها الحضارة الإنسانية. وقد عثر على خزفيات في السويد تعود إلى ستة آلاف سنة خلت. وعلى الرغم من ذلك، فأهم أدوات صناعة الخزف، ونعني بها عجلة تشكيل الخزف، لم تدخل السويد إلا في فترات متأخرة من القرون الوسطى. وكان الخزف يشكل في السابق ويشوى في الأفران التي تسخن بالخشب أو الفحم، وكثيراً ما كانت القطع الخزفية تلون وتزجج لأسباب جمالية ووظيفية، مثلاً لمنع نضوح السوائل (الماء أو الحليب أو غيرهما) من الأواني.

ويعود بيت الإسكافي إلى القرن الثامن عشر الميلادي، وهي بناية خشبية واطئة غطي سقفها بلحاء الشجر، كما هي العادة في بناء الأبنية في القرون السالفة. أما ورشة صانع الأحذية فتعود الى سبعينيات القرن التاسع عشر الميلادي.

وجُلبت بناية الخباز من ستوكهولم، ويقع الفرن الذي

يسخن باستعمال الخشب في الغرفة الرئيسة. ويشعر الزائر برائحة القرفة (الدراسين) عند دخول المخبز، ولربما يكون هذا التابل أهم ما استعمله السويديون من توابل لتطييب أطعمتهم وخاصة الحلويات والفطائر في الماضي حتى هذا اليوم.

وتذكرنا المطبعة بعصر الطباعة القديم، حيث يجري صف الحروف باليد، ثم طبع الصفحة بالكبس بعد تحبير الحروف المصفوفة. وتوجد هنا مطبعتان: الأولى صنعت من خشب البلوط القوي، والثانية من الحديد الصلب. أما الحبر فكان يصنع من زيت بذر الكتان المغلي مع النيلج (السخام). وشيدت بناية المطبعة في عام ١٧٢٥م في ستوكهولم.

وهناك في الحي حوانيت ودكاكين للصياغة والدباغة وتجليد الكتب والسراجة وكذلك صيدلية ومكتب البريد، علاوة على المقهى الذي كان المكان المفضل لطلبة جامعة الهندسة في القرن التاسع عشر الميلادي. ويقع في طرف الحي البيت الذي ولد فيه هاسيليوس عام ١٨٣٣م، وقد بني في عام ١٧٢٠م في ستوكهولم. ويلي الحي عدد من البيوت والقصور والحدائق التي تتألف من البيت الأصفر الذي كان مسكن مدير سكانسن قبل أن يتحول الى مكاتب، وقد شيده التاجر بورغمان حسب الطراز الإمبراطوري السائد وقتها في عام ١٨١٦م على أرضه الواقعة في سكانسن، وهو من الأبنية القليلة التي كانت موجودة أصلاً هناك. وهناك البناية الحمراء التي بنيت في عام ١٨١٤م لإسكان الخدم والعاملين عند بورغمان. وتوجد في هذا الجزء حديقة الروز (الجوري أو الورد الدمشقي) التي زرعت في عام ١٩٦٤م، وفيها ٥٠ نوعاً من أنواع الورد.



موسيقى شعبية

ويتميز الجزء الشمالي من سكانسن بوجود مزارع تمثل وسط السويد وشمالها. ومنها مزرعة أيلفروس التي جلبت من هيريدالن Harjedalen على الحدود مع النرويج التي اعتمد سكانها على تربية الحيوانات والزراعة الصيفية، وكذلك جمعوا منتجات الغابات، ومارسوا الرعي وصيد الأسماك والحيوانات البرية. ونجد هنا دار بولنيس من منطقة هيلسنغلاند Halsing-land على البحر. والدار في الأصل بيتان بنيا في القرن السابع عشر وربطا بعضهما ببعض في أواخر القرن الثامن عشر. أما برج هوخيو Hasjo فهو نسخة من برج كنيسة في يمتلاند Jamtland شمال غرب. ونجد أيضاً كوخ الحطابين (العاملين في الغابة) من هيلسنغلاند Halsingland، والغابات واحدة من أهم الثروات الطبيعية في السويد، إلى جانب البحيرات والمياه النقية. وهناك أماكن لصناعة الكتان الذي يعامل بمكائن تدار بدولاب ناعور على شلال صغير، ولصناعة الجوخ (بيز) من الصوف.

وتتميز مزرعة مورا (من منطقة دالنا Dalarna، شمال غرب ستوكهولم) بأكواخها التي تعود إلى القرن الثامن عشر، التي غطيت سقوفها بلحاء أشجار الحور، وهي شجرة تكثر في السويد. وتوجد ضمن مزرعة مورا ما يعرف ببيت مورا، وهو أول بناية نقلت إلى سكانسن، وتعود إلى القرن الثامن عشر. ثم نصل الى أقصى الشمال، فنجد مخيم السامي Samevistet، والسامي أو (اللاب) Lapp هو شعب يقطن في الجزء الشمالي من سكندنافيا، في الدائرة القطبية الشمالية. وعاش السامي حياة بدوية، وكانوا يربون غزال الرنه وحيوانات أخرى للاستفادة من منتجاتها مثل الحليب واللحم والفراء، علاوة على استخدامها للجر.

أما مخزن فاستفايت Vastveit فهو من أكثر الأبنية إثارة، فهو البناية الوحيدة التي جلبت من خارج السويد، من تلمارك في النرويج ، وكانت النرويج وقتها متحدة مع السويد، وهي أقدم بناية خشبية في سكانسن، إذ شيدت



صناعة الدهان الأحمر

في القرن الرابع عشر، وترتفع عن الأرض بنحو نصف متر، فقد استعمل صخر أصم كقوائم استندت إليها. وزينت واجهتها بنقوش خشبية جميلة، وغطي سقفها بلحاء الشجر. وهي أشبه ببيوت الساحرات التي يسمع عنها الأطفال في القصص والحكايات.

ونصل إلى الجزء الخاص بالحيوانات الإسكندنافية (النوردية) مثل أحواض الفقمات، وهناك ثلاثة أنواع منها أكبرها الفقمة الرصاصية، وتعيش في بحر البلطيق، ويمكنها الغوص الى عمق يصل نحو ١٠٠ متر. ونجد أحواض القندس الذي يعيش على ساحل البحر أو ضفاف الأنهار والجداول، وهو حيوان يوشك على الانقراض في السويد. ويعيش الدب البني في شمال السويد، وهو أكبر حيوان هناك، إذ يصل وزن الذكر إلى ٣٥٠ كيلوغراماً. وتوجد حيوانات أخرى مثل:

الثعالب، والذئاب والقطط الوحشية، والثور الوحشي، والطيور البرية مثل البوم. ويحتل هذا الجزء أكثر مناطق سكانسن ارتفاعاً.

ويجد الأطفال متعة في الجزء المسمى سكانسن الصغيرة، حيث يمكنهم اللعب مع الحيوانات الداجنة مثل: الدجاج، والخراف، والأرانب، والبط، وغيرها. وبقرب هذا الجزء نجد برج بْريدابْلِك Bredablick، وهو بناية من الآجر بست طبقات، وفي طابقه الرابع مقهى بسيط، لكنه يوفر منظراً بانورامياً رائعاً للجزيرة وستوكهولم. وأمام البرج مجموعة من الألعاب التي يهواها الأطفال.


الطباعة وصف الحروف

وتحوي سكانسن الشرقية المستوطنة الفنلندية، وقد جلبت أبنيتها من غابات فيرملاند Varmland غرب ستوكهولم عند الحدود مع النرويج، حيث هاجر الكثير من الفلاحين الفنلنديين إلى أواسط السويد، وذلك منذ أواخر القرن السادس عشر هرباً من قسوة نبلائهم، ومن غزوات الروس، ومن المواسم السيئة.

وسكن الفنلنديون في مناطق فيرملاندVarmland ودالَنا Dalarna وهيلسنغلاند Halsingland، وقد دعمت الدولة السويدية وقتها تحويل الغابات إلى مناطق زراعية، وترافق ذلك مع ازدياد الطلب على الخشب والفحم بسبب تعاظم إنتاج الحديد في تلك المناطق. وكانت خامات الحديد متوافرة في مناطق دالَنا Dalarna وفيستمانلاند Vastmanlandوفيرملاند Varmland وكذلك أوبلاند Uppland. وبدأ انتاج الحديد مبكراً في القرون الوسطى، واستمر حتى منتصف القرن التاسع عشر. وانتشر تعدين النحاس في هذه المناطق أيضاً لوجود خامات النحاس كذلك. واشتهرت مدينتا فالون وآفستا (في منطقة دالَنا) بصناعة النحاس. وفي آفستا منطقة تسمى كوبّردالن (وادي النحاس)، أما اليوم فتشتهر المدينة بصناعة صفائح الفولاذ المقاوم للصدأ.

ونجد هنا كوخ الجندي الذي بني في نحو عام ١٨٠٠م، وجلب من كالمار في منطقة سمولاند Smaland جنوب السويد. وقد انتشرت هذه الأكواخ في القرى السويدية، وكان الجنود يسكنونها وعوائلهم، ويفلحون قطع أرض صغيرة، وقد يحتفظون ببقرة. وهم لا يرتدون بزاتهم العسكرية إلا عند ذهابهم إلى الحرب أو بمناسبة التدريبات العسكرية.

وهناك بناية قاعة القرية أو بيت الشعب Folkets Hus التي بناها الشباب الاشتراكي الديمقراطي في عام ١٩٠٨م في رانسِيتر (منطقة فيرملاند Varmland عند الحدود مع النرويج) لإقامة الحفلات وللقاء الناس. وكانت الحركة الاشتراكية الديمقراطية أقوى حركة سياسية في السويد ولا تزال.

ونجد في سكانسن الجنوبية أبنية جلبت من مناطق جنوب السويد، من منطقة سكونا Skana الزراعية على الخصوص. لكن أهم ما فيها هو مثوى آرتور هاسيليوس بالقرب من مزرعة سكونا حيث دفن في عام ١٩٠١م.



من الحرف اليدوية داخل المتحف

أخيراً نصل الى سكانسن الوسطى، وفيها طاحونة هوائية تعود إلى عام ١٧٥٠م، وكنيسة خشبية شيّدت في عام ١٧٢٠م، وورشة حدادة تعود إلى بداية القرن التاسع عشر. ويتميز قصر سكوغاهولم الريفي بين المعروضات بأبنيته الواسعة وأثاثه، وجلبت البناية الرئيسة فيه من منطقة نَيرْكَه Narke غرب ستوكهولم. وقد بنيت في عام ١٦٨٠م، أما الأجنحة فمن منطقة سمولاند، وهي مطلية بالطلاء السويدي التقليدي الأحمر المعروف بأحمر فالون «نسبة الى مدينة فالون في منطقة دالَنا وسط شمال السويد». وتوجد المكتبة في الجناح الغربي، وكذلك غرفة الخزف الصيني.

يبقى أن نذكر معرض الأسماك الموجود في يسار المدخل الرئيس للسكانسن، وهو ملك خاص، والدخول إليه يتم ببطاقة إضافية، ويمكن مشاهدة الأسماك والزواحف المتنوعة فيه في بيئة تكاد تكون بيئتها الأصلية.

طلاء فالون الأحمر

حيثما تذهب في السويد، في الريف أو المدن، تجد الأبنية الخشبية (والخشب هو مادة البناء التقليدية لوفرتها) مطلية بطلاء أحمر قاتم تتميز بها. كان الطلاء يصنع في الماضي من غلي خليط طحين الحنطة وبلورات كبريتات الحديدوز Ferrous sulphate وصبغة أوكسيد الحديد Ferric oxide الحمراء في الماء. وهذه المواد نتاج عرضي في صناعة النحاس التي اشتهرت بها مدينة فالون، ومن هنا اكتسب الصباغ اسمه. عند دهان البيوت بهذا الطلاء القاتم يتشرب الخشب به، ويساعد ذلك على حمايته من التلف والتأكّل. وكان استعمال هذا الطلاء حصراً على الأثرياء في الماضي، وبدأ العاملون في المناجم باستعماله في القرن الثامن عشر لطلاء بيوتهم، ولم ينتشر بشكل واسع في الريف إلا في القرن التاسع عشر حتى أصبح مميزاً للريف السويدي في القرن العشرين وحتى هذا اليوم.

إحياء تراث أوزبكستان بين الأمس واليوم

محمد البخاري - عبدالله عبدالستاروف
طشقند - أوزبكستان

تملك جمهورية أوزبكستان اليوم ثروة كبيرة من المخطوطات الإسلامية التي خلَفها أجداد الشعب الأوزبكي الكبار. وهي المخطوطات التي تُتابِع دراستَها اليوم وبجدارة الطاقات العلمية المتخصصة في الدراسات الإسلامية والعربية، والفارسية، والتركية، والهندية، والصينية، تلك الطاقات التي تتمتع بخبرة طويلة في مجالات دراسات التراث الأدبي الإسلامي ومخطوطاته القيمة، إذ يعدّ موضوع دراسة المخطوطات الإسلامية الثمينة وتحقيقها، من أولويات أعمال متابعة دراسة الثروة الكبيرة التي تملكها أوزبكستان من مخطوطات وتحقيقها.

وتحفظ تلك المخطوطات القيمة في الوقت الراهن بمكتبة الإدارة الدينية في الجمهورية، ومكتبات مؤسسات التعليم العالي، ومراكز البحث العلمي في الجمهورية، ومن بينها معهد أبي ريحان البيروني للاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الأوزبكستانية، وجامعة طشقند الحكومية للدراسات الشرقية، والجامعة الإسلامية الحكومية، والجامعة القومية الأوزبكية، وغيرها من مؤسسات التعليم العالي ومؤسسات البحث العلمي، إضافة إلى المتاحف المنتشرة في أنحاء مختلفة من الجمهورية.

خلفية تاريخية

ومن المعروف أن عملية دراسة المخطوطات الإسلامية في أوزبكستان كانت قد بدأت إبان فترة الحكم الاستعماري السوفييتي في الثلاثينيات من القرن العشرين. وخلال تلك الفترة بدأت عملية حفظ بعض تلك المخطوطات في المكتبة العامة بطشقند، أما بدايات أعمال الوصف العلمي للمخطوطات فقد كانت خلال تلك الفترة، واستمرت حتى عام ١٩٤٣م، إذ تم إنجاز فهارس للمخطوطات المحفوظة في المكتبة العامة صدرت في أربعة مجلدات. نشر المجلد الأول منها عام ١٩٥٢م، والمجلد الرابع في عام ١٩٥٧م. واستمر إصدار سلسلة الفهارس بعد تأسيس معهد الاستشراق الذي تم فيه إعداد سبعة مجلدات أخرى من فهرس «مجموعة المخطوطات الشرقية»، وتم إصدار المجلد الأخير الحادي عشر في عام ١٩٨٧م. وشملت المجلدات التي صدرت



الانتماء الإسلامي مجسد في مساجد أوزبكستان

وصوفًا لـ ٧٥٧٤ مخطوطة، من بينها أكثر من ٣٠٠٠ مخطوطة أصلية تتضمن نحو ٤٠٪ باللغة العربية، و٤٠٪ باللغة الفارسية و٢٠٪ باللغة التركية.

وقامت بالدراسات الوصفية مجموعة كبيرة من المتخصصين أمثال: سيمينوف، وفورونوفسكي، وأورونباييف، وإيبيفانوفا، وجليلوفا، وأدنالوف وبيلياييف، وبيتغير، وجوكوف، وكونونوف، وميكلوخو- ماكلايا، وساليه، وسمير نوفا، وتفيريتينوفا، وتشخوفيتش، وشميدت، وعبداللاييف، وعبدالصمادوف، وعزيز زاده، وعظيم جانوفا، وأكمالوف، ووهابوفا، وولدانوف وفولوشينا، ودوبروفسكايا وزافادوفسكي، وذو ننونوف، وقاضي بيردوف، وقيوموف، ومنيروف، ونعماتوف، وبولياكوفا، وريزاييف، وتاللاشوف، وحمراييف، وحكمة الله ييف، ويوسوبوفا، وغيرهم. ولكن هذا المشروع العلمي الكبير - مع الأسف الشديد - توقف عن العمل منذ عام ١٩٩٠م، بسبب الصعوبات المالية التي لم يزل يعانيها هذا المشروع الكبير حتى الآن.

ورافق صدور سلسلة فهارس «مجموعة المخطوطات الشرقية»، إصدار مجموعة من الفهارس المتخصصة، تضمنت وصفًا لمخطوطات علماء مسلمين كبار أمثال عبدالرحمن جامعي(١)، وعلي شيرنوائي(٢)، وخسراو دهلوي(٣)، وأبي نصر الفارابي(٤)، وأبي علي بن سينا(٥)، وتم كذلك إصدار فهرس خاص للمؤلفات التي تناولت تاريخ مرحلة الاحتلال الروسي لآسيا المركزية (تركستان الروسية)(٦)، وآخر فهرس منها خصص للمؤلفات التي تناولت تاريخ الطريقة الصوفية النقشبندية(٧).

جهود متصلة

كما جرت بعض المحاولات لإحياء هذا المشروع الكبير بعد الاستقلال بهدف متابعة إصدار «مجموعة المخطوطات الشرقية»، بالتعاون مع المستشرق الألماني البروفيسور يو. باولا، وجمعية التعاون التقني الألمانية، وجامعة مارتين لوتير بمدينة هالليه، وبعض الجهات الأخرى، لم تؤدّ كلها إلى نتائج ملموسة. ومع ذلك فقد جرت محاولات أخرى ناجحة بالتعاون مع متخصصين من دولة



ثروة هائلة من المخطوطات في أوزبكستان

الإمارات العربية المتحدة صدر نتيجة لها فهرس للمخطوطات باللغة العربية(٨)، وبالتعاون مع متخصصين إيرانيين أسفرت عن إصدار فهرس واحد عن المخطوطات التاريخية باللغة الفارسية (٩). وكان آخر ثمار العمل المشترك إصدار «المعجم المفهرس للمخطوطات العربية والإسلامية في طشقند عاصمة جمهورية أوزبكستان»، في أحد عشر مجلداً ببيروت، بإسهام من مؤسسة كاللو هولدينغ التي يملكها المستثمر اللبناني مروان كاللو، ولها استثمارات في أوزبكستان في الوقت الحاضر(١٠).

وكان هذا العمل الكبير، الذي ترجمه إلى اللغة العربية مجموعة من المستعربين الأوزبكستانيين أمثال : أ. د. نعمة الله إبراهيموف، وأ. د. تيمور مختاروف، ود. راميل شاكيروف، ثمرة جهود متواصلة استمرت نحو نصف قرن من الزمن. تضمن العمل وصوفاً للمخطوطات، تشمل عنوان المخطوطة واسم مؤلفها، وملخصاً عن محتواها وتاريخها، واسم ناسخها مع تاريخ النسخ. وشملت أبواب المجلدات العناوين الآتية:

المجلد الأول: تاريخ الطبري، ومروج الذهب ومعادن الجوهر، والكامل في التاريخ، وعلم الأنساب، وتاريخ إيران، ومراسلات رسمية، ورحلات ومذكرات، وقواميس تعليمية، وقاموس عربي طاجيكي، وعلم الفلك والعلوم الطبية، والوافي في النحو وفهرس بأسماء النساخ.

المجلد الثاني: مخطوطات أدبية ونثرية،

وقصيدة «بانت سعاد»، والعقد الفريد، وشاه نامه، والقصيدة النفسية، ورباعيات عمر الخيام، وديوان خاقاني، ومجنون ليلى.

المجلد الثالث: مخطوطات فلسفية، وفي التصوف، وأرسطو طاليس، ونوادر وحكم تنسب إلى أفلاطون، ورسالة جواز السائرين، وشجرات النسب، وسلسلة الأولياء، ورسائل منوعة، ومقامات.

المجلد الرابع: قصص الأنبياء، والسيرة النبوية والجغرافيا، وسير حياة عدد من الأعلام، وفي الأدب الرفيع، وفي الأدب الشعبي، ورسالة في الحروف ومعانيها، وفي علم النبات والحيوان، ومئة سؤال طرحها أعرابي، وتفسير بعض السور القرآنية، وبعض قواعد الهمزة، ورسالة في إثبات النبوة.

المجلد السادس : زبدة التواريخ، والجغرافية التاريخية، وعلم الهيئة، ورسائل في الطب، وقصائد وغزليات، وفي التعليم، والقرآن الكريم:



مراكز متخصصة في أوزبكستان لحفظ المخطوطات

الشريفة، وغزوات النبي صلى الله عليه وسلم، والمعراج، والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، والقران الكريم: تفسيره وقراءته، والحديث النبوي الشريف وشرحه، وسير الفقهاء وفتاوى في الإرث والصيام والزواج وغيرها.

المجلد الخامس: تاريخ الطبري، وشجرات سلسلة النسب، وتاريخ آسيا الوسطى، وتاريخ الهند، وتاريخ تركستان الشرقية، وكتب في السير والتراجم، ومؤلفات في التاريخ نصوص وقراءة، والتحفة المرسلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

المجلد السابع: روضة الصفاء في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء، وشجرة نسب ملوك خوارزم، وتاريخ خوارزم، وفي الأدب والشعر، وقصة يوسف وزليخا، ودواوين شعر، وفي العلوم الخفية، ورسائل في الطب، وفي تفسير القرآن الكريم، وفي التصوف.

المجلد الثامن: تاريخ الطبري، ونظام التواريخ،

وفي تاريخ الهند، وفي سير وتراجم الحياة، وعجائب البلدان، وفي الرسم والخط.

المجلد التاسع: التاريخ، ومذكرات ورحلات، وسير ذاتية، والأدب الروائي، ونظرية الأدب، والإنشاء، والقواعد، والطبيعيات، وعلم التنجيم والفلك، وعلم الحيوان، والفيزياء، وعلم المعادن، والعلوم الدفينة، والطب، والجغرافيا، وعلم الفضاء، والفلسفة، وتاريخ الدين الإسلامي، والمذهب الصوفي، والطقوس والأدعية، والمراسلات.

المجلد العاشر: التاريخ والعلوم المتقاربة، وجامع التواريخ، وتاريخ آسيا الوسطى، وتيمور نامه، ومراسلات، وعلم القواميس، والمعجم الرشيدي، ونظم الشعر، والظواهر الطبيعية، والطب البيطري، وفي الفقه.

المجلد الحادي عشر: الجزء الأول: عجائب القصص، وتاريخ آسيا الوسطى، وتاريخ تركيا، وتاريخ الهند، ووثائق رسمية، والعلوم الطبيعية، وعلم الفلك، والبيطرة، وعلم المعاجم، وتفسير القرآن الكريم.

الجزء الثاني: المذاهب الإسلامية، وعلم الدين الشفهي، وتحفة السلطان، والشعائر الدينية، والتصوف.

ومن نظرة متفحصة للموضوعات التي تناولتها المخطوطات الآنفة الذكر في المجلدات الـ ١١ من المعجم، نرى أنها تناولت جميع المجالات العلمية المعروفة آنذاك وهي: التاريخ، وتاريخ الأديان، والفلسفة، وحكايات الرحالين، وتراجم، ورسائل، ونظرية اللغة والأدب، والعلوم الحية كالرياضيات، والفلك والفيزياء والكيمياء، والمعادن، وعلم الحيوان، والطب، والجغرافيا، والكون والفنون، كالموسيقى، والخط العربي، والحرف اليدوية، والرياضة، والشعر، والنثر، والتراث الشعبي (الفلكلور)، والتصوف، والموسوعات إلخ.

دراسة وتحقيق وليس استشراقًا

ويعدّ الباحثون العلميون ما يقومون به اليوم دراسة وتحقيقًا لتراث أجدادهم، وليس استشراقًا، كما تشير المراجع الروسية ولم تنحصر تلك الأعمال في دراسة في التراث الغني لعلماء ما وراء النهر طوال فترة الاحتلال الروسي والسوفييتي من بعده، وفق المدخل العلمي للاستشراق الذي خدم المصالح الاستعمارية الروسية، والتي قام بها مستشرقون روس قدموا لطشقند خصيصى لهذا الغرض، وعمل معهم مستوطنون من أبناء القوميات الأخرى في الإمبراطورية الروسية المترامية الأطراف حينها. وكان الهدف الأساسي للدراسات التي قاموا بها آنذاك التعرف إلى عادات الشعوب المحتلة وتقاليدها ونقاط ضعفها لتسهيل مهمة السيطرة عليها، وحكمها، ونهب خيراتها، وسلب ثقافتها وتاريخها. بل كان التوجه عكس ذلك تمامًا بعد أن تغير الوضع منذ دخول أبناء المنطقة عالم الدراسات «الشرقية» حتى خلال الحكم السوفييتي، وتبدلت معها واختلفت نظرتهم تمامًا عن نظرة المستشرقين الروس، حتى في فهم مصطلح «الاستشراق» بحد ذاته. فهم عندما تناولوا بالبحث المخطوطات التراثية القديمة، فقد تناولوا أعمال علماء كبار من أجدادهم المسلمين الذين حملوا يومًا ما عبء التقدم الحضاري في العالم الإسلامي وخدموا الإنسانية جمعاء. وزاد هذا المفهوم وضوحاً بعد استقلال جمهورية أوزبكستان

جاءت الدراسات والبحوث مختلفة تمامًا عن دراسات الفترة الاستعمارية التي خضعت لها آسيا المركزية، فأخذت تلقي الضوء على الحقائق التاريخية وعلى تاريخ العلوم والثقافة

عام ١٩٩١م، وأصبحت تلك الكنوز العلمية التي حفظها القدر من التلف والضياع، الشاهد الحي والملهم ليس لإعادة كتابة تاريخ أوزبكستان وحسب، بل وآسيا المركزية، وأنحاء كثيرة من العالم الإسلامي المعاصر، وتنقيته من الشوائب والتحريف الذي لحق به خلال فترة عصيبة تعرضت لها الشعوب المحتلة في المنطقة وتعرض خلالها تاريخهم إلى كل أنواع البلع والاستيعاب والتزييف، وطمس الشخصية والذات القومية والثقافية.

وجاءت الدراسات والبحوث، كما يثبت الواقع اليوم، مختلفة تمامًا عن دراسات الفترة الاستعمارية التي خضعت لها آسيا المركزية، فأخذت تلقي الضوء على الحقائق التاريخية وعلى تاريخ العلوم والثقافة التي عاشها هذا الجزء الكبير والمهم من العالم الإسلامي حتى مطلع القرن العشرين، من خلال التعليقات العلمية والشروحات الوافية لمضمون التراث الغني الذي تحفظه صفحات المخطوطات التراثية، وتدقيق الترجمات والنصوص النقدية، وتحقيق التراث في العلوم الحية التي كتبها الخوارزمي، والفارابي، والبيروني، وابن سينا، وألوغ بيك وغيرهم من كبار العلماء المسلمين في محاولة جادة لإعادة كتابة تاريخ المنطقة من منظور جديد يعتمد الأساليب العلمية الموثقة ابتداء من المصادر المبكرة التي تتحدث عن تاريخ نشر الدين الإسلامي الحنيف في ما وراء النهر (آسيا المركزية اليوم)، وبالتحديد مخطوطتا «تاريخ الطبري»، و«تاريخ بخارى» نارشاهي. إضافة إلى المخطوطات التي كتبها مؤلفون عاصروا الأمير تيمور والتيموريين من بعده، وصولاً إلى المخطوطات التي تتحدث عن تاريخ «الخانيات» الإمارات الثلاث «قوقند، وخيوة، وبخارى» حتى نهاية القرن ١٩، وإصدارها في سلسلة خاصة، إضافة إلى السلاسل الأخرى التي تتحدث عن تاريخ الأدب، والفن، والجغرافيا، ومذكرات الرحالين وغيرها من المخطوطات، مع متابعة إصدار الفهارس الموضوعية للمخطوطات الإسلامية التي صدر منها حتى الآن مجلدان: الأول: وتضمن مخطوطات في التاريخ(١١)، والثاني: وتضمن مخطوطات في العلوم الحية(١٢).



إعادة فتح المساجد بعد الاستقلال

مسؤولية من ؟

وتبقى التساؤلات الأكثر أهمية هنا على من يقع واجب متابعة تلك الدراسات التي يقوم بها العلماء في أوزبكستان؟ وما الدور الذي يجب أن تؤديه المؤسسات العلمية ومراكز البحوث والعلماء في العالمين العربي والإسلامي؟ وهل يجوز أن تقوم أوزبكستان الفتية التي لم تكد تجاوز العقد الواحد على استقلالها وحدها بتمويل مشروع حضاري كبير لا يخص أوزبكستان وحدها، بل العالمين العربي والإسلامي، بل الحضارة الإنسانية بأكملها؟

وللإجابة عن جزء بسيط من تلك التساؤلات، نقول يخطئ من يظن أن أوزبكستان ستفرط يوماً ما بهذا الكنز الكبير الذي خلّفه للإنسانية أجدادهم البررة، ويخطئ من يظن أن علماء أوزبكستان سيتهاونون في المحافظة على ذلك التراث الغني، ودراسته ونشره ليكون في خدمة الأجيال الصاعدة والإنسانية جمعاء نقيًا صافياً من الشوائب في عصر العولمة الثقافية وتداعياتها، وخاصة بعد أحداث سبتمبر/أيلول عام ٢٠٠١م، في الولايات المتحدة، والتي رافقها هجوم شرس تقوم به بعض الجهات المشبوهة، وتتعرض فيه للإسلام والمسلمين في العالم. والإسهام بنظرنا يمكن أن يكون في التعاون العلمي الصادق والمشترك بين المؤسسات العلمية الحكومية أولاً، وشبه الحكومية ثانيًا، في الدول المعنية للقيام بالدراسات والأبحاث العلمية المشتركة، وتبادل الباحثين العمليين، وفي التمويل المشترك. فإمكانات بعض الدول أكبر من إمكانات بعضها الآخر، وهذا ليس بسر والقاعدة العلمية التي تملكها أوزبكستان، على الرغم من حاجتها إلى بعض التقنيات الحديثة يمكن أن يحسدها عليها بعضهم الآخر، ولكن علماءها لا يحتكرونها عن الآخرين. وبالحوار الثقافي الصادق بين الأمم، وهو الحوار الذي يتم عن طريق احترام ثقافة الآخر وتطلعاته الثقافية القومية، تكون العولمة الثقافية في عالم متعدد الثقافات يثري ويغني بعضها بعضاً، لا في عالم تفرض فيه ثقافة الأقوى، وتطمس وتحرف فيه ثقافة الضعيف اليوم، القوي بالأمس. والحقيقة أن الرد الحقيقي على ذلك هو في العمل الجاد لا بالتمنيات وحدها.

تاريخ وإبداع

وإذا ألقينا نظرة موضوعية على ماضي الشعب الأوزبكي فإننا نرى أنه كان تاريخ إبداع وسعياً حثيثًا في طلب العلم والتطلع إلى الحرية، على الرغم من الظلم والاستبداد الذي عانى منه أكثر من قرن من الاحتلال والتبعية الثقافية والسياسية والاقتصادية، ومع ذلك بقي على تطلعه نحو التقدم والسعي إلى النور من الأزمنة المظلمة التي عانى منها سابقًا.

ومعروف أن أجداد الشعب الأوزبكي كانوا شعلة حملوا راية العلوم الدينية الإسلامية منذ فجر الحضارة الإسلامية، وأدوا دورهم التاريخي خير أداء في تقدم البحوث الدينية الإسلامية خلال القرون الوسطى. وبفضلهم عاشت ما وراء النهر عصرها الذهبي ضمن الحضارة الإنسانية. ومن بين أولئك الأجداد البررة أسماء ذاع صيتها في العالم أجمع، من بينها إمام المحدثين محمد بن إسماعيل البخارى (ت٨٧٠م)، وأبوعبدالله الخوارزمي (ت٩٩٧م)، وأحمد بن محمد الفرغاني (٧٩٧ /٨٦٥م)، وابو ريحان البيروني (٩٧٣ـ١٠٤٨م) والكثيرون غيرهم.



رسم متخيل لابن سينا

ومنذ فجر الاستقلال تمت، وبرعاية من الدولة، خطوات كبيرة على طريق إحياء علوم الدين الإسلامي الحنيف، وتم تحقيق عدد من الكتب وترجمتها وطباعتها والتي كانت محرمة في العهد

الشيوعي لأئمة كبار، وقدمت للقارئ الأوزبكي (١٣). وأعيد فتح آلاف المساجد، وعدد من المدارس الإسلامية، وتم بناء الجديد منها. وبرعاية من الدولة بدأ العمل على إحياء التراث الديني والعلمي الغني للأجداد البررة للشعب الأوزبكي، ودراسته وتحليله وتطويره واستخلاص العبر من نتائج دراسته.



أجداد الشعب الأوزبكي كانوا شعلة حملوا راية العلوم الدينية الإسلامية

أشهر أئمة الحنفية في ما وراء النهر خلال الفترة من عام ٦٩٩ حتى عام ١١٩٧م(١٤)

- أبو حنيفة.
- محمد بن الحسن الشيباني.
- أحمد بن حفص أبو حفص الكبير البخاري.
- عبدالله بن محمد بن يعقوب بن الحارث السيبذاموني.
- أبو بكر محمد بن الفضل.
- أبو علي الحسين بن الخضر النسفي.
- شمس الأئمة الأكبر أبو محمد عبدالعزيز الحلوائي.
- شمس الأئمة أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي.
- أبو حفص عمر بن علي بن الزاندرامعيشي.
- أبو حسن علي بن أبي بكر بن عبدالجليل الفرغاني المرغيناني.

ومن بين الدراسات القائمة اليوم في التراث الإسلامي دراسات تناولت بالبحث والتحقيق أعمال فقهاء الحنفية في ما وراء النهر، ومن بين أولئك الأئمة: عبدالعزيز الحلوائي(ت١٠٥٦م)، وشمس الأئمة السرخسي (ت١٠٩٤م)، وفخر الإسلام علي البزدوي (ت١٠٨٩م)، وأبو اليسر البرزدوي (ت١١٠٠م)، وأبو المعين النسفي(ت١١١٤م)، وعلاء الدين السمرقندي (ت١١٤٤م)، وعلاء الدين الكاساني (ت١١٩١م)، وبرهان الدين المرغيناني (ت١١٩٧م).

وكان شمس الأئمة أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي الحنفي من الشخصيات الفاضلة التي تركت تراثًا لا يقدر بثمن (١٥)، وهو أحد الأئمة الكبار وصاحب حجة، وعالم وفقيه ومجتهد في أصول الدين الحنيف (١٦). وانطلقت الدراسات الحديثة لتراثه الديني وحياته ونشأته من حقيقة قلة الدراسات المنجزة عنه، وكان لابد من التعمق في دراسته بصورة متكاملة لتستفيد الأجيال الناشئة من تراثه الديني الغني(١٧).

وقد ولد الإمام الفقيه شمس الأئمة أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي الخنفي نحو عام ١٠٠٩م، بمدينة سرخس، ونسب إليها. وكانت ما وراء النهر آنذاك تحت حكم القره خانيين (٩٩٩ - ١٢١٢م)(١٨). وسافر إلى مدينة بخارى طلبًا

للعلم، وتلمذ للإمام شمس الأئمة عبدالعزيز الحلوائي (١٩)، حتى أتم تعليمه على يديه، ولقب بلقبه. وكانت بخارى آنذاك مركزًا من مراكز العلم المهمة في العالم الإسلامي، ويقصدها طلاب العلم من مختلف دول الشرق الإسلامي في القرون الوسطى.

وأخذ الإمام محمد السرخسي من شيخه الحلوائي علم الحديث، وروى عنه الأحاديث الكثيرة، وتفقه على يديه أبو بكر محمد بن إبراهيم الحصيري (ت١١٠٦م)، وأبو عمرو عثمان بن علي البيكندي (ت١١٥٨م)، وأبو حفص عمر بن حبيب جد صاحب «الهداية»، وبرهان الأئمة عبدالعزيز بن عمر بن مازه (ت١١١١م)، ومحمود بن عبدالعزيز الأوزجندي، وركن الدين مسعود بن الحسن وغيرهم(٢٠).

وقد أمضى السرخسي خريف عمره في مدينة بلخ، حيث كان يقصده طلبة العلم ليأخذوا منه علم الفقه وأصوله والحديث وعلم التفسير. ونجد في المراجع المتوافرة اليوم اختلافات كبيرة في تاريخ وفاته لكن أرجح التواريخ هي التي تشير إلى وفاته في بلخ (أفغانستان اليوم) عام ١٠٩٤م، وأنه دفن بمقبرة نوبهار بجوار قبر الفقيه الحنفي الشهير أبي مطيع البلخي.

وعدّه أحمد بن سليمان بن كمال باشا الرومي (ت١٥٣٤م)، من كبار المجتهدين في المسائل التي لا رواية فيها عن صاحب المذهب، وأنه بلغ من مراتب العلم ما بلغ أبو بكر الخصاف (ت ٨٧٥م)، وأبو جعفر الطحاوي (ت ٩٣٣م)، وأبو حسن الكرخي (ت ٩٥٢م)، وغيرهم من مرتبة رفيعة. وهذه المرتبة تلي أصحاب الإمام أبي حنيفة في الاجتهاد، وأنه من كبار علماء ما وراء النهر في عصره دون منازع(٢١).

يبقى التساؤلان الأكثر أهمية: على من يقع واجب متابعة تلك الدراسات التي يقوم بها العلماء في أوزبكستان؟ وما الدور الذي يجب أن تؤديه المؤسسات العلمية ومراكز البحوث والعلماء في العالمين العربي والإسلامي؟

الهوامش والمراجع

١ـ إعداد وتحرير: أورانباييف أ. بيبفانوفا ل. م، طشقند، ١٩٦٥م. (باللغة الروسية)
٢ـ إعداد وتحرير: منيروف ق.، نصيروف أ. طشقند، ١٩٧٠. ومنيرو ق.، حكيموف م. طشقند، ١٩٨٦.(باللغة الروسية).
٣ـ إعداد وتحرير: مؤمينوف ق. طشقند،١٩٧٥. (باللغة الروسية)
٤ـ إعداد وتحرير: قاضي بيرديبف أ.ل. طشقند، ١٩٧٥م، (باللغة الروسية)
٥ـ إعداد وتحرير:وهابوف ب. أ. طشقند، ١٩٨٢م،(باللغة الروسية)
٦ـ إعداد وتحرير:بيبفانوفا ل. م. طشقند، ١٩٦٥م، (باللغة الروسية)
٧ـ إعداد وتحرير: شمس الدين باباخانوف، عبدالعزيزمنصور. طشقند، ١٩٩٣م.(باللغة الروسية).
٨ـ إعداد وتحرير: الدكتور عبدالرحمن فرفور، والدكتور محمد مطيع الحافظ. تقديم أ. أورونباييف وك. منيروف. دبي، ١٩٩٥م. (باللغة العربية)
٩ـ إعداد وتحرير: أورانباييف أ.، وسيد علي معجاني، وموسوبيف ش.، طهران، ١٩٩٧م.(باللغة الفارسية).
١٠ـ الإشراف: أ.د. عصام الدين أورنباييف ولاريسا بيبفانوفا. هيئة الترجمة من الروسية إلى العربية: أ. د. نعمة الله إبراهيم ، وأ. د. تيمور مختاروف، د. رامل شاكر، تدقيق اللغة العربية: روحي طعمة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٠م.
١١ـ إعداد وتحرير: يوسوبوف د.، وجاليلوف ر.، طشقند، ١٩٩٨م، (باللغة الروسية).
١٢ـ إعداد وتحرير: ولدانوف أ.ب.، طشقند، ١٩٩٨م، (باللغة الروسية)
١٣ـ صدر في أوزبكستان بعد استقلالها عام ١٩٩١م : صحيح الإمام البخاري، وكتاب الهداية في شرح البداية للإمام برهان الدين المرغيناني، وكتاب سنن الترمذي للإمام الترمذي، وكتاب مصنفات علماء الحنفية، وغيرها من الكتب بعد ترجمتها إلى اللغة الأوزبكية لتكون في متناول أكبر عدد من القراء.
١٤ـ عن كتاب «الجواهر المضيّة» للقرشي.
١٥ـ هناك دراسات عنه منشورة كثيرة في الهند، وتركيا، وماليزيا، والمملكة العربية السعودية، ومصر، وسورية وغيرها من الدول الإسلامية.
١٦ـ القرشي أبو محمد عبدالقادر المصري: الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية ،حيدر آباد: ١٣٣٢هـ.
١٧ـ سبق وصدر في حيدر آباد كتاب«الجواهر المضيّة» لعبدالقادر القرشي، وكتاب «تاج التراجم» لزين الدين قايم بن قطلوبغا، في بغداد عام ١٢٦٢م، ويقوم بدراسته في الوقت الحاضر كل من محمد حميد الله، ويوسف ضياء توكجي، وعاشور بك مؤمينوف، وك. بروكلمن، وأكمال سعيدوف وآخرون.
١٨ـ الواعظ البلخي: فضائل بلخ، طهران ١٩٧١م، ص ٣٤٠. والقره خانيون من السلالة التركية التي ينتسب إليها الغزنويون والسلجوقيون أيضًا.
١٩ـ عبد العزيز الحلوائي، هو أبو محمد عبدالعزيز بن أحمد بن نصر بن صالح الحلوائي الحنفي. ولد بمدينة بخاري ، ونشأ ودرس في سمرقند وبخارى، وتوفي عام ٤٤٨هـ/

وصنف شمس الأئمة أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي الحنفي في الفقه والأصول، وأملى «المبسوط» وهو في السجن بأوزجند، وكانت من أعمال فرغانة آنذاك (تقع اليوم في جمهورية قرغزستان)، وكان قد حبس لكلمة نصح بها الخاقان(٢٢). وكان يملي خواطره من دون مطالعة للكتب، وأصحابه في أعلى الجب المحبوس فيه يكتبون ما يمليه عليهم. وله أيضاً كتاب: «الأصول» في مجلدين (٢٣) وأملى أيضاً «شرح السير» على محمد بن الحسن في مجلدين ضخمين، وله شرح كتاب «النفقات للخصاف»، وشرح «أدب القاضي للخصاف»، و«أشراط الساعة»، و«الفوائد الفقهية»، وكتاب «الحيض». وقال العلامة الطرسوسي عن «المبسوط» للسرخسي بأنه «لايعمل بما يخالفه، ولا يركن إلا إليه، ولا يفتى بقول إلا عليه».

وفي الختام نتمنى أن نكون قد ألقينا ضوءاً ولو قليلاً على واحد من الدراسات الكثيرة التي يقوم بها أساتذة وطلاب العلم في جامعة طشقند الحكومية للدراسات الشرقية، وجامعة طشقند الإسلامية الحكومية، والباحثون العلميون في معهد أبي ريحان البيروني بأكاديمية العلوم الأوزبكستانية، وفي مقدمتهم أ. د. نعمة الله إبراهيموف، رئيس جامعة طشقند الإسلامية الحكومية للدراسات الشرقية، ورئيس قسم الدراسات الإسلامية فيها، و أ. د. حميد الله كراماتوف، رئيس جامعة طشقند الإسلامية الحكومية. والمتخصصون في الدراسات الإسلامية، مثل: الشيخ عبدالعزيز منصور، و أ.د. أحد حسانوف، و د. زهر الدين حسن الدينوف، و د. عبيد الله أواتوف وآخرون. وهي جهود كبيرة لدراسة التراث الذي لا يقدّر بثمن، والذي تركه الأجداد للشعب الأوزبكستاني، تراث السلف الصالح للأجيال الناشئة لتستلهم منه أصول دينهم الحنيف والحفاظ عليه، بعد أن أنعم الله عليهم بنعمة التحرير والاستقلال بالطرق السلمية والديمقراطية في الفاتح من سبتمبر /أيلول عام ١٩٩١م، على يد رئيس الجمهورية إسلام كريموف.

١٠٥٦م، في بخارى. ومن مؤلفاته: «منتخب الفتاوى»، و«اشراط الساعة»، و«النوادر»، و«المبسوط»، و«كتاب الكسب»، و«الفتاوى».

20 - Brockelmann, I Weimer, 1998, p.373.

٢١. حاجي خليفة: كشف الظنون، إستانبول: بلا تاريخ. ص ٣٤٠.

٢٢. شمس الأئمة السرخسي: كتاب المبسوط. بيروت: ١٩٩٣م، ص٣.

٢٣. مخطوط كتاب «الأصول» محفوظ في مكتبة معهد أبي ريحان البيروني للاستشراق التابع لمجمع العلوم الأوزبكستاني تحت رقم ٥٢١٥٤١.

للمزيد يمكن مطالعة:

- حاجي خليفة: «كشف الظنون»، إستانبول: من دون تاريخ (باللغة التركية).
- السرخسي: «الأصول» مخطوط محفوظ في مكتبة معهد أبي ريحان البيروني للاستشراق التابع لمجمع العلوم الأوزبكستاني تحت رقم ٥٢١٥٤١.
- شمس الأئمة السرخسي: «كتاب المبسوط». بيروت : ١٩٩٣.
- القرشي أبو محمد عبدالقادر المصري: الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية»، حيدر آباد: ١٣٣٢هـ.
- أ. د. محمد البخاري: عرب آسيا المركزية: آثار وملامح. دمشق :مجلة «المعرفة»، العدد ٢٠٠٢/٤٦٠م، كانون الثاني/ يناير، ص ١٧٣ - ١٩٦.
- أ. د. محمد البخاري، مليكة أنور ناصيروفا: دراسات حول مخطوطات علوم اللغة العربية في أوزبكستان، الرياض: الفيصل العدد ٣٠٣، نوفمبر / ديسمبر ٢٠٠١، ص ٢٧ - ٣٢.
- أ. د. محمد البخاري: المخطوطات العربية في جمهورية أوزبكستان، دمشق: المعرفة، العدد ٤٥٧/ تشرين أول/ أكتوبر ٢٠٠١م، ص ١٨٦-٢٠٢.
- أ. د. محمد البخاري، وأ. د. تيمور مختاروف: تحقيق المخطوطات الإسلامية في أوزبكستان ... جهود متواصلة لحماية التراث (٢-٢). أبوظبي: الاتحاد، ٢٠٠١/٣/١٣م.
- أ. د. محمد البخاري، أ. د. تيمور مختاروف: تحقيق المخطوطات الإسلامية في أوزبكستان ... جهود متواصلة لحماية التراث (٢-١)، أبوظبي: الاتحاد، ٢٠٠١/٣/١١م.
- أ. د.محمد البخاري عرب آسيا المركزية: آثار وملامح. مجلة «المعرفة» دمشق:العدد ٢٠٠/٤٤٥م، تشرين أول / أكتوبر. ص ١٨٤-٢٠٨.
- أ.د. محمدالبخاري: نظرة في بعض مصادر الأدب الاوزبكي، مجلة وزارة الإعلام الكويتية (مجلة الكويت)، العدد ١٩٩٧/١٦٨م، أكتوبر / تشرين أول، ص ٦٢-٦٥.
- أ. د. محمد البخاري، أ. د. تيمور مختاروف، ود. شاه رستام شاه موساروف: تراجم من الأدب العباسي، مقرر لطلاب السنة الرابعة/ قسم اللغة العربية، طشقند: جامعة طشقند الحكومية للدراسات الشرقية،١٩٩٢م.
- الواعظ البلخي: «فضائل بلخ»، طهران:١٩٧١، (باللغة الفارسية)

-Brockelmann, I Weimer, 1998.

الإسلام والمسيحية في غرب إفريقية وجهاً لوجه

قراءة استطلاعية على ضوء الأحداث في كوت ديفوار

الحسن سعيد جالو
مساكن ـ تونس

فوجئ الناس وصدموا بما رأوه على شاشات التلفاز من مقابر جماعية في كوت ديفوار تضم المدنيين العزل قتلوا برصاص الشرطة والجيش في ظروف وحشية لا يمكن وصفها.
ويبدو أنهم ينتمون إلى الشمال المسلم، ويشهد ذلك المصحف القرآني المحروق نصفه الذي تركه الجناة في ساحة المعركة، إضافة إلى المساجد التي دمرت عن آخرها.

ويبدو أن فرار الحاكم العسكري الجنرال روبير غوي وما تلاه من اضطرابات وفوضى، أدى إلى مواجهات بين أنصار التجمع الديمقراطي الجمهوري (R.D.R)، وأكثرهم مسلمون من أصول شمالية بقيادة الحسن وترا الذي أقصي عن رهان الانتخابات الرئاسية بدعوى أن أمه ليست عاجية، مع أنه شغل مناصب رئيس الحكومة في عهد الرئيس الأسبق هوفيت بواني عدة سنوات!! وبين أنصار الجبهة الشعبية العاجية (F.P.I)، وأكثرهم مسيحيون من الجنوب بقيادة لوران باغبو الذي سمح له الحاكم العسكري بالمشاركة في الانتخابات ظناً منه بأنه مرشح ضعيف ولا يشكل خطراً عليه، بل سيضفي عليه الشرعية والاعتراف الدوليين اللذين حرم منهما حتى الآن. لكن كما يقول المثل: «تجري الرياح بما لا تشتهي السفن»، فقد خاطب المرشح «الضعيف» الجماهير باقتحام القصر الجمهوري، فاضطر الحاكم العسكري إلى الفرار عندما رأى أن قسماً من جيشه وحرسه قد انضم إلى الجماهير، لكن فراره ترك وضعاً فوضوياً يتسم بالغموض، فأراد المرشح الوحيد المسموح له بمنافسة الجنرال أن يملأ هذا الفراغ فأعلن نفسه رئيساً للدولة، بينما رأت المعارضة القوية التي تم إقصاؤها أن هذه الاضطرابات فرصة لتجديد دعوتها إلى الانتخابات الرئاسية الجديدة من دون إقصاء تصديقاً لنواياها، فدعت إلى المظاهرات السلمية، وإذا أنصار باغبو ينقضّون عليهم ومعهم قسم من الشرطة، فكانت المذبحة التي راح ضحيتها خمسمئة(١) قتيل، وألف جريح حسب منظمات حقوق الإنسان العاجية(٢).

على الرغم من نفي جلّ الأطراف الفاعلة في الصراع الدائر في البلاد بأنّه لا علاقة له بالدين، فإن الواقع ينفي ذلك تماماً؛ فلا يغرنّك بعد هذا ما تسمعه من نفي هذا أو ذاك؛ من رئيس الأساقفة إلى الرئيس المخلوع. فالناس عادة لا



صورة من الحياة في أبيدجان

يعترفون بحقيقتهم، إذ كثيراً ما تسمع رجلاً عنصرياً يخاطبك قائلاً: «إني لست عنصرياً» ومثله يفعل المتطرف. ويبدو أن الذين تضرروا، كما قلنا في هذه المذبحة، هم أنصار الحسن وترا. كما يبدو أنّ الأمن أو قسماً منه شارك فيها، إذ كلّ الدلائل تؤكد ذلك، خاصة جلّ الذين أصيبوا بجروح مختلفة كانوا خائفين من التوجه إلى المستشفيات خشية أن يقعوا في أيدي الحرس من جديد فيجهزوا عليهم، وهذا يبرهن فيما لا لبس فيه، أن الحرس تورطوا في قتل المتظاهرين المسلمين العزّل. لكننا حتى لا يتحول المقال إلى محرد سرد للأحداث، سنرجع إلى الوراء قليلاً، أي إلى تاريخ التعايش بين الديانتين في المنطقة.

شيء من التاريخ

الإسلام في غرب إفريقية:

لم يكن غرب إفريقية مسرحاً للصراع بين المسيحية والإسلام، إذ لم يعرف هذا الجزء من القارة أيّ حضور مسيحي قبل الفترة الاستعمارية. أما الإسلام، فقد عرف في المنطقة منذ زمن بعيد، على امتداد الشريط الساحلي من البحر الأحمر إلى المحيط الأطلسي، وكان يتقدم ببطء، ولكن بخطا ثابتة، عن طريق الدعوة والتجارة والمصاهرة. ولم يكن من السهل التمييز بين هذه المجموعات الثلاث، إذ كانت أدوارها تتداخل من حين إلى آخر، أي قد يتحول التاجر إلى داع والعكس، وكلاهما لم يفصل بينه وبين السكان المحليين.

فكان في عمومه متسامحاً، بحيث تجد فيه معانقة رائعة بين الصوفية والنظم الإفريقية القديمة. إلا أن هذه المعانقة أسيء فهمها لدى كثير من الأوساط من بينها الإفريقية نفسها، فراحوا يطلقون عليها أسماء ما أنزل الله بها من سلطان، مثل: « الشرك» Syncretism و«التخليط» Mixing وغيرهما.

دخول المسيحية المنطقة:

جاءت المسيحية عن طريق البعثات الغربية أو ما يسمّى آنذاك بالـ (C) الثلاث (Commerce, Christianity Civilization)، التجارة والتنصير والحضارة!! فقد نزل بعضهم في المناطق الإسلامية، والآخرون في المناطق الإحيائية دون أي اعتراض من الجانبين، لكنّ التجربة علّمتهم أن العمل في المناطق الإسلامية لا يفيدهم كثيراً؛ فهؤلاء مع كونهم مسالمين، فإنهم لا يبدون استعداداً لترك دينهم إلى المسيحية، وهكذا تحول تركيزهم من المناطق الإسلامية إلى المناطق الإحيائية(٣). إلاّ أنّ الصراع الغربي في المنطقة من أجل مستعمرات جديدة، جعل كل دولة تعتمد على العنصر الديني التنصيري؛ فنجاح هذا العنصر يعني نجاح الدولة الأم، ويدلّ على هذه السياسة بوضوح تحالف المنصرين السود المحرّرين مع بريطانيا في كلّ من سيراليون وليبيريا الذين أسهموا في بسط النفوذ البريطاني على المنطقة، وهذا ما جعل فرنسا، على الرغم من عداوتها للكنيسة، تقتدي بالسياسة البريطانية. عبّر عن هذا الموقف بوضوح وزير الخارجية الفرنسي آنذاك جورج كليمانصو إذ قال: «إن سياسة فرنسا حيال الكنيسة واضحة وثابتة، وهي الاحتقار والإهمال، لكن هذه السياسة يجب أن تبقى داخل فرنسا فقط، ولا تصدّر إلى مستعمراتها، خشية تعريض مصالحنا للخطر»(٤).

فبناء على هذه السياسة، أعطت فرنسا للمنصرين الكاثوليك صلاحيات واسعة في مستعمراتها الإفريقية التي شهدت تدفقًا هائلاً من المنصرين إليها في الأعوام ١٨٦٠ ـ ١٨٦٤م، فجاءت جمعية آباء الروح القدس (C.S.S.P)، وجمعية آباء كلمة الله (S.V.D) وغيرهما من الجمعيات التنصيرية، مما جعل مؤتمر برلين عامي ١٨٨٤ و١٨٨٥م، الذي بموجبه قسمت القارة الإفريقية على الدول الاستعمارية جعله تحصيل حاصل، إذ قسمت القارة بالفعل بين الكنائس الغربية منذ زمن بعيد(٥). فكانت سياسة الكنائس تؤثر في سياسة الدول المستعمرة داخل المستعمرات، وكانت سياسة بعضها مفرّقة بين المجموعات القاطنة في المنطقة، إذ تعزل المنصرين الجدد عن إخوانهم الإحيائيين والمسلمين خشية ارتدادهم عن دينهم الجديد، وكانت ترى في الإحيائيين والمسلمين معًا مجموعة من الشياطين يجب تحاشيهم. هذا الجوّ الموبوء صاحب تكوين الدولة الوطنية طوال الفترة القادمة، وهذا يفسر إخفاق الوحدات القطرية صبيحة الاستقلال، مثل: الوحدة العاجية الفولتوية، والسنغالية المالية، والسنغالية الغامبية، وغيرها من المجموعات الوحدوية.

لم يكن غرب إفريقية مسرحًا للصراع بين المسيحية والإسلام، إذ لم يعرف هذا الجزء من القارة أيّ حضور مسيحي قبل الفترة الاستعمارية


الحسن وترا

المجموعات المكوَنة لكوت ديفوار

في تلك الأجواء المذكورة، تكوّنت جلّ الدول الإفريقية بما فيها ساحل العاج التي ضمّت في أجزائها الكبيرة دولة مالي التاريخية، وإمبراطورية ساموري توري، ودولة أشانتي الساحلية، وغيرها من الدول، وهي اليوم تضم أكثر من ستين مجموعة ثقافية ولغوية، وأكبرها مجموعة جولا التي تنتمي إلى شعب ماندنغ وأكثرهم مسلمون، ومجموعة باوولي التي تنتمي إلى شعب (أكان)، منهم الإحيائيون، والمسلمون، والمسيحيون، وهؤلاء هم الأكثرية، ومجموعة (أني) وأكثرهم مسيحيون.

قد يقول قائل: إن هذا التباين من الإثنيات قد يحول دون تحقيق الوحدة الوطنية، فهذا السؤال مردود من عدة نواح، منها: أنه على الرغم من تأثير القوى الخارجية في النسيج الوطني، فإنّ هذا الجزء من القارة لم يتضرر كثيراً في هذا المجال، إذ تمّ بناء الدولة فيه على أساس المواطنة فقط،

وليس على أساس الدين والعرق والثقافة. ثمّ إنّ الأجواء الدينية في جلّ دول المنطقة كانت حتى الآن تتسم بالتسامح بحيث تجد عائلة واحدة موزعة بين الديانات الثلاث: الإسلام، والمسيحية، والديانة الإحيائية. ثمّ إن تجربة كلّ من الهند والصومال تغنينا عن الخوض في مثل هذا الجدل؛ ففي الهند مئات من الأعراق والثقافات والأديان، ومع ذلك حققت وحدة وطنية في ظلّ نظام ديمقراطي يبزّ أكبر الديمقراطيات في العالم. والصومال دولة أنموذجية من حيث وحدة العرق والدين والثقافة، ومع ذلك، لم تحقق الاستقرار من الاستقلال إلى اليوم. فساحل العاج كانت محظوظة عندما وقعت بعد الاستقلال في يد رجل مسيحي متشبّع بروح إفريقية سمحة إضافة إلى ذكائه وحصافة فكره قلّ ما نجدهما في شخص واحد. هذا الرجل هو فلكس هوفيت بواني الحكيم الإفريقي (١٩٠٥ - ١٩٩٣م)، كان يتمتع بنظرة ثاقبة حمته من الوقوع في الثورات الماركسية التي كانت تعدّ آنذاك الأنموذج الأمثل في هذه المنطقة وغيرها. كما كان بواني رجلاً واقعياً نادى بالتعاون مع الغرب للاستفادة من خبرته، والتقليل من الشعارات غير القابلة للتحقيق التي تفقد المرء مصداقيته. ومع كونه كاثوليكياً مؤمناً إيماناً عميقاً بالرسالة المسيحية، ولكنّ تجذّره العميق في صميم الروح الإفريقية جعل منه رجلاً إنسانياً متفتحاً على كلّ الأديان ومحترماً إياها بصدق وعمق، وهذا ما مكنه من إقامة علاقات عميقة مع المفكرين المسلمين أمثال: أحمد حمباتي باه، وغيره.

فتح أبواب بلاده أمام الهاربين من الظلم والاضطهاد في الدول الإفريقية المجاورة، فكانت بلاده مزدهرة وواحة سلم واستقرار في المنطقة(٦). إلا أن ما يؤخذ عليه هو أنّه لم يهيئ شعبه للديمقراطية بعده، مما جعله اليوم عرضة للقلاقل والاضطرابات. فأوّل بذرة للتوتر حدثت بعد وفاته بدقائق قليلة بين رئيس وزرائه الحسن وترا، ورئيس برلمانه ذي الحزب الواحد المسيحي هاري كونا بيجي، وقد حسم قائد الجيش آنذاك الجنرال روبير غوي الخلاف لمصلحة بيجي، فلم يكن بيجي هذا حكيماً ولا ديمقراطياً، وسعى إلى بلقنة البلاد وتفتيتها عن طريق أنصاف بنود دستورية إقصائية يصوّت عليها برلمانه ذو اللون الواحد.



لتدهور الأوضاع عدة أسباب

فمنذ ذلك الوقت، دخلت البلاد في دوامة وصلت ذروتها إلى اتّهام الحسن وترا بتزوير وثائقه الشخصية ليكون مؤهلاً لخوض الانتخابات القادمة، فأودع ضده استدعاء لجلبه إلى المحاكمة.

وفي ليلة ٢٥ ديسمبر/ كانون الأول عام ١٩٩٩م، وقعت الإطاحة ببيجي فهرب إلى فرنسا حيث يعيش الآن، والذي أطاح به هو نفسه الذي مكّنه من السلطة، وهو الجنرال المتقاعد روبير غوي الذي وعد بتنظيف البلاد ووضعها في سكة الديمقراطية. هذا ما شجّع المعارضة السياسية على العودة إلى البلاد، ومن بين الذين عادوا إليها الحسن وترا.

إلا أن الجنرال غوي لم يف بوعده، فطمع في البقاء في السلطة بأي ثمن: فبدل أن يكون حكماً بين الأحزاب السياسية، حشر نفسه فيها، فقاده هذا الموقف المنحرف إلى التخلص من منافسيه الأقوياء أمثال: الحسن وترا،

عن طريق المجلس الأعلى للقضاء الصوري اختار أعضاءه هو نفسه ليمرّر مشروعه، وهذا ما فعله سابقه بيجي.

على الرغم من تحذيرات منظمة الوحدة الإفريقية والدول الفاعلة في المنطقة، أصرّ غوي على موقفه لتنظيم انتخابات، غير شرعية، فعندما عرف بهزيمته حتى مع أضعف المرشحين، لجأ إلى حلّ لجنة الانتخابات، وأعلن نفسه رئيساً للبلاد، لكن الجماهير لم تتركه هذه المرة، بل زحفت إلى القصر الجمهوري، فهرب تاركاً البلاد في فراغ دستوري استغله منافسه في الانتخابات ليعلن نفسه رئيساً شرعياً للبلاد، فكانت الاضطرابات التي نتجت منها مواقف متباينة داخلياً وخارجياً.

من الداخل، أعلن الحزبان الرئيسان اللذان وقع إقصاؤهما عن الانتخابات وهما (R.D.R) و(P.D.C.I)، أعلنا أنه لابد من إعادة الانتخابات



للمسلمين جذور عميقة في غرب إفريقية

الرئاسية، إن كان الحزب الأول تراجع عن موقفه السابق ليتحالف مع الجبهة الشعبية العاجية (F.P.I)، ضد عدوهما المشترك (R.D.R)، ونلاحظ الموقف نفسه مع الكنيسة الكاثوليكية الممثلة في أسقف أبيدجان «بيرنار أغري B. Agarie» الذي كانت تدخلاته في إذاعة فرنسا الدولية R.F.I تصبّ في الخانة نفسها، مثل دعوته إلى إبعاد الدين عن السياسة. كذلك نقده المستمر للحسن وترا دون أن يسميه بالاسم(٧). فبعد تشكيل حكومة وحدة وطنية شاركت فيها كل الأحزاب ما عدا حزب الحسن وترا، وبعد ظهور الجنرال غوي ولقائه مع لوران باغبو دون أن يقع اعتقاله فوراً على الرغم من كونه المتسبب الأول للمجازر، عرفنا إلى أي مدى تحالفت المجموعات المسيحية الجنوبية ضد بني وطنهم المسلمين. فهذا الموقف لم يعد خافياً.

أما المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية العاجي، فكان موقفه واضحاً قبل الانتخابات وبعدها، إذ كان يعرف جيّداً أنّ بني دينه هم المستهدفون، ولذلك أعلن رفضه للإقصاء، وحذّر من نتائجه، وهذا ما حدث بالفعل، إذ جلّ القتلى من المسلمين الذين دمّرت مساجدهم ومزّق كتابهم القرآن على مرأى الكاميرات التلفازية.

موقف الدول الفاعلة في المنطقة:

تتناقض هذه المواقف بعضها عن بعض، وأبرزها موقف فرنسا الدولة المستعمرة التي لها مصالح هائلة في هذا البلد، إذ فيها أكثر من ثلاثين ألفاً من جالياتها وقاعدة عسكرية دائمة، إضافة إلى المصالح التجارية التي لا تعدّ ولا تحصى، لكن الأحداث الأخيرة بيّنت أن هناك تبايناً واضحاً بين الرئيس الفرنسي الديغولي ورئيس حكومته الاشتراكي، إذ في الوقت الذي بعث فيه الحزب الاشتراكي الفرنسي إلى المرشح الاشتراكي العاجي لوران باغبو مستشارين، رفض الحزب الديغولي الاعتراف بنتائج الانتخابات، وطالب بإعادتها، وإن كان هذا الموقف تمّ تجاوزه فيما بعد، ولكنه يوحي بوجود خلاف عميق بين السياسيين الفرنسيين حيال القضايا الإفريقية، وهو الموقف نفسه نجده عند الأوربيين الذين لا يريدون إغضاب فرنسا، ولذلك لا يتدخلون في شؤون

مستعمراتها الإفريقية إلا برضى منها أو بتأييد موقفها. رأينا هذا الموقف الغامض في أحداث الجزائر، وها هو ذا اليوم يتكرر في ساحل العاج.

أما الموقف الإفريقي، فيتمثّل في موقف كل من نيجيريا وجنوب إفريقية اللتين طالبا بوضوح بإعادة الانتخابات، وهو الموقف نفسه نجده لدى منظمة الوحدة الإفريقية، وهو كما ترى موقف ناضج ومسؤول، إذ ينبع من خبرة هذه الدول للتجارب السابقة في هذه القارة مثل: الصومال، ورواندا، وسيراليون، وغيرها، فإهمال المجتمع الدولي لهذه الدول، وانسحاب القوات الأممية منها، أديا إلى المجازر التي شاهدناها. فنيجيريا بوصفها دولة كبرى في المنطقة ولها وزنها المؤثر، تعرف جيّداً أنّ مثل هذه الأحداث الدامية يمكن أن تتكرر في أكثر من دولة إفريقية، وأنها لن تستطيع الوقوف مكتوفة الأيدي حيالها؛ لأنها ستؤثر في أمنها القومي فتكون الكارثة. كل هذه الأسباب تدفعها إلى اتخاذ موقف ناضج يمكّن الأطراف الفاعلة من تنظيم الانتخابات، فتقي المنطقة من الوقوع في المجازر الجديدة.

على الرغم من تأثير القوى الخارجية في النسيج الوطني، فإنّ هذا الجزء من القارة لم يتضرر كثيراً في هذا المجال، إذ تمّ بناء الدولة فيه على أساس المواطنة فقط



هوفيت بواني



جانب من جنازة بواني

أما موقف الولايات المتحدة والأمم المتحدة، فهو أيضاً ناضج جداً، فكوفي عنان سليل هذه المنطقة والذي يعرف جيّدا جيوسياساتها، لا يستهين بالموضوع، خاصة في الوقت الذي يجوب فيه العالم مستجدياً الدول بإرسال قواتها إلى سيراليون من دون جدوى، إذ كل دولة تخاف على جنودها من حرب لا يعرفون نهايتها، بل حتى القائمون بها ممّا يجعلهم لقمة سائغة في فمها. وقد برز هذا الخوف في موقفي الأردن والهند اللذين قرّرا سحب قواتهما من سيراليون.

الولايات المتحدة الأمريكية كما قلنا: قريبة من موقف كوفي عنان؛ فبعد مغامرتها في الصومال، عرفت أنه من الأفضل لها ألا تكّرر مغامرة إفريقية أخرى على الرغم مما تتعرض له من انتقادات حادة من قبل الأمريكيين السود الذين يتهمونها بالعنصرية نتيجة إهمالها القارة الإفريقية، وهي تلحّ اليوم على إصلاحات ديمقراطية سليمة وعميقة في المنطقة حتى لا تتكرر تجربة سيراليون وليبيريا، وهو ما أعلنه السفير الأمريكي في أبيدجان عندما غاب عن حفلة تنصيب باغو(٩).

أما الموقف العربي والإسلامي، فكان غائباً، لعلّ السبب في ذلك يعود إلى قلة المصالح العربية في المنطقة، وذلك على الرغم من وجود أكبر جالية في المنطقة، وأكبر نسبة إسلامية في القارة بعد شمال إفريقية، وقد يعود إلى

الأحداث المؤلمة في فلسطين التي استغرقت جلّ العرب والمسلمين، فلا يريد بعض زعماء العرب تشتيت جهدهم في مناطق أخرى قد لا تمسّ بمصالحهم القومية مباشرة.

مهما يكن من أمر، فإنّ المحظور قد وقع، وأنّ الدم قد أريق، وأنّ هذا قد يكون مقدمة لمزيد من التوتر والدماء. حتى لا نكون متشائمين بصفة مطلقة، نأمل أن يحقق الرئيس الجديد المشكوك في شرعيته بعض الشروط الضرورية الآتية:

- إعادة الوئام المدني بين المواطنين بغضّ النظر عن انتمائهم الإثني والثقافي والديني.

- تشجيع أجواء الثقة والأمان في الانتخابات البرلمانية القادمة المزمع عقدها في شهر ديسمبر، وأن يشارك فيها كل الأطراف المنتمية إلى هذا البلد دون إقصاء.

- طمأنة الأطراف الفاعلة في الأحزاب السياسية خاصة الحسن وترا بأنه لن يكون هدفًا للإقصاء مرة أخرى، خاصة في الانتخابات الرئاسية القادمة.

- وأخيراً، التحقيق في المذابح المرتكبة بكل شفافية، وتقديم الجناة إلى المحكمة لينالوا العقاب الذي يستحقونه.

إذا تمكن الرئيس الجديد من تحقيق هذه الشروط، فسيلتحق بصف العظماء الأفارقة، أمثال مانديلا، وأحمد توماني توري وغيرهما، وهكذا يكون بريئًا ممّا حدث لهذا البلد في السنوات العشر الأخيرة. أما إذا أخفق، فإنه سوف يلتحق بصفوف الذين لعنوا من قبل شعوبهم، وهم كثر في هذه القارة، وقتها لن يكون المرء راجماً بالغيب إذا تنبأ بمجموعة من الآثار الضارة قد تعمّ المنطقة بكاملها في الأيام القادمة، سواء على المدى القريب أو البعيد؛ فالمدى القريب يتمثل في يأس العناصر المعتدلة في المعارضة المسلمة، ومن ثم تلتحق بالعناصر الراديكالية في حرب عصابات قد لا نتخيل اليوم مداها ومدّتها وحدّتها ونتائجها، خاصة إذا عرفنا أنّ المنطقة كلّها موبوءة بحروب العصابات مع وجود عدد لا بأس به من الخبراء ذوي الخبرة الهائلة في هذا الميدان، ووجود أطراف دولية متورّطة معهم تمدّهم بالمال والسلاح. أما المدى البعيد فلا يقلّ خطورة عن الأول، وذلك إذا عرفنا النقاط التالية:

أولاً: العنصر الغالب في المسلمين العاجيين هو العنصر الماندي الذي نجده في كامل المنطقة من مالي وبوركينا فاسو، وساحل العاج إلى السنغال، وغامبيا، وغينيا بيساو، وغينيا كوناكري، وسيراليون، وليبيريا، وهو يتمتع بحسّ قومي وتاريخي كبير، وهذا قد يجعله غير غافل عما يحدث لإخوته في ساحل العاج.

من ناحية ثانية، قد تدخل هذه المنطقة عصراً جديداً تشهد فيه الأقليات المسيحية أنواعًا من القمع والظلم تحرمها من حقها في المشاركة السياسية في بلدانها بتمييز ديني، وذلك عبر إحداث تغييرات غير دستورية في الدساتير الهشة مثل ما حدث في ساحل العاج حيث غير الدستور لأغراض انتخابية. مع العلم أن هذه المنطقة كانت حتى الآن مستثناة من هذا التصرف الإقصائي، ويكفي أن نعرف أنه في هذه المنطقة ذات الأغلبية الإسلامية لا في غيرها من العالم، نجد رؤساء دول مسيحيين، مثل: ليوبولد سيدار سنغور، رئيس السنغال الأسبق، وداود جاورا رئيس غامبيا السابق قبل أن يسلم، وأوبا سانجو، رئيس نيجيريا الحالي، وغيرهم. فهل يعي أصحاب القرار هذه الميزة؟ أم أنهم سيقومون بخنقها وإنهاكها، ومن ثم القضاء عليها كغيرها من ميزات المنطقة التي تم القضاء عليها أو إهمالها؟.

المراجع

1 - Radio France International. Afrique Matin. 28/10/2000. 7.30 G.M.T.

2- B.B.C. World. 26/10/2000, 22.30 G.M.T.

3- Adrian Hasting. A History of African christianity. London. Cambridge University Press. 1979.PP.65.176.

4-Cambridge History of Africa. London. Cambridge University Press,1980.Vol.6.

5- Oldeijin H.L.M. The Political Role of Catholic and Protestant Missions in Colonial Partition of Black Africa. Leiden Intercontinenta. No.3. 1983.

6- Siradiou Diallo. Houphouet Boigny. Edition J.A. 1990.

7- R.F.I. Afrique Matin, 26/10/2000, 7.30 G.M.T.

8- B.B.C. World. 27/10/2000, 22.00 G.M.T.

9- B.B.C. World. 27/10/2000, 23.00 G.M.T.

ضاحية المثناة في الطائف والحنين الشعري إليها

إبراهيم محمد الزيد
جدة - السعودية

المثناة - ضاحية جميلة من ضواحي مدينة الطائف، تقع في الجنوب الغربي على بعد ثلاثة أكيال، وسميت بالمثناة على ما أعتقد لأنها تقع في منحنى وادي وج المشهور في التاريخ والحديث، عند انعطافه وانثنائه. وتتكون المثناة من قرى صغيرة وبيوت مبعثرة وبساتين كثيرة.

حدود المثناة

يحدّ المثناة من الشمال جبال بستان البهجة الذي أوقفه الشريف غالب على مسجد ابن عباس رضي الله عنه. والبهجة الآن حي من أحياء مدينة الطائف، ومن الجنوب الغربي جبل المدهون وأم الشّيْع والشريف حارة الوقدانية، ومن الغرب جبال شعبة المذاكير، ومن الشرق مدينة الطائف (حي السلامة وحوايا).

السكان

يسكن المثناة وما حولها أفخاذ من قريش وطويرق، وآل حُمَيْدان، والحمَدَة، وبنو سفيان من قبيلة ثقيف المشهورة في التاريخ والأنساب، ويسكنها من الأشراف الشّنابرة، وذوو غالب، وذوو عون وغيرهم.

أهم القرى

قرية المثناة العليا، وقرية الهيافين، وقرية المذاكير، وقرية الصور، وقرية المشاييخ، وأم نُوْبي، وقرية آل حميدان، والخِبزة.

أهم المساجد

ومن أهم المساجد في ضاحية المثناة: مسجد عداس، ومسجد الكوع، ومسجد الخِبزة، ومسجد القنطرة ويسمى القابل المتكئ على جبل المدهون، ومسجد الصَّوْر. أما المساجد الحديثة فهي: مسجد البهجة، ومسجد عُوْدَة، ومسجد الشيخ عبدالعزيز بن باز، رحمه الله، في حي عُوْدة، ومسجد عبدالله بن عباس وهو غير مسجد ابن عباس الكبير المشهور.

المياه

تسقى بساتين المثناة وقراها من عين المثناة، وتسمى عين الخبزة؛ لأنها تمر من تحت مسجد الخبِزة، وقد جلبت العين من جبل بَرَد في جهة الرهْط من الجبال العالية في الطائف. وقد ذكر أنه في سنة ١٢٠٠هـ اجتاحها سيل عام خربها ومحا البساتين، وقد أعيد إصلاحها من قبل الشريف غالب بن مساعد أمير مكة سابقًا الذي اعتنى بإصلاح العين من سنة ١٢٠٢هـ إلى سنة ١٢٠٨هـ، وقام بالإصلاح معلم من



قصر الكاتب في حي السلامة بالطائف

بيشة. وقد ذكر خير الدين الزركلي: أن مياه المثناة تبلغ ٢٢ لتراً في الثانية، وفي الساعة ٤٠٠ر١٥٨ لتر، وفي الأربع والعشرين ساعة ٦٠٠ر٨٠١ر٣ لتر.

وفي المثناة ما لا يقل عن مئة بستان أغلبها للأشراف وغيرهم. وينبغي أن يلاحظ أن معظم بساتين المثناة بكل منها بئر، ويبدو لي أن تلك الآبار تستخدم في حالة الجفاف أو خراب العين من السيول.

ومن أشهر بساتين المثناة:

بساتين الشريعة، والرقاب، وقريش، والمديراء العليا والسفلى، والباطنة، والطويلة.

وتقسم مياه المثناة على وجبات، لكل بستان وقت معلوم للري من العين. وفي المثناة أجمل بساتين الطائف على الإجمال لاتقل في جمالها وكثافتها عن غوطة دمشق الشام. وشجرها ملتف كأنها غابة يصعب عبورها، بها من الفواكه ما لا يحصى، ومن أنواعها العنب، والخوخ، والرمان، والتوت، والسفرجل، والتين، والتين الشوكي، والمشمش وغير ذلك.

وكل من يزور الطائف فيما سبق لابد له من زيارة بساتين المثناة. وفي بداية حياتنا كنا نذهب مع بعض الأصدقاء والزملاء في الصيف إلى المثناة من حي قروى المجاور فنشرب من عين ماء المثناة الحلو البارد. ونأكل مما نشتريه من فواكهها اللذيذة. كما ننصت بشغف لأصوات الطيور المغردة ونسمع أهازيج المزارعين، وصوت (مقاليعهم) ممن يحمون العشب والفواكه من الطيور. وقد تلاشت الآن بساتين المثناة العظيمة بعد سنة ١٣٨٤هـ عندما اشترت الدولة مياه عين المثناة لشرب السكان في الطائف بعدما توسعت المدينة وقل سقوط الأمطار التي ما كانت تفارق الطائف من قبل. لقد كانت بساتين المثناة تجلب السعادة لزوار الطائف، وسكانها. وقد كان الكثير من أهل مكة المكرمة يأتون إلى بساتين المثناة ويقضون فيها ما شاء الله من الوقت في بيوتها وتحت أشجارها، فمن يصدق الآن أن المثناة ببساتينها وخضرتها وأزهارها اختفت حتى كأنها لم تكن، وأن أغلب أراضيها تحول إلى ما يسمى حي المثناة

ضمن حدود مدينة الطائف التي توسعت وأصبحت بذلك المثناة والبهجة ضمن حدود مدينة الطائف.

لقد اختفت البساتين وحلت محلها الدارات والعمارات والشوارع والحوانيت، ولله درّ الشاعر الذي يقول:

ما بين طَرْفة عين وانتباهتها

يُغيِّر الله من حال إلى حالِ

السيول

في سنة ١٢٠٠هـ اكتسح السيل المثناة ودمر بساتينها التي أعيد بناؤها من جديد، ويسمى ذلك السيل بسيل مُشَيْعِل وهي راعية غنم أشير عليها أن ترتفع بغنمها عن مجرى السيل إلى الجبل فامتنعت، وجاء السيل وجرف أهلها وحلالهم، ولم يبق سوى بنت تعلقت بشجرة طلح وسلمت، وقد توفيت منذ أربعين سنة.

وفي سنة ١٣٦٠هـ جاء سيل مدمر يسمى سيل (الربوع) أي يوم الأربعاء، ودمر بعض المزارع والبساتين، ولكنه كان أقل من سيل مشيعل، ووصل السيل على ما ذكر إلى فناء مسجد عبدالله بن عباس رضي الله عنه، وإلى حي السليمانية في الطائف الذي أزيل حديثًا. كما دمر السيل بستانًا بقرب مسجد الكوع.

السدود

يوجد في علو ضاحية المثناة سد قديم يسمى سد صعب وسد آخر يسمى سد الخندق جنوب وادي وج.

القلاع

لقد عرفت بالمثناة قلعة تسمى ـ مُشْرِفة، وتحولت فيما بعد إلى بيوت لذوي غالب وبيوت الشريعة.

المثناة في عيون المؤرخين

وصف خير الدين الزركلي ـ رحمه الله ـ (ت ١٣٦٩هـ) في كتابه «ما رأيت وما سمعت» فقال: «خرجنا في ١٤ صفر عام ١٣٣٩هـ إلى المثناة لما مالت الشمس إلى الغروب فصعدنا جبلاً مقابلاً فرأينا أجمل منظر شهدناه في الطائف ذلك وادي وج والمثناة الخضراء، وهي من أخصب الأرضين في هذه الديار جلب لنا ونحن أمام عين الخبزة سفرجل قطع أمامنا وهو في غاية الجودة كأنما حمل من زبداني الشام».

كما قال الأمير شكيب أرسلان (ت ١٩٤٦م)، رحمه الله، الذي قام برحلته في سنة ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م عن المثناة وقد رآها: أما المثناة فهي أجمل مزرعة في الطائف ووادي وج الشهير على جانبيه البساتين والجنان الغناء المشتبكة مثل شباك الغابة. وفي المثناة من الفواكه والعنب والسفرجل والخوخ ما هو في الطبقة العليا في نوعه.

حائط عُتبة وشيبة..



مسجد الخبزة

خرج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ليعرض عليهم دعوته إلى الإسلام فأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى لجأ إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة في المثناة وهما فيه، ولما وصل الرسول صلى الله عليه وسلم جلس في ظل حَبَلَة يستريح وابنا ربيعة ينظران إليه، وبه ما به من التعب فرفع يديه إلى السماء يدعو بالدعاء العظيم المعروف والمشهور في كتب الحديث ـ اللهم إني أشكو إليك ضعفي.. إلخ. فلما رأياه في هذه الحالة أمرا غلامهما عداس النصراني أن يذهب إليه فقطف له من العنب. فلما مد يده الشريفة ليأكل قال:

بسم الله إليه، فنظر عداس إلى وجهه فقال: هذا الكلام لا يقول به أهل هذه البلاد. فآمن عداس بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وأسلم.

المثناة في الشعر المعاصر

لقد تغنى بهذه الضاحية وجمالها وبهائها شعراء العصر في بلادنا وهم كثر ومنهم:

قال الأمير الشاعر أحمد نظام الدين بن معصوم:

فبنفسي على معزة نفسي
وبمالي ما جلّ فيه وقلا
خُرَّدٌ قد نزلن أكنافَ وجَ
وسَكنَّ المثناة حَزْنًا وسهلا
واردات من الشريعة نهلا
شاربات نهلاً فنهلاً فنهلا
فلعمري ما العيش يا صاح إلا
ما تقضى بروضها وتملاً
زمن باسم وعيش رخيٌ
وحبيب مواصل لم يملا

وقال الأديب الشاعر محمد بن يحيى قابل (ت ١٢٠٨هـ من جدة):

سقى الربع بالمثناة والمنزل الرحبا
وحيّا النوادي والمعاهد والشعبا
سقاها الحَيَا غيثًا هنيئًا مجللا
يعم الضواحي والمنابت والهضبا
منازل أنس ينبت العشق حسنها
بكل فؤاد قط ما تركت قلبا
منازل أنستني بلادي وآنست
فؤادي فكانت لي الطب والطبا

وقال أيضًا:

بقلبيَ ما بين السلامة والمثنى
فرادى شجون يقتفي إثرها مثنى
وبالسفح من ذات الحمى لي صبابة
صبا نحو قلبي في هوى ولها حنّا
بواعث وجد تستحث حشاشتي
بساحتها الفيحا وروضتها الغنّا

وكتب السيد الشيخ العيدروس إلى زميله الحسين بن النور قصيدة يستدعيه إلى المثناة:

أحسين كأس الأنس دائر
ولنا الصفا وافٍ ووافر
هذي الغصون تضاربت
من بعدكم فالروض حاضر
هذي الشريعة أنسها السـ
اري لكم بالقرب آمر

الشريد من أنضر بساتين المثناة

وقال الشاعر أحمد بن إبراهيم الغزاوي، رحمه الله:

بينما كنا أصيلا
في طريق المثناة
نمتطي سيارة قد
ولعت بالوثبات
لاح سرب يتهادى
عين يمين الأثلات
في غرور وحبور
وحُلّي وشبات
خالها البعض ظباءً
بكناس ناظرات
فإذا السرب إماءً
كالدياجي الحالكات
كالغرابيب وجوهًا
وأنوف الباخرات
يتمخطرن دلالاً
بقدود مائسات
فمضينا باكتئاب
ودرجنا في نكات

وقال أيضًا:

ولا أنس بالمثناة ليلات أنسنا
وبين الهدى أو جوار الكباكب

وقال اللواء علي بن صالح الغامدي، رحمه الله:

وحبذا المصطاف في أنحائه
في وج والمثناة والمنحنى

وقال الشاعر السفير محمد الفهد العيسى:

أشرعتني غيمة في ذكريات العمر
في المثناة في وج
في حوايا الحب أيامي رغيده

وقال الشاعر عثمان بن سيار الذي كان يدرس بدار التوحيد في حي قروى بالطائف:

تحـــيـــة من ربا نجـــد إلى بلد
قـضـيت فـيــه من الأيام أحـلاها
ومـا نسيت فلن أنسى مـرابعـهـا
وســدرة كنت في المثناة أرقــاها
أيام كنت أناغي الطيــر في جــذل
مـا كنت أعـرف مـا الدنيـا وبلواها

وقال حمزة الشريف:

طائف الشــوق طاف بي ودعــاني
من ديار الجـمـال والأقـحـوان
كـيف أنسى المثناة كـرمًـا وظلا
ومـلاذًا لرقــة الوجـــدان

وللشاعر محمود عارف، رحمه الله:

والتين في المثناة مـســتــروح
أعـــذبه في الناضج الأملد

وله أيضًا:

لهـا مطارح في المثناة باقـيـة
وفي الشفا والهدى ذكرى المقادير
من كل مـحـتـرق بالحب تشـغله
غيـر السلامـة في صبح وديجـور

وقال الشاعر علي أبو العلا:

اذكـرى المثناة والزهرة
تغـشـاها الأحـبـه
حيث كان الهمس والنجـ
وى وأحـلام الأحـبـه
تجمع الأحباب في صد
ر ينسي القلب غلبـه

وللأستاذ الشاعر علي العبادي:

يـا ورود المثناة ينفح بالعطـ
ر فـفـاح أريجـهـا في الجنان

وقال أكبر بن عمر المشرع من جزيرة (فرسان):

وفـي وج والمـثـنـاة للـريم خـطـرة
تغـانى بهـا مـحـروم مـا انفك شـاغله
ولا غـرو مـا للظبي من سـحـر لفـتـة
كنيل المنى قـد أثلج الصـدر آمله

وقال الشاعر خير الدين الزركلي، رحمه الله:

أمِن الغِـرِّيد في مــثـ
ناة وج واطمـــأنّا
كلمـا حل بغـصـن
رشف الطل وحـنَّـا

وقال الشاعر أحمد سالم باعطب:

وكم ضـمـنا وج إلى صـدره جـوى
وكـانت لنا المثناة مَلْهى ومنتـدى

وقال الشاعر فاروق صالح بنجر:

وكنا في صـبـا المثناة نلهـو
لشـرفـتـهـا الأنيـسـة كل حين
وتدخل من جـمـال القلب جـذبًا
إلى قـمـر تبـرعم في المزون
طغت في خـاطر الأوقـات جـذلى
بطائر وقـتـهـا الرغـد المصـون

وقال الشاعر الدكتور محمد بن حسين - الذي كان من طلاب دار التوحيد في حي قروى بالطائف:

أصـداء أيام قـروى خـيـر أغنيـة
والذكـريات إلى المثناة تثنينا
وللصـبـا صـبـوة بالطهـر مـشبـعـة
يا أمـا أحـيلى صـبـايا وهو يصـبـينا

ومن قوله أيضًا:

أيـن المـرابـع بـالمـثـنـاة أيـن ربـا
واد بمحــرم أين الظل والغــار
أين الرياض وقـد حـفت حـدائقـهـا
بالكرم تروى عليـه السـر أطيـار

ومن قوله:

وكـانت لنا المثناة مـهـدًا ومـربعـا
وأودية أنسـامـهـا نفـحـهـا عطر

نروح ونغدو كالعصافير فرحة
على كل معتم ينمنمه الزهر

وقال الشاعر الدكتور حمد الزيد:

فلنا في الهدى أصائل أنس
وبوادي المثناة كرم الجنان

وقال أيضًا:

لو حكى الرُمان في المثناة
لانثال أحاسيس ثريّهْ

وقال الشاعر الشريف محمد بن منصور آل عبدالله:

كبرت والحب العميق بمهجتي
لك يا تراب الجال والمثناة

وقال الدكتور ماجد إبراهيم العامري:

وعلى المثناة عرّجْ لحظةً
أرهف السمع إلى لحسين
وتَشرَّبْ ألقَ السحرِ الذي
يزدهي تحت ظلال الزيزفون
ولوج وجّه الطرف تجدْ
أرضه مفروشة بالياسمين

وقال الشاعر عبدالكريم بن عبدالله آل عبدالكريم:

تحت ظلال الدوح يا حادي
ألق عصا التسيار في الوادي
في روضة جاد عليها الحب
يصدح فيها البلبل الشادي
في أفرع المثناة أوليَّة
أو في الشفا يا خير مرتادي

وقال أحمد بن عبدالله بن ناصر العسيري:

ولي في وجّ نهرٌ من حكايا
وفي المثناة في الذكرى أذوب
هنا فرح الطفولة يحتويني
وذوب مشاعر نبع صَبيبُ

وقال الشاعر الشيخ أحمد فرح عقيلان، رحمه الله:

وحبذا المثناة إذ عينها
مزاجها الكافور والعنبرُ

وقال عبدالله بن مشعل بن زيد العلوي:

إذا جئت للمثناة فانصب بأرضها
خيام المحبة دون قيد ولا أمر
وأوقد شموع الحب في ليلها الذي
يناجيك فيه شادي الحب والقمري

وقال اللواء عبدالقادر عبدالحي كمال:

أين الحوية أيام بها انصرمت
وأين مثناتنا أم أين مأواكِ

وقال الشاعر إبراهيم مفتاح:

وتراءى لي الهدى ثوب عرس
وعيون المثناة تهفو لشبرا

وقال الشاعر علي حسن النعمي:

وسرى بي سرى إلى كل شبر
من جمال المثناة سعي لكسب
وجرى بي جرى إلى كل حي
من تراه بمشرق أو بغرب

وأخيرًا:

وأنا أسكن القلم في غمده.. فإن أشواقي مرهفة.. ونوافذ حزني مشرعة. أحس باللوعة وأنا أقف على ضفاف المثناة ـ وبي وحشة من الصمت ـ حيث الأزهار قد جفت، والطيور قد رحلت، والمياه قد غارت، والبهاء قد اندثر، والسُّمَّار قد رحلوا، فليس في الجو سوى السراب، وصيف بلا أحلام، وأمس بلا بقايا، وهيهات هيهات لذلك الماضي أن يعود.. ولله في خلقه شؤون، والحمد لله أولاً وأخيراً.

المراجع

١. الارتسامات اللطاف، الأمير شكيب أرسلان، مكتبة المعارف، الطائف.
٢. ما رأيت وما سمعت، خير الدين الزركلي، مكتبة المعارف، الطائف.
٣. الشوق الطائف حول قطر الطائف، حماد بن حامد السالمي، لجنة التنشيط السياحي بمحافظة الطائف.
٤. الطائف: جغرافيته، تاريخه، أنساب قبائله، كمال محمد سعيد، جمع وتعليق الدكتور سليمان كمال.
ورواية كل من:
- الشيخ عبدالله بن دخيل الله بن حمد الشنبري، من أهل المثناة، مقابلة في منزله، الأحد ٢٠ صفر ١٤٠٣هـ.
- الشيخ محمد بن عبدالله بن مكي الطويرقي، من سكان المثناة، موظف بمتوسطة المثناة، السبت ١٩ صفر ١٤٠٣هـ.
- مصادر الصور: الأستاذ حماد السالمي (أرشيف الفيصل).

إشكالية التجريب في الرواية

محمد صالح الشنطي
حائل - السعودية

مفهوم التجريب: مصطلح ذو مدلول واسع ملتبس، ولهذا فإنه لا بد من بسط القول فيه، فهو يعني - بداية - الخروج على القواعد المقررة استجابة لروح المغامرة الإبداعية، وهذا ما أدى إلى إسقاط الحواجز بين الأنواع الأدبية واختراق الجدر الوهمية الفاصلة بينها، بدعوى التجاوز والتخطي تارةً، وبدعوى الاستجابة لضرورات جمالية ملحة تارةً أخرى، وثمة من يرى أن هناك واقعًا متغيرًا، وأن هذا الواقع يتطلب تغييرًا في قواعد اللعبة الجمالية بما يناسب النفاذ إلى جواهره، وإعادة إنتاجه جماليًا، وفقًا للمفهوم الذي يرى أن الأدب - في مجمله - موازاة رمزية للواقع.

إن هذا الفهم الذي يتبدّى في كتابات فريق من الواقعيين يستبعد الحديث عن التجريب في إطار رؤية الفوضويين والتدميريين التي تأتي في سياق ثقافي مغاير.

لذا فإن أصوات التجريبيين التي انطلقت في العالم العربي تؤكد أن الأدب والفن التجريبيين ليسا بأدب تخريب، ولا أدب تهديم، وإن المبادئ الأساسية التي يعتمدها الأدب التجريبي هو رفع الحواجز الفكرية التي ظلت تهيمن على التاريخ والمواهب طوال سنوات، وأن الأشكال الفنية هي روح العمل الفني والأدبي، وهي خلاصة كيفية نظرة الفنان والكاتب إلى الحياة والواقع والمجتمع، وأن كل شكل مرتبط بتاريخ معين وبوضع معين، ويستعمل طريقة معينة، وكلما تقدّم المجتمع، وتعقدت بنيته الاجتماعية تطورت وتراكبت وسائل التعبير عنها، لذا فإنه لابد من أن يكون التجريب نابعًا من وعي تاريخي يرفض العناصر التي تنافي جوهر العصر وروحه، ولا بد من تفكيكها، وذلك عبر الدخول في مغامرة فنية وأدبية بعيدة عن التقليد للموضوعات الفكرية والأدبية والفنية، فالتجريب الأدبي غزو للمجهول، وقهر للمحظورات، وتجاوز للمتناقضات،


صموئيل بيكيت

ويرى التجريبيون أن الرواية بحث وجودي ينحصر في دائرة المنزلة الإنسانية، ويسبر أعماقها، ويستقصي إمكاناتها واحتمالاتها لتقمص واقعها والاستحواذ عليه، وليس هذا البحث تصويرًا لتلك

المنزلة بل هو تحدّ لها، وإثارة لباطنها، وكشف لزواياها المتعددة، وهي فن يستكشف بواسطة العلامات والرموز والأشكال(١).

بين مألوفية البناء وتشكيلية التجريب

وفي مجال النصوص الروائية، فإن هناك نماذج محكمة التشكيل ضمن تقاليد البناء الفني للرواية، ولعل أشهرها ما يندرج في إطار صيغتين بنائيتين هما النموذج الدائري حيث تنطبق النهاية مع البداية، وتتكرر دورة الحياة عبر انفتاح الدائرة وانغلاقها، وهذا المعمار الدائري ينطوي في بعد من أبعاده على درجة ثبات العالم واستمراريته على منوال متكرر شبه ساكن، حيث تشير دوائره المتكررة المغلقة إلى سيادة منطق ما يحكم هذا العالم على الرغم من كل ما يدور فيه من عشوائية وعفوية.

أما النموذج الثاني، وهو ما يعرف بالنمط الجدلي، فهو الذي تتفتح البنية السردية فيه على المستقبل باستمرار مما يجعله مسايراً لمفهوم الزمن في تجزئه إلى لحظات، فهو ذو بنية مفتوحة، ففي مقابل انغلاق الحدث في النمط الدائري وعودة الزمن إلى بدايته تظل الرواية مفتوحة وقابلة للتطور، فهي في حالة تحول دائم فتنبني الرواية على أساس وجود فرضية يتولد عنها نقيضها، ثم يعاد تركيبها من جدل النقيضين وهو جدل ثنائي.

وإذا كان هذان النموذجان البنائيان هما السائدان في الرواية بشكل عام، فإن المنحى التجريبي يتمثل في كسر هذه النمطية القائمة على التماسك البنائي المحكوم بمنطق في تشكيل مضاد للبنية عبر التشظي والتقطع، فالمحكي منه لا يمكن أن يكتمل أو ينبني، ويبدو بلا نهاية، إذ تظل في تحول دائم فهي تتجاوز وتتحول ولكن دون أن تتطور لتنتهي إلى غاية محددة(٢).

وقد عمد أصحاب هذا الاتجاه إلى استثمار بعض وسائل الكتابة الشعرية لكسر الإطار السردي المتتابع والتموضع داخل الموقف الغنائي الذي يركز في الخطاب بدلاً من الاحتشاد في إطار ما عرف لدى الشكلانيين الروس بالتاريخ، والمقصود به الحدث في تتابعه المعتمد على الوقائع، كذلك النزوع نحو التجريد.

وفي إطار هذا الفهم النظري للتجريب في الرواية كان تعريف إلان روب جرييه للأدب بأنه «ليس كتابة لمغامرة وإنما مغامرة الكتابة، وهذه المغامرة تنامٍ حر للكلمة»(٣) والمغامرة غير محددة في حركتها ومسيرتها بل حبلى بالمفاجآت والمفارقات والتحولات غير المتوقعة، وثمة من يرى أن حركة الكتابة منعتقة من أي اتجاه محدد أو قصد مسبق ومن أي فكرة أو غاية، فاللغة مجرد مادة تشكيلية وفق ما تمليه عملية الممارسة نفسها من إيحاءات وتصورات متولدة تلقائياً بفعل آلياتها الخاصة، فالاهتمام منصب على الجانب التقني في الدرجة الأولى، وقد برزت أشكال متعددة من التجريب في إطار فلسفة الرواية الجديدة بالإضافة إلى مبدأ تحطيم العناصر والأشكال الذي امتد ليطال الشخصية والزمن عبر التفتيت والتشتيت المتعمد مثل مبدأ «المعارضة النصية»، و«معارضة الأحداث»، و«المعارضة الانعكاسية»، ومبدأ «تدهور القص»، ومبدأ المعارضة يبرز في محاكاة نص مشهور من منظور مفارق على نحو ما فعل إلان روب جرييه في روايته «المحاوات»، حيث عارض أحداث «مأساة أوديب»، لسوفكليس(٤)


الان روب جرييه

والرواية التجريبية رواية تهتم بعملية التشكيل في الدرجة الأولى، إذ تعمد إلى الخروج على الشكل الروائي المألوف بزعم أن العبث بالشكل والسعي إلى اكتشاف الوضع التشكيلي الملائم هو في حد ذاته بحث متصل من

أجل اكتشاف الحقيقة، وثمة من يرى أن البطل في الرواية التجريبية منشغل بعالمه الداخلي وصنع أسطورته الخاصة. ومن الواضح أن هذا النمط الجديد استفاد (على نحو ما) من مسرح يونيسكو وبيكت وآرثر أداموف وجان جينيه وغيرهم من أعلام مسرح العبث، وعلى قاعدة وحدة الفنون، فإن أعمال الرسامين التكعيبية والسورياليين لم تكن بمنأى عن التأثير في هذه الرواية، فضلاً عن الأساليب السينمائية الحديثة(٥).

وقد تشكل تيار تجريبي واضح في السرد العربي المعاصر سيطر عليه الغموض، فلم يعد ملتزمًا منطقًا محددًا، وقد أدى الغموض في الرؤية إلى تشظية الشكل وتشذيره، فالرؤية الداخلية والاستبطان الذاتي واستخدام أكثر من مستوى وعي في العمل والبحث عن اللاوعي المتعالي وما إلى ذلك من استخدام أساليب المسخ والتشويه والتحويل عبر لغة تجريدية تحاول أن تقدم عالمًا أسطوريًا أدى إلى هذا التداعي الشكلي غير المنسجم والدال في الوقت نفسه.

ثمة حديث عن تثوير اللغة وتعدديتها في هذه الرواية، وعن تكسير السياق اللغوي الموروث بإزاء تكسر السياق الاجتماعي حيث التنقل بين الشاعرية والتسجيلية والتماسك والتفكك، فضلاً عن أسطرة المكان والهالة الشعرية المحيطة به وبالشخصية، واستثمار الصوفية لغة وتجليات عند أمثال الخرّاط، وإبراهيم نصر الله، وهاني الراهب، ثم تكثيف المروي وتهشيمه أو تفجير الحلم واللاوعي وما إلى ذلك(٦).

التجريب الفانتازي والعجائبي

ولعل توظيف الفانتازيا أو ما يسمى بسردية التعجيب من أهم ملامح التجريب في الرواية حيث تضفي هذه الفانتازيا في تداخلها مع السردية المقابلة التي تعنى باليومي والنفسي دلالات يعاد إنتاجها بحيث تتشكل في فضائها رؤية جديدة تنداح فيها دائرة

تشكَّلَ تيار تجريبي واضح في السرد العربي المعاصر سيطر عليه الغموض، فلم يعد ملتزمًا منطقًا محددًا، وقد أدى الغموض في الرؤية إلى تشظية الشكل وتشذيره



صنع الله إبراهيم



نجيب محفوظ

التأويل إلى أوسع مدًى، فالحدث الفانتازي يمثل عنصرًا دلاليًا يضاف إلى العناصر السردية الأخرى، فيؤدي إلى تكثيف الصورة من خلال مفارقة الواقع والإسهام في تأويله عبر ما يحدثه من تحولات.

ومرجعيات الفانتازيا تعود إلى كثير من المنابع المعروفة في جماليات الأدب، كالأسطوري والفولكلوري والشعبي، وكلها تلتقي حول لا مألوفية الحدث متداخلة مع السرد الذي يمنح من الواقع العياني ملتقطًا تفاصيل صغيرة وهامشية يراكمها السارد منتجًا دلالة متواشجة مع الفانتازي والتاريخي، ولا يتوقف السرد الفانتازي عند حدود الحدث أو الشخصية، بل يمتد إلى المكان ويضفي عليه مظاهر التهويل والتعجيب، وقد تنوعت أساليب التجريب الفانتازي في استنطاق النص ليفضي بما يستكن في أعماقه حيث تتناسج الخيوط السردية وتتشابك، وإذا

كان الوصف يمثل عنصراً من عناصر الحكي فإن الحديث عنه منفصلاً عن السرد بمعناه التتابعي يبدو ضرورياً لاستكناه منهج التشكيل الفانتازي في إطار ما يسمى ببلاغة التخييل التي تنهض على نشر علامات متعددة زمانية ومكانية مخترقة باسترجاعات واستباقات وتقنيات تعود في مجملها إلى التقنيات المعروفة في السرد الواقعي، والوصف يحتل حيزاً مهماً في سياق السرد الذي ينهض على ثنائية (القصة/ الحكاية)، ويحتال السارد في موضعة الفانتازي في السياق السردي المعتاد عبر اتكائه على ماضوية تمنحه حرية ابتداع الصور الغرائبية وتضخيمها، وهي تشبه في ذلك ما يحدث في روايات الخيال العلمي التي تعتمد على المستقبل الذي يرتهن عليه الحدث، ويكتسب من خلاله مشروعية احتمال الحدوث، وهي تقنية من الممكن أن يعتمدها السرد الفانتازي في حكيه المرهون بالمستقبل المغيب والمحجوب، كما يتكئ السرد الفانتازي على مبدأ الإلهام بحدوث العجائبي متزامناً مع الواقعي متستراً خلف ما هو غيبي لا يمكن رصده أو الكشف عنه.

ويندرج في هذا السياق ما يعرف بالسرد المدرج أو المتخيل حيث يتم الاتكاء على أنساق كتابية مفارقة كالبيانات والبلاغات والتقارير والرسائل والنداءات والمقالات وما إلى ذلك مما يغذي إستراتيجية الإيهام التي تتعلق بالسرد العجائبي، بالإضافة إلى أن التجريب الفانتازي يعمد إلى إيجاد مستويين من السرد استناداً إلى (جيرار جنت) الأول يسمى السرد الابتدائي يتولد عنه مستوى ثان، فالمستوى الأول يبدو قريباً من الواقعي، ولكنه يفارقه بعناصر تبدو ذات طابع عجائبي، وأما

العجائبي في الرواية العربية يرتبط بالذات والتاريخ واللاشعور، ويدخل في إطار ما يسمى بالمكر الروائي الهارب من قبضة القراءة المتحفزة



الطاهر وطار

الثاني فيلتقط هذا الخيط ليتكئ في مجمله إلى سردية التعجيب في اختراقها الكلي للمألوف والطبيعي. وهنا يتولد الغرائبي من المألوف على نحو تلقائي، والمستوى الثاني من السرد من شأنه أن يفسر العناصر الغامضة في المستوى الأول، ولكن هذا التفسير من شأنه أن يبقي على المفارقة التي تحدث الصدمة الفانتازية ولا يلغيها.

ويستثمر السارد الفانتازي الوصف بمستوياته المتعددة، فهو يوظف تقنية المشهد في الدرجة الأولى حيث عنصر الحركة والسكون والموصوفات فوق الطبيعة تكون حركية الطابع، لذلك يناسبها السرد المشهدي ولكي يمسك السارد بهذا المشهد بسماته العجائبية يلجأ إلى أكبر قدر من الدقة واليقظة في استخدامه للغة، وثمة مستويات ثلاثة للوصف الفانتازي: أولها اختيار الجزئيات وتصنيفها وتوتيرها على أساس من بلاغة التخييل التي تنهض على الغرابة الناجمة عن المفارقة، والتركيز في الملتقى لجلب اهتمامه عبر العمل على تغريب المكان والإنسان والأشياء. أما المستوى الثالث فيتمثل في عنصر التشتيت والتجميع حيث يركز السارد في وصف الشخوص من منظورات متعددة، وفي أوضاع مختلفة مع قصد الإيهام بعدم الترابط، ثم العمل على تكثيفها وتجميعها في ذهن المتلقي لإعادة قراءتها قراءة دلالية، ويتركز الوصف الغرائبي في عنصر الزمن الذي يمثل خاصية جوهرية، ولذا فإن وصفه يحظى باهتمام زائد وهو منفلت من إطار التحديد، ومن ثم الاهتمام بالوصف المكاني في عمقه، والتركيز فيما هو غير مرئي فيه، كما يركز السرد الغرائبي في مظهر

الشخصية في غرابتها وإشارتها إلى المظهر الداخلي عبر اختيار مفردات وعلامات أسلوبية تسهم في تخصيص الوصف، ولا بد أن يحمل الوصف كتلة دلالية تسهم في تأويل أحداث الرواية.

ولابد من الاستعانة في الوصف بمفردات مركزة وصميمية تحقق الإضاءة لمجموع المحكي، ومن وظائف الوصف في السرد العجائبي ما يسمى بالوظيفة التأجيلية حيث العمل على تأخير مستمر لخاتمة منتظرة، إذ يتوقف السرد فجأة ليفسح المجال للوصف الذي يوقف حركة الزمن، وذلك حينما يتعلق الأمر بإعطاء تفسير ما، والوظيفة التنظيمية التي تهيئ المتلقي لتقبل الأحداث العجائبية، وثمة وظيفة أخرى تعرف بالوظيفة التبئيرية التي يؤدي إلى التركيز في حقيقة معينة حيث يتم التركيز الوصفي الداخلي والخارجي حول كيان يقصد شد الانتباه إليه كمركزة الشخوص والأمكنة حيث الوصف المركز والدقيق من أجل إيجاد معرفة معينة بأسلوبية جديدة تكسر البلاغة الأحادية المعجم.

أما فيما يتعلق بالزمكانية أو ما يسميه باختين (كرونوتوب) فإنه يتباين مع الزمن العادي والمطلق، والزمن الفانتازي زمن كابوسي حيث يستولد الدهشة والتزود في نفس المتلقي، يحدد تفاعل المفارقة والتناقض وسط العجائبي، وهو يخضع للمسخ والتحول، والزمن دائري يقاس بالمساحة الروحية، وهو مشاع بين الأزمنة في إطار مقاييس ضد المألوف، ويتعدد الزمن وينطبع بسمات فانتازية كابوسية يسير وفق متغيرات لا حقائق ثابتة، أما المكان فينفلت من الأبعاد الإقليدية إلى أبعاد متعددة، ويستنتج من أشكال جد معقدة، وفضاؤه فضاء لغوي، فهو فضاء المنظور الذي يرى الراوي من خلاله الأشياء.

فالفانتازيا تؤكد المفارقة، وتقلص دور ما هو طبيعي، بل وتمسحه، وتدمره، وهو قريب جداً من أشكال أخرى كالخيال العلمي، والتحليل النفسي، فهي تقنية تجريبية (٧).

هكذا فإن العنصر الفانتازي في السرد عنصر تجريبي لأنه يخالف المألوف، ويتجاوز الواقع وإن بدا - في سياق ما - أنه تفسير له، وكشف عن خفاياه، وتشكل لرؤية وذو بعد فكري له، من هنا كان للتعجيب والتخييل أهميتهما في هذا الإطار.

التجريب والسردية الشعبية

وإذا كان ثمة من يشكو من الفجوة بين الروائي العربي المحدث والسردية الشعبية ومن شكلية استثمار التراث السردي العربي، فإننا سنلمح في التجربة الروائية التي تنحو منحى تجريبيًا ما يخفف من وطأة هذه الشكوى، وخصوصًا في النموذج الذي عكفت على مقاربته.


سحر خليفة


إبراهيم نصرالله

وهناك من يتأسى بالرواية التجريبية في الآداب الغربية، وهناك من يبحث عن الخصوصية مستفيداً من النفس السردي الماثل في اليومي والهامشي والشعبي والأسطوري، حيث الاهتمام بالتفاصيل الصغيرة، وتطوير العلاقة مع الموروث الحكائي، وأدب الرحلة والتاريخ والفانتازي والعجائبي، وهناك من عمد إلى التجريب رغبة في التجديد والتنويع، كنجيب محفوظ، والطاهر، وطار والميلودي شغموم، وظل الخوارقي في

أعمال هؤلاء عنصراً ضمن عناصر أخرى في بنية فنية تتجاوز الواقع بالسخرية منه، ويتنوع هذا العنصر من حيث ارتباطه بالماضي وما فوق الطبيعي في التراث، وفي الأحلام والرؤى وأسطرة الواقع وعبر المسخ والتحويل والتضخيم، وثمة من صنّف مرجعيات العجائبي في الرواية العربية بالمرجعية التراثية والمرجعية المحلية الموروثة والتراث العالمي.

ومن الملاحظ أن العجائبي في الرواية العربية يرتبط بالذات والتاريخ واللاشعور، ويدخل في إطار ما يسمى بالمكر الروائي الهارب من قبضة القراءة المتحفزة، فالمكر الروائي يرحّل الحاضر إلى الماضي، ويلبس الماضي زي الحاضر، ويثبت أمكنة لم تر، ولم تعرف، ويختزل الأمكنة المتعددة في وحيد، ويلهو بأسماء المدن، ويعبث بأسماء البشر، ويخلط بين الحكاية والأحجية، كما يقول فيصل دراج، وهذا ما أتاح لجمال الغيطاني أن يقرأ هزيمة يونيو/حزيران في هزيمة سابقة عليها، وسمح لرضوى عاشور أن تجعل من الأندلس برهة عربية حاضرة، وجعل سحر خليفة تضع فلسطين في هيئة امرأة مهانة، ولعل الرواية المغاربية بعامة محكومة بالرغبة الملحة في التجريب والتحديث، فالتجريب وتكسير خطية السرد وأحادية الصوت والخطاب كل ذلك يمس اللغة والشكل والمعنى والرؤى على السواء، فيطبعها بالتجديد والتنوع والتوالد، وبتلاشي الحدود بين الأجناس الأدبية والتعبيرية، وبتعدد الرؤى والدلالات حيث تتشكل مغامرة الكتابة، فثمة من يرى أن الأشكال الروائية المغربية تلتقي كلها عند تيار التجريب الحداثي، فالسرد يتسم بالتصدع بانفتاحه اللانهائي حيث الشكل الدينامي الذي يحد انسجامه النصي في التوالد والانفتاح(٨).

وأحصى الدكتور علي شلش في كتابه «نشأة النقد الروائي في الأدب العربي الحديث»، ما يقرب من ٢٥٠ رواية عربية مؤلفة بين عامي ١٩١٤م و ١٩٧٠م(٩) كانت تستلهم التراث الأدبي العربي القديم في بعض أبنيته التعبيرية، كالمقامة، كما تعمل على استلهام بعض اللحظات التاريخية والاجتماعية والأخلاقية، كما فعل جبران، وهيكل، ولاشين، وكما نجد في كتابات محمود السعدي، وإميل حبيبي، والغيطاني.

أصبحت الرواية العربية بحق التاريخ الإبداعي العمقي المتخيل داخل التاريخ الموضوعي العربي المعاصر، الوعي الإبداعي الكاشف عن جوهر مفارقات هذا التاريخ وتناقضاته وصراعاته وأزماته ومواجعه والتباساته، ويستعرض بعض النقاد أعمال كبار الروائيين، فنجيب محفوظ يمثل تاريخاً تلميحياً واحداً لمرحلة متصلة زاخرة بالتناقضات والصراعات بين الأشخاص والأحداث والقيم والمواقف التي تشكل التجريبية السردية الخاصة ما هو أعمق من التاريخ في مظاهره الحديثة، والدكتور عبدالرحمن منيف يكتب تاريخاً وجدانياً إبداعياً عميقاً لنشأة الظاهرة الفنية وتناقضاتها وتطورها، وجمال الغيطاني يستلهم مختلف أنماط التراث العربي الإسلامي والتاريخي والديني والثقافي التي تتحدث عن ظواهر الاستبداد والفساد والاغتراب، وصنع الله إبراهيم قدّم في روايته «تلك الرائحة»، وقائع متعددة التشكيل ونصوصاً حقيقية تسجل ما يحدث لنا وما علينا، وليس من شك أن العنصر التجريبي ماثل على نحو شديد الوضوح في هذا النمط من السرد وإن تكن الخصائص الأخرى التي أشرنا إليها من قبل غير حاضرة، غير أن رؤية التاريخ على نحو مغاير للمألوف وتوظيفه واستثماره بطريقة جديدة لا يعدّ بعيداً عن هذا المنحى، فالبناء الروائي في

الحدث الفانتازي يمثل عنصراً دلالياً يضاف إلى العناصر السردية الأخرى، فيؤدي إلى تكثيف الصورة من خلال مفارقة الواقع والإسهام في تأويله عبر ما يحدثه من تحولات

«الزيني بركات» لجمال الغيطاني - على سبيل المثال - يقوم على قاعدة تناصّية. والحقيقة أن البناء يتجاوز التناص المألوف إلى إيجاد نوع من الجدل الزمني بين وضعيتين تاريخيتين حيث تنبني المفارقة البنائية الرئيسة في النص، ولعل النص الذي اختار معارضته وموازاته هو كتاب «بدائع الزهور في وقائع الدهور» الذي يوثق مرحلة تاريخية تمثل عصر المماليك مركزاً في المرحلة السابقة لهزيمتهم أمام الأتراك العثمانيين التي تبدو عتبة رئيسة للولوج إلى رحاب الرؤية الاجتماعية والسياسية للرواية، كما أن المقتطفات التي اختارها ورتّبها داخل الرواية، وإن كان لها منطقها الخاص فهي محاولة جديدة تدخل في إطار التجريب، كما أن شخصية الزيني بركات تحمل ملامح زعامة لها حضورها في الأذهان، وإن لم تكن معادلاً جبرياً لها.

الرواية القصيرة

لقد ظهرت الرواية القصيرة التي هي من أكثر أجناس السرد القصصي إشكالية ومراوغة، فسيولة البيئة السردية ووقوعها في المنطقة السردية الممتدة من الروايات حتى القصة القصيرة يبرزان إشكالية التجنيس.

إن دراسة الرواية بوصفها جنساً أدبياً تتسم بصعوبة واضحة، وذلك بسبب الطبيعة الفريدة لموضوع الدراسة نفسه، وهو الرواية بوصفها الجنس الأدبي الوحيد الذي مازال مستمراً في التطور ولم تكتمل ملامحه لأنه جنس أدبي لا يزال فاعلاً ومتحولاً أمام أعيننا، فميلاد الرواية وتطورها جنساً أدبياً متميزاً يدوران في معمعة التحولات التاريخية التي نعيشها، ولذلك فإن الهيكل التجنيسي للرواية لم يتصلّب عوده بعد، وليس باستطاعتنا التنبؤ بكل احتمالاته التشكيلية(١٠).

فمجيء الرواية إلى الوجود وانفصالها عن الأشكال التقليدية والمواقف المتخيلة جعلا التحرر من المحددات الشكلية والتجنيس السمة المحددة لها، فالرواية في بعض تعريفاتها الحديثة هي خطاب المتناقضات الذي تصطرع في ساحته ليس فقط مجموعة من اللغات المتصارعة، وإنما مجموعة من الخصائص الكيفية المتناقضة، فهي كيان ليس له أي وجود طبيعي أو إيجابي وليست نوعاً أدبياً محدداً له تاريخه المستمر، ولكنها سلسلة من الأعمال التي يشبه بعضها بعضاً كأبناء الأسرة الواحدة.

فالعناصر المشتركة بين الروايات ليست حفنة من الخصائص المحددة، وإنما مجموعة من العلاقات المعينة بالأعمال الأدبية الأخرى، وبالوضع الثقافي الذي انبثقت منه وبالقوى، لذا نجد أحد منظري الرواية المشهورين مثل باختين يقول: تعد الرواية الجنس الأدبي الوحيد الذي ولد وترعرع في هذه المرحلة الجديدة من تاريخ العالم، ولذلك فإنه يقترن بها بعمق، وهكذا تبدو في حد ذاتها فناً تجريبياً ينهض على أساس منه، وجوهر إبداعه يتصل بالإبداع المتجدد.

المراجع

١- عز الدين المدني، الأدب التجريبي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس،١٩٧٢م، ٥ - ص٣٥.
٢- عبدالرحمن بو علي، أشكال المعمار الفني في الرواية العربية الجديدة، علامات في النقد الأدبي، نادي جدة الثقافي، المجلد التاسع، الجزء الثالث والثلاثون، سبتمبر ١٩٩٩م، ص ٨٩.
٣- إلان روب جرييه، نحو رواية جديدة، ترجمة مصطفى إبراهيم مصطفى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.
٤- غالي شكري، وجوه الفانتازيا، فصول، القاهرة، المجلد الثاني عشر، العدد الأول، ربيع ١٩٩٣م.
٥- د. السعيد الورقي، اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، ط١، ١٩٨٢م، ص ٣١٦.
٦- نبيل سليمان، فتنة السرد والنقد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط٢ ٢٠٠٠م، ص ٧٣ وما بعدها.
٧- شعيب حليفي، مكونات السرد الفانتاستيكي، فصول، القاهرة المجلد الثاني عشر، العدد الأول، ربيع ١٩٩٣م، ٦٥ - ٩٤.
٨- عبد الحميد عقار، تحولات الرواية المغاربية «مداخل»، فصول مجلد ١٦، العدد الرابع، ١٩٩٨م ص ١٣٠وما بعدها.
٩- علي شلش، نشأة النقد الروائي، الإنجلو، القاهرة.
10 - M.M Baktin,The Dialogic Imagination Fcuressays, Trans. Caryl Emersonamd Michal Holguist.Austin, University of texas press, 1980, p3.

إزالة مدينة أثرية

حمود علي منصور
صنعاء ـ اليمن

على بعد نحو مئة وعشرين كيلو مترًا شمال صنعاء ـ عاصمة اليمن ـ تقع مدينة (أثافت).. مدينة هادئة تعيش في نعيم.. من حولها مزارع العنب وأنواع الفواكه، سوقها غني بأنواع البضائع التي تردها من أماكن شتى، سكانها يزاولون التجارة والصناعة والزراعة والبناء، وتقديم الخدمات للمسافرين، فهي محطة بريد، وعلى طريق الحج والتجارة بين اليمن والحجاز والشام والعراق.

من محطات الحج

قال أبو محمد الحسن الهمداني: إن طريق الحج من صنعاء إلى مكة ٢٢ مرحلة: الأولى إلى ريدة التي تبعد عشرين ميلاً، وتقع على ١٤ درجة و٤٨ دقيقة شمالاً، والثانية إلى أثافت التي تبعد عن ريدة ستة عشر ميلاً، وتقع على ١٥ درجة و ٣٠ دقيقة شمال خط الاستواء(١). والميل الذي يعنيه الهمداني يعادل نحو ٤ر٣ كيلومترات.

للمدينة سور وتحصينات قوية، وموقعها حصين.. بناؤها قديم جدًا، جاء ذكرها على لسان رجل من بني عمرو بن الغوث الذي انطلق للبحث عن مكان مناسب لإقامة (الأزد) الذين خرجوا من مأرب بقيادة عمرو مُزَيْقياء بن عامر ماء السماء(٢)، ومعه مالك بن اليمان قبل تهدم سد مأرب الشهير حيث قال:

ألما تعجبوا منا ومما
تعسفنا به ريب المنون
تركنا مأربًا وبه نشأنا
وقد كنا بها في حسن حال
نقيل سروحنا في كل يوم
على الأشجار والماء الزلال
وكنا نحن نسكن جنتيها
ملوكًا في الحدائق والظلال

ومنها قوله:

أبعد الجنتين لنا قرار
بريدة أو أثافت أو أزال(٣)

وذكر أثافت هنا مقرونة بصنعاء (أزال) وريدة يدل على كبر حجمها، وأهمية موقعها وقدمها أيضًا. ومما يدل على أنها كانت مدينة عامرة أن الشاعر الجاهلي أعشى بني قيس بن ثعلبة كان يسافر إليها، ويقضي فيها أيام جني العنب، وفي ذلك يقول:

أحب أثافت وقت القطاف
ووقت عصارة أعنابها(٤)

وقد ذكرها علقمة بن زيد بن بشر(٥) عند وصفه للطريق التي سلكها من بلاده إلى صنعاء قائلاً:

ترامت ببوبان بأول ليلها
وماء أثاف والعريب رقود


آثار بئر قديم

فـصـبـحن ذاقين وكـبـر وفـدنا
وقـد قـابلتنا أنجم وسـعـود

ومنها:

فلمـا رأينا من أزال قـصـورها
تبـادر منا مـخـبـر وبريد
ولم نر إلا مـردف الأرض رُحلة
لأعظامـهـا دارًا ونحن حـفـود
أبا المنذر الفياض يا خير حمير
وخـيـر بني ذهل إليك تريد
تريد نوالاً من سـجـال غـزيرة
فـأنت لها في النائبات مـفـيد(٦)

لقد كانت أثافت محطة للمسافرين يجدون فيها ما يريدون من ماء عذب ومأكل ومسكن.

وفي رحلة حج للشاعر أحمد بن عيسى الرداعي(٧) يصف الرحلة والأماكن التي مر بها يقول عن أثافت:

ثم بدت للركب والركـاب
أثـافت مـزهـرة الأعناب
بهـا البـريد حف بالجـواب
ثمت ناديت إلى أصـحـابي
شـيب وشـبـان كأسـد الغـاب
روحوا على الجبجب ذي الجبجاب(٨)

مركز صراع

في أيام الإمام الهادي يحيى بن الحسين الرسي(٩) حصل صراع عليها بينه وبين الدعام بن إبراهيم كبير أرحب (الذي حاول أن يتولى ملك اليمن بدلاً من آل يعفر الحواليين) وقد تعرضت أثافت للنهب سنة ٢٨٥هـ من طرف أنصار الإمام بعد هزيمتهم وفرارهم، ثم عادوا إليها على أثر مغادرة الدعام وقوته إلى موطنهم، وأخلوا المدينة من القوة العسكرية الكافية لحمايتها، ويقول كاتب سيرة الإمام: إن الإمام أنكر ذلك غاية الإنكار(١٠).

كما أن السلطان علي بن حاتم خرج إلى أثافت في جيش عظيم سنة ٥٦٦هـ، لنصرة الإمام أحمد بن سليمان ضد خصومه الشرفاء القاسميين فعجز جيشه عن الاستيلاء عليها فلجأ إلى تخريب القرى المحيطة بها وتدمير حصونها وإزالة أشجار أعنابها، حينها اضطر سكان أثافت للتسليم حماية لبقية البلدان المحيطة بها (١١).

سكان أثافت

تحت عنوان نسب آل ذي كبار يقول الهمداني :«فأولد عمرو ذو كبار بن سيف يزيد ومنه انتشرت أبيات الكباريين، منهم عمارة بن عبيد بن يزيد بن عمرو ذي كبار الشاعر الجاهلي، وحشيش من ولد الشاعر، الشاعر ودار ذي كبار من بلد همدان أثافت، ويسميها كثير من همدان «أثافه» على من يقول تابوت وتابوه، ولهم بها عدد وشرف وكرم(...) ومنهم فرسان اليمن وشوكتها بنو طريف بن ثابت الكباري».(١٢)

كما أورد أسماء سلالة عمرو ذي كبار في صفحتي (٦٨، ٦٩) من الإكليل الجزء العاشر. وقال أيضًا:«وحورة بطن يسكنون أثافت مع آل ذي كبار»(١٣).

أما في نهاية القرن السادس الهجري فقد كان أهم سكان أثافت هم آل المكم كما جاء في السيرة المنصورية ص ٥٨٤، ٧٦٤.

الترغيب والترهيب

خضعت معظم اليمن لحكم الأيوبيين الذين جاؤوا لإنقاذ اليمن من الباطنية وغيرهم، وعندما فقد الباطنيون ملكهم شجعوا الإمام عبدالله بن حمزة ليعلن الحرب على الأيوبيين، وقدموا له الدعم، وأنزلوه في حصنهم المتميز «ذي مرمر» (١٤). وزوجوه منهم.

وقد انطلق الإمام محارباً لكل من يقدر عليه ممن لا يعلن ولاءه له ومن تبعات الولاء تسليم الواجبات المالية له وإضافة عبارة «حي على خير العمل» إلى الأذان والإقامة، والتوجه للقتال معه حيث ما يشاء.

سكان أثافت رفضوا دعوة الإمام، وظلوا على ولائهم للسلطة الأيوبية، بل وطردوا كل أنصار الإمام من المدينة، ومنعوا تقديم المعونات لحصن ظفار(١٥) القريب منهم، فأرسل الإمام إليهم رسالة فيها ترغيب وترهيب واستعطاف(١٦)، وقد تجاهل أهل أثافت رسالة الإمام فقرر إعلان الحرب عليهم.

وتوجهت حملة بقيادة الباطني نصر بن محمد، لكن الحملة أخفقت لشدة دفاع سكان المدينة، وصمم الإمام على حرب أثافت، فأرسل حملة ثانية حاصرت المدينة، وجاءت نجدة قوية من صنعاء، فهرب أنصار الإمام، والتجؤوا إلى حصن ظفار القريب من أثافت(١٧).

إعلان الحرب

بعد عودة النجدة إلى صنعاء وهدوء الأحوال، لجأ الإمام إلى تكتيك جديد وهو القيام بغزوات ليلية على أثافت «اضرب واهرب»، كما استخدم الحيلة والحرب المعنوية ضد أثافت، كإشعال النيران في رؤوس الجبال


جانب من طبيعة أثافت حاليًا

لتحطيم معنويات سكانها، ثم أعلن النفير العام لحرب أثافت .. تجمعت القبائل من عدة أماكن طمعًا في الغنيمة لما تحويه المدينة من أموال وتجارة .. وقد تمكن المهاجمون من اقتحام جزء من المدينة فاستسلم شيخ المدينة في ٢٥ من رمضان سنة ٦٠١هـ، وطلب الأمان، فأعطاهم الإمام الأمان على أرواحهم دون المال والبلاد، ولكن المهاجمين واصلوا القتل لسكان المدينة.

يقول مؤلف السيرة المنصورية: «فمازال الخراب فيها حتى بلغوا الأساس، ونقلت الأبواب والأخشاب إلى كل قرية، وعاد العسكر بعد ذلك لخراب القرية بعد أن تغنموا ما كان فيها من الآلات والأثاث والحبوب على أصنافها وأهريقت الخمور، وكسرت آلات الملاهي من الطنابير والأدفاف وغيرها، وكانوا قد أعدوا من ذلك كثيرًا للعيد «عيد الفطر» وأكثر من تولى خراب القرية والمصنعة بنو قيس حتى تركوها خالية خاوية. واستقصوا في هدم جدرانها حتى تركوها بلقعة يستوحش فيها من جاز بها، وأخمد الله تعالى بهدمها نار المفسدين، وسكنت شقائق المعاندين»(١٨).

الانتشاء بالنصر

من قصيدة للإمام عبدالله بن حمزة:

قامت دلائل دولة الإسلام
وبدت شواهدها بهذا العام
وعلا منار الدين بعد خموله
متألقًا في يمنة وشآم
ظن الملوك الظالمون بأنني
أغضي ولي ثأر على الأيام

ومنها:

كانت بثافت آية مشهودة
والآية الأخرى بجوف دعام

ومنها:

الأمر لله المهيمن وحده
يمحو ويثبت مايشا بتمام



من بقايا آثار أثافت

إن شاء ملكني جبال نفوسة
فالقيروان فأذرعات الشام (١٩)
والشرق حتى تستمر أوامري
فيه وراء النهر سير العام(٢٠)
وإذا أراد طوى حبال إرادتي
وأذاقني في الحال كأس حمام
لانوم لي حتى تزور فوارسي
بغداد في جيش أجش لهام
نبغي به ثأرًا لآل محمد
من آل عباس بني الأعمام(٢١)

ولم يكن التخريب من نصيب أثافت وحدها، بل ومن والاهم أو ساعدهم، يقول كاتب السيرة عن الإمام: «فأمسى بموضع يسمي الحلحل وكان أهله

من أعــوان أهل أثافت وممن قــوى أمـرهم بـالمواد وحـاربوا مـعـهـم، (...) فلمـا أصـبح قـصـد أحـد الدربين(...) فـأخـربـهـمـا جـمـيـعًـا واسـتـقـصـى في خرابهما» (٢٢).

وكـان ـ عليه السـلام ـ قد أمـر أهل الكولة بخرابها بأيديهم، وكانوا أشد فسادًا، وأعظم عنادًا، وأكثر أهل البلاد رغبة في الغز، وكانوا يريدون أن يكون عندهم رتبة الغز بعد خراب أثافت»(٢٣).



آثار تدل على ما كان من عمران في أثافت

تذكير بالماضي

وفي خطاب للإمام عبدالله بن حـمـزة مـوجـه إلى همدان يحـثـهم على الاستيلاء على حـصن بكر يقول: «وهؤلاء القـوم الـذين في وجـوهنـا من الظالمين لـسنا نظن بأنهم أقـوى من عيسـى وأصحابه الذين كـانوا في ثافت، فلما أجلبتم إليهم فنيتـوهم عن آخرهم، وشوكتهم عظيمة، وظهرهم قوي»(٢٤).

صفة جيش الإمام

ومن وصـف الإمام لجيشه يقول مفتخرًا:

كـالبـحـر يرجف بـالأقطار زاخـرة
ويملأ الأرض عـفـوًا من سـواقـيـهـا
إذا طـاف بـأرض الـظـالمـين نـأى
عنهـا وسـافلهـا بالهـدم عـاليـهـا
سل يوم ثافت عنه من يشـاهده
والخيل تمزغ والفرسان تمريها(٢٥)

وللشريف ابن مكنى القاسمي من أعوان الإمام يخاطب المطرفية متوعدًا:

وثأرنـا أن نروي من جـمـاجـمكم
بيـضًـا وسـمـرًا فـأنتم أهزل الجـزر
وقـولكم قـد أجـرنـا الخـيل مـع إبل
حق ولا دفـعنا الـودع في البـدر
كـهـدم ثافت لما ضل سـاكنه
وهدم مـقعد لا خوف من الضرر(٢٦)

من أقول الإمام

وخـالفت في ثـافت آل المكم
وكـفـروا بـالـعـارفـات والنعم
وأنـكـروا صـنـائـع الإمـام
ومـانفى عنهم من الـغـرّام
جـاؤوا وقـد ضـاقت عليـهم دارهم
وخـمـدت يوم الهـيـاج نارهم
وأجـمـعت عليـهم الـعـشـائر
ودوّخت أرضـهـم الـعـسـاكـر
فـحلّ في دارهم الـعـذاب
وطـاحـت الـزروع والأعـنـاب
فـحـاطهم من كل شـر حـادث
وصـابهم من كل خطب كـارث(٢٧)

نجدة متأخرة

وعندما وصل القائد الأيوبي وردسار إلى منطقة حاشد، وأشرف على قرية مسلت الواقعة شمال أثافت يقول الكاتب: «وكـان أهلها يظنون أنه لا يدع فيها جدارًا لما فعلوه بأثافت من الخراب الشنيع، وفي أعنابهـا من القطع الفظيع، فـرفع الله شره»(٢٨)

بركة ماء

وبذلك أسدل الستار على مدينة أثرية بأكملها، ولم يبق منها إلا بركة للماء، وبنى فيها فاعل خير «سمسرة»، أي غرفة واسعة تأوي إليها الحيوانات من الأمطار، ويأوي إليها المسافرون عند الضرورة.

وقد سألت القاضي إسماعيل بن علي الأكوع عنها فأجابني بما ذكرت، وهو ماكتبه في حاشيته على كتاب «البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي»(٢٩) دون ذكر السمسرة في الكتاب.

وقد جاء ذكر أثافت في كتاب «مجموعة بلدان اليمن وقبائلها» (٣٠) ولم يوفق المؤلف بالوقوف على من أخربها، فقد نسب خرابها إلى آل الإمام الهادي المعارضين لعبدالله بن حمزة معتمداً على ما جاء في «أنباء الزمن في أخبار اليمن»(٣١) أحداث سنة ٥٦٥هـ.

ولم يشر مؤلف أنباء الزمن (يحيى بن الحسين) إلى خراب أثافت في تاريخه ففي أحداث سنة ٦٠١هـ ذكر أن حربًا جرت في أثافت، وكان النصر ضد الغز، واكتفى بالقول: إن القائد الأيوبي ورد سار جهز قوة كبيرة تحرك بها نحو أثافت والمناطق المجاورة لها.

وفي حاشية الإكليل أشار محققه إلى تخريب أثافت في نهاية القرن السادس دون الإشارة إلى مخربها(٣٢).

الهوامش والمراجع

١. صفة جزيرة العرب/ الحسن بن أحمد الهمداني، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات، صنعاء ط٣، ١٤٠٣هـ، ص ٣٠٢،٣٠١.
٢. عمرو مزيقا بن ماء السماء: عامر بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس (جد الأزد) انظر أطلس تاريخ الإسلام .د. حسين مؤنس «شجرة نسب الأزد ص٩٣».
٣. صفة جزيرة العرب ٣٢٦.
٤. صفة جزيرة العرب ١١٥«وعن الأعشى، ت٧هـ» جاء في الأعلام للزركلي ط٥ج٣٤١/٧: ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي .أبوبصير، المعروف بأعشى قيس. مولده ووفاته في قرية (منفوحة) كانت خارج الرياض وهي اليوم من الأحياء الشعبية فيها).
٥. علقمة بن زيد بن بشر: علقمة الفحل «ت نحو ٥٩٨م» تميمي .. من مدّاح الأمراء في الجاهلية «المنجد في اللغة والأعلام ط٢٤ ص ٤٧٣».
٦. صفة جزيرة العرب ٣٤٠ ـ ٣٤١.
٧. أحمد بن عيسى الرداعي: من خولان العالية، كتب أرجوزة تصف سير رحلة الحج من بلاده ثم العودة، وتتكون من ١٢٧مقطعًا أوردها الهمداني في (صفة جزيرة العرب) كاملة، ويبدو أن الرحلة تمت في القرن الثالث الهجري .. انظر: صفة جزيرة العرب ص ١١١، ٣٥٣.
٨. صفة جزيرة العرب ٣٦٣.
٩. الإمام الهادي يحيى بن الحسين الرسي (ت ٢٩٨) غنم الفرصة بوجود فوضى وصراعات في اليمن بعد مقتل محمد وأحمد ابني يعفر الحوالي سنة ٢٧٠هـ وسرعان ما تركها عندما علم أن الخليفة العباسي يجهز حملة جبارة تسير من بغداد إلى اليمن للقضاء على دعوته، وعاد إلى اليمن مرة أخرى سنة ٢٨٤هـ.
١٠. أنباء الزمن في أخبار اليمن/ تصحيح محمد عبدالله ماضي، مكتبة الثقافة الدينية،، القاهرة، ص ١٧.
١١. هجر العلم ومعاقله في اليمن/ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع ٧٩٦/٢.
١٢. الإكليل، الجزء العاشر/ الحسن بن أحمد الهمداني، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الجيل الجديد صنعاء، ١٤١٠هـ، ص ٦٨.
١٣. الإكليل ١٥٠/١٠.
١٤. ذو مرمر: حصن متميز يقع شمال شرق صنعاء عجزت القوات الأيوبية عن أخذه قهراً.
١٥. حصن ظفار: ويسمى ظفار داوود، أعاد الإمام عبدالله بن حمزة بناءه وتحصينه، وبه قبره ومسجده، وهو اليوم مهجور، ويقع بالقرب من أثافت.
١٦. السيرة المنصورية/ أبوفراس بن دعثم، تحقيق د. عبدالغني محمود عبدالعاطي، دار الفكر المعاصر، لبنان، ١٤١٤هـ، ٥٨٥/٢.
١٧. السيرة المنصورية ٣٣٤/١ ـ ٣٣٦.
١٨. السيرة المنصورية ٦٤٣/٢ ـ ٦٤٤.
١٩. نفوسة : منطقة جبلية في ليبيا تسكنها قبائل نفوسة، وتقع جنوب العاصمة طرابلس.
٢٠. نهر جيحون، ويسمى اليوم أموداريا، ويقع غرب بخارى، ويصب في بحر أورال.
٢١. السيرة المنصورية ٧١٣/٢ ـ ٧١٥.
٢٢. السيرة المنصورية ٦٤٨/٢.
٢٣. السيرة المنصورية ٦٤٨/٢ ـ ٦٤٩.
٢٤. السيرة المنصورية ٤٣٥/١.
٢٥. السيرة المنصورية ٨٤٤/٢.
٢٦. السيرة المنصورية ٩١٥/٢.
٢٧. السيرة المنصورية ٦٩٧/٢.
٢٨. السيرة المنصورية ٦٧٧/٢.
٢٩. البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي/ جمع وتحقيق القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط٢/ ١٤٠٨هـ، ص ١٧.
٣٠. مجموع بلدان اليمن وقبائله/. محمد أحمد الحجري، تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع، دار الحكمة صنعاء،ط ٢، ١٤١٦هـ، ص ٥٦، ٥٧، ٥٨.
٣١. نسخة مخطوطة لم تحقق ولم تطبع كاملة بعد.
٣٢. الإكليل ٦٨/١٠.

مكتبات إستانبول ودور أرشيفاتها في خدمة التراث العربي والإسلامي

سهيل صابان
الرياض - السعودية

تضم تركيا الكثير من المكتبات العامة والخاصة، والحكومية، والأهلية، تتوزع في مختلف المناطق. غير أن إستانبول تفوق غيرها من المدن التركية بكثرة عدد المكتبات فيها. كما أن تركيا تتميز من غيرها من البلاد الإسلامية بوجود أكبر عدد من المخطوطات العربية فيها. ويوجد بها أيضًا ثلاث مكتبات وطنية. أكبرها المكتبة الوطنية في أنقرة التي أنشئت عام ١٩٤٦م، والتي تضم ١,٧٠١,٣٧٧ وعاء معلوماتيًا، ٢٥,٣٦٦ منه مخطوطات(١)، ثم مكتبة بايزيد الدولية في إستانبول، ثم مكتبة إزمير الدولية.

أما كون إستانبول تفوق غيرها من المدن التركية في كثرة عدد المكتبات فيها، فلأنها كانت عاصمة الدولة العثمانية منذ فتحها سنة ٨٥٧هـ (١٤٥٣م)، وحتى انقراضها سنة ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م. ولا شك أن الاهتمام بها كان أكثر من غيرها من الأقطار العثمانية، مما هيأ لها وجود هذا العدد الكبير من المكتبات. وبموجب آخر إحصائية من بلدية إستانبول، فإن عدد المكتبات في مدينة إستانبول قد بلغ ١٦٣ مكتبة. منها مكتبات وقفية، ومكتبات حكومية، ومكتبات جامعية، ومكتبات للجاليات والهيئات الدبلوماسية.. إلخ(٢). وعدد المكتبات العامة «الشعبية» التابعة لوزارة الثقافة التركية بمدينة إستانبول وحدها بموجب أحدث إحصاء عثماني ٥١ مكتبة منثورة في مختلف أحياء إستانبول(٣).

وتحوي تركيا عددًا من المكتبات المغمورة، أو التي لا يعلم بها غير المتخصصين. وهي تضم مخطوطات عربية نفيسة ونسخًا نادرة. مثل مكتبة مولانا يوسف باشا في مدينة قونيا، ومكتبة تيرة في إزمير، ومركز التاريخ والثقافة والفن المنبثق من منظمة المؤتمر الإسلامي في إستانبول ..

وبناءً على ما سبق فإن مكتبات تركيا ودور أرشيفاتها مصدر مهم من مصادر التراث العربي الإسلامي، لا يستغني عنها الباحث المهتم بتحقيق المخطوطات العربية الإسلامية في مختلف علوم الدين الإسلامي. كما أن المؤرخ الذي يدون تاريخ أحد البلاد العربية التي دخلت



منظر عام من قصر طوب قابي الذي يقع في الجانب الآسيوي من قناة إستانبول ومنطقة أوسكودار

تحت النفوذ العثماني، لا مندوحة له من العودة إلى وثائق الأرشيف العثماني، للتأريخ بدقة للحوادث التي يؤرخ لها، ولا سيما لبعض الفترات التاريخية الغامضة من تاريخ البلاد العربية بشكل سنة والجزيرة العربية بشكل خاص.

المراكز الثقافية في إستانبول

تتمثل المراكز الثقافية التركية التي تضم بين جنباتها أوعية معلومات عربية إسلامية أو تركية، لها علاقة بالعالم العربي، في المكتبات ودور الأرشيف:

المكتبات

مكتبات إستانبول التي أصبحت محط أنظار الباحثين المتخصصين في العلوم الإسلامية والعربية كثيرة. ولعلنا إذا قلنا: إن تركيا تضم أكبر كمية من المخطوطات العربية لا نكون مبالغين في ذلك. فبموجب إحصاء من مركز البحوث الإسلامية المتمثلة في دائرة المعارف الإسلامية بإستانبول في سنة ١٩٩٥م، بلغ عدد المخطوطات التي تم إدخال عناوينها والمعلومات العامة عنها في الحاسوب بالمركز، سبعمئة وخمسين ألف مخطوط محفوظ في مختلف مكتبات تركيا وبمختلف اللغات: العربية والتركية والفارسية ..إلخ.

ومما لا شك فيه أن أكبر مكتبة تضم تلك المخطوطات هي مكتبة السليمانية. ولذلك فلابد من الحديث عنها قبل غيرها من المكتبات.

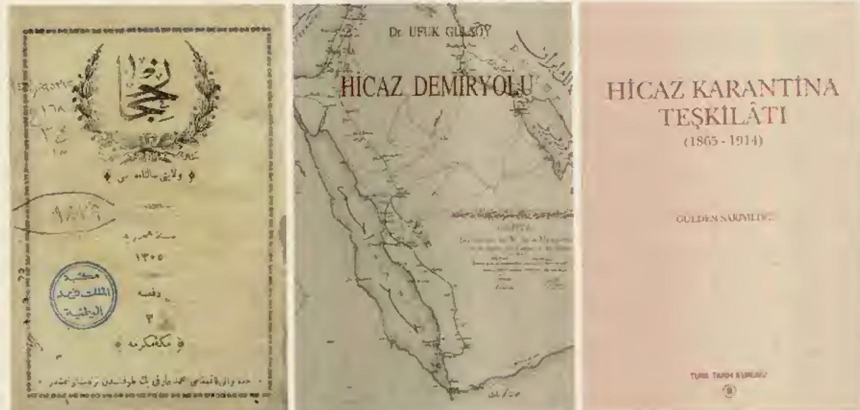
ـ **مكتبة السليمانية:** وهي تقع بجانب جامع السليمانية الشهير في إستانبول، وترتبط بها ١٠٢مكتبة، بعضها أصبح قسماً من السليمانية، مثل مكتبة ولي الدين يكن، وبعضها الآخر ما زال في مواقعه بمدينة إستانبول، إلا أنه مرتبط بها إدارياً وفنياً، مثل مكتبة نور عثمانية(٤)، التي تقع في جامع نور عثمانية، ومكتبة كوبريلي(٥) التي تقع على الطريق المؤدي إلى الأرشيف العثماني في حي سلطان أحمد، ومكتبة راغب باشا(٦) التي أنشئت سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٢م(٧). والجدير بالذكر أنه بدءاً من سنة ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م، تم نقل عدد من المكتبات الوقفية، ومكتبات السلاطين ووالدات السلاطين والعلماء، ومكتبات التكايا وغيرها من المكتبات إلى السليمانية،

لتكمل المجموعة الكبيرة من المخطوطات التي تزخر بها في الوقت الراهن.

ويبلغ عدد الكتب التي تضمها السليمانية ١١٥ ألف كتاب، ٦٧ ألفاً منها مخطوطات، ومعظمها باللغة العربية. وبناء على الحديث الذي أدلى به مدير مكتبة السليمانية الأستاذ نوزات قايا للباحث في ١٥جمادى الآخرة سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٥ أغسطس/آب عام ٢٠٠٢م، فإن عدد المخطوطات المحفوظة بها وصل إلى مئة وعشرة آلاف مخطوطة.

- المكتبة المركزية لجامعة إستانبول: وقد أنشئت سنة ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م، وسميت في عام ١٩٣٣م باسم المكتبة المركزية لجامعة إستانبول. وبدأت منذ إدارة أول مديرها حسن فهمي قاراتاي - بعد التسمية الجديدة - بأعمال التصنيف والفهرسة. وعلى الرغم من قلة عدد موظفيها، إلا أنها تقدم خدمات جيدة للباحثين، خصوصاً فيما تضمه من المخطوطات النادرة المتعلقة بالجزيرة العربية والحرمين الشريفين (٨)، وقد وصلت مقتنيات الطابق الأول من تحت الأرض من الكتب خمسمئة ألف كتاب في ثمانمئة ألف مجلد، بموجب أحدث الإحصاءات. وتزداد هذه المجموعة سنوياً بإضافة عشرة آلاف كتاب. كما أنه يضم خمسة وثلاثين ألف رسالة جامعية. والطابق الثاني الواقع تحت الأرض الذي يستخدم مخزناً للمجلات المحلية والأجنبية فقد ضم تسعة آلاف مجلد، وعدد صفحاتها ثلاثمئة ألف صفحة. أما الطابق الثالث، وهو أسفل الطوابق الواقعة تحت الأرض، فقد ضمّ الصحف القديمة والحديثة. ووصل عددها أربعين ألف مجلد(٩).


مكتبة عتيقة في أوسكودار بالجانب الآسيوي من إستانبول



نماذج من الكتب العثمانية والتركية عن الجزيرة العربية

وبموجب التنظيم الجديد الصادر بتاريخ ١٥نوفمبر /تشرين الثاني ١٩٨٨م، برقم ١٩٩٩٠ فقد انقسمت المكتبة إلى ثلاثة أقسام:

- قسم المكتبة المركزية.
- قسم المخطوطات والكتب النادرة والمتحف.
- قسم الفروع التابعة للمكتبة المركزية.

وقد ضم قسم المخطوطات والكتب النادرة والمتحف ثمانية وثلاثين ألف مخطوطة باللغة التركية والعربية والفارسية وغيرها من اللغات. وفيه ثمانمئة ألبوم للصور، ضمت ثلاثة وثلاثين



منظر عام لجامع آيا صوفيا في إستانبول

ألف صورة نادرة. وإذا علمنا أن مقتنيات قصر يلدز - وهو القصر الذي قطنه السلطان عبدالحميد الثاني - من الصور قد حفظت في هذا القسم، عرفنا القيمة النادرة لمقتنياته.

- مكتبة بايزيد الدولية: وقد أنشئت سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٤م، وافتتحت رسميًا في الأول من رمضان سنة ١٣٠١هـ، وهي تضم ضمن مقتنياتها مكتبات عدد من رجال العلم والفكر. وقد بلغ عدد الكتب فيها بموجب إحصائية سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م - ٦٠٠ ألف كتاب. منها ١١.١٢٠ مخطوطة، و٤٠.٤٤٦ مطبوعة عثمانية قديمة، و٣٧٩.١٣٥ ألف مطبوعة تركية حديثة(١٠).

- مكتبة ملت: نقلت من مقرها في حي الفاتح إلى مكتبة بايزيد الدولية في الطابق العُلوي منها، وذلك بعد تأثر مبناها بالزلزال الذي تعرضت له مدينة إستانبول سنة

للباحثين سواء العاملون في المركز أو في مختلف مراكز البحث العلمية، وقيامها بحصر عدد المخطوطات في تركيا، والاستفادة من الحاسوب بهذا الصدد، وارتباطها بمعظم المكتبات الأكاديمية في تركيا، من أهم خصائصها، بالإضافة إلى إصدار أحدث دائرة معارف إسلامية في الوقت الراهن(١١). وكانت المكتبة في البداية خاصة بأعضاء هيئة تحرير الدائرة، غير أنه بدءاً من سنة ١٩٩٢م، فتحت أبوابها لاستقبال الباحثين ما بعد المرحلة الجامعية لتقديم الخدمات المرجعية لهم. وقد بلغ عدد الكتب فيها ١٢٥.٢٨١ مجلداً.



قبب أحد جوامع إستانبول المطلة على البحر

دور الأرشيف

تضم تركيا عدداً من دور الأرشيف التي تحتفظ بوثائق عثمانية وعربية من العهد العثماني، وبعض الوثائق التركية التي تتناول العلاقات بين تركيا والبلاد العربية. وأهم تلك الدور هي:

ـ أرشيف رئاسة الوزراء المعروف بالأرشيف العثماني: وهو يقع في مدينة إستانبول بحي جغال أغلو. ويحوي ـ حسب تقدير المسؤولين ـ مئة وخمسين مليون وثيقة، تتناول الأوضاع الثقافية والسياسية والاجتماعية للدولة العثمانية والبلاد التي انضوت تحت لوائها، وكذلك علاقاتها الخارجية بغير من الدول. وهذا الأرشيف من أهم دور الأرشيف العالمية الغنية بمحتواها من الوثائق، التي تكشف النقاب عن تاريخ الدولة العثمانية في مختلف العصور، وتبين أوضاعها الدينية والثقافية وأنظمتها الإدارية وحياتها الاجتماعية والسياسية. وبما

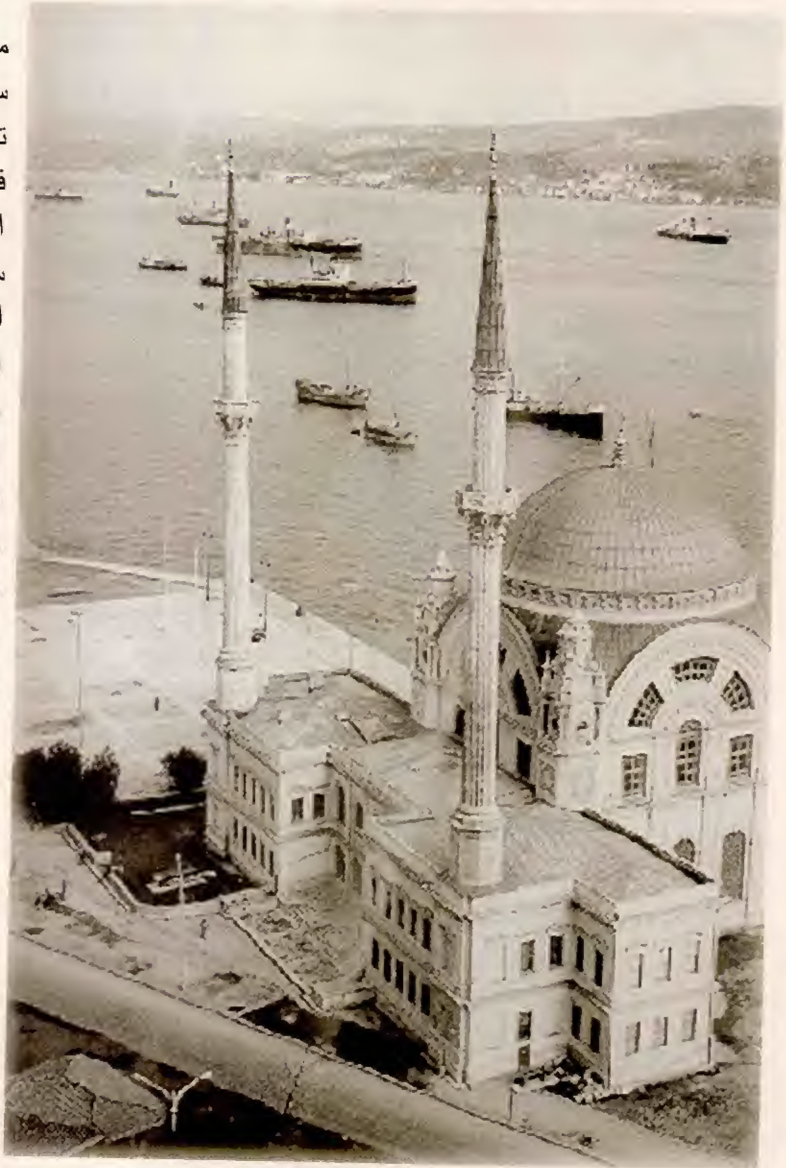
١٩٩٩م، وبها من نفائس المخطوطات العربية الشيء الكثير، إلا أن الحصول على صورة من مخطوطة محفوظة بها، يحتاج إلى مراجعة مكتبة السليمانية لكونها تابعة لها إدارياً.

ـ مكتبة مركز البحوث الإسلامية: مكتبة دائرة المعارف الإسلامية: وهي أكبر مكتبة تركية تضم مطبوعات عربية حديثة، حسب تقديرات المسؤولين. وقد أنشئت مع نشأة دائرة المعارف الإسلامية التي تصدر باللغة التركية سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، وتشرف عليه لجنة الأوقاف الأهلية. كما أنها ـ من بين المكتبات التركية ـ تضم أكبر عدد من المجلات الدورية العربية. ومع أن المكتبة لا تحوي عدداً كبيراً من المخطوطات، إلا أن اهتمامها بتوفير المطبوعات الحديثة من العالم العربي

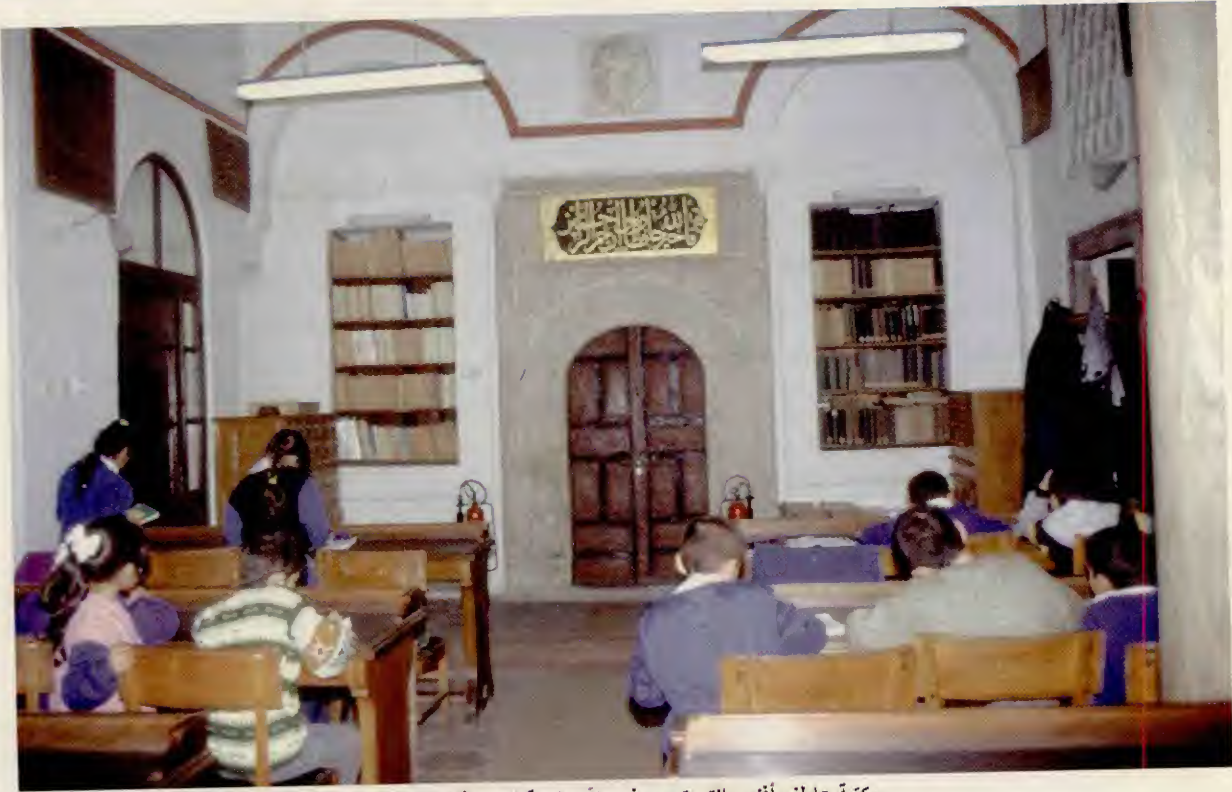
أن الدول التي قامت على أنقاض الدولة العثمانية ترتبط تاريخياً بالدولة العثمانية، فلا يستغني الباحث التاريخي الذي يتناول تاريخ إحدى تلك الدول في فترة العهد العثماني، من الرجوع إلى وثائق هذا الأرشيف، للاستفادة منها في تدوين أحداث تاريخ بلاده. بالإضافة إلى الوثائق، فهو يضم الكثير من الدفاتر الخاصة بالضرائب ونوعياتها ومقدار الدخل، ودفاتر الصادر والوارد من وإلى مختلف الولايات العثمانية، ومنها الولايات العربية، وسجلات الموظفين المدنيين والعسكريين في مختلف قطاعات الدولة ..إلخ(١٢).

- **أرشيف السجلات الشرعية:** وتقع في السليمانية ضمن أرشيف دائرة الإفتاء لمدينة إستانبول. ويتكون هذا الأرشيف من ٩٨٨٣ دفتراً لسبع وعشرين محكمة شرعية. وهذه الأحكام الصادرة من محاكم إستانبول الشرعية، تبين كثيراً من القضايا الدينية والاجتماعية في مختلف الفترات التاريخية للدولة العثمانية.

- **ارشيف قصر طوب قابي:** وهو قسم من متحف قصر طوب قابي، الذي اتخذه سلاطين الدولة العثمانية مقراً للحكم بعد تحويل مدينة إستانبول عاصمة لها إبان فتحها سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م. والوثائق المحفوظة في هذا المتحف، تتناول - بشكل سنة - الفترة الأولى من حياة الدولة العثمانية،وعلاقاتها مع غيرها من الدول (١٣)، ولا سيما ما يتعلق بالعلاقات بينها وبين المماليك في مصر، والأشراف في الحجاز. وتوجد بها أيضاً وثائق الفترة الأخيرة المهمة من حياة الدولة العثمانية. وأقدم وثيقة عثمانية ترجع إلى سنة٧٤٩هـ/١٣٤٨م، في عهد أورخان غازي، وهي خاصة بتمليك أرض. ومنها وقفية إزنيق التي بناها أورخان غازي باسم سليمان باشا. وتاريخها سنة ٧٦١هـ/١٣٥٩م، ووثائق أخرى خاصة بفترة تمتد مئة وخمسين سنة، حتى عهد السلطان محمد الفاتح، الذي يكثر فيه عدد الوثائق من فرمانات ووقفيات وخطابات متبادلة بينه وبين مختلف الأمراء في الأناضول. كما يحوي هذا الأرشيف أيضاً عدداً من الوثائق التي تعود إلى عهود من أتى بعده من سلاطين الدولة العثمانية مثل: بايزيد الثاني، وسليم الأول، وسليمان القانوني. غير أن أكثر وثائق هذه العهود



أحد جوامع إستانبول الأثرية على البحر



مكتبة عاطف أفندي التي تحوي فصولاً دراسية للمرحلة الابتدائية

التاريخية وأهمها، تكمن في دفاتر الخزينة، التي تبين الوضع المالي والإداري والسياسي للدولة العثمانية، وسجايا سلاطينها. كما يضم كذلك الخطابات المتعددة، والتقارير الصادرة في عهود أحمد الثالث وعبد الحميد الأول وسليم الثالث، ولا سيما ما يتعلق منها بالحروب العثمانية - الروسية - والعثمانية - النمساوية، والحروب المصرية، مع وجود خطابات لنابليون بونابرت، بالإضافة إلى وثائق عربية وفارسية، ولاتينية ويونانية للعهود المذكورة(١٤).

- **أرشيف البحرية**: ويقع هذا الأرشيف في إستانبول، ويحوي خمسة وعشرين مليون وثيقة، تتناول ما يتعلق بالحياة العسكرية في الدولة العثمانية وكل ما يتعلق بأمور الموانىء والمراسي وإنشاء السفن والحروب البحرية، للفترة الواقعة بين عامي ١٨٣٠م و١٩٢٨م، ولهذا الأرشيف عشرة مجلدات من الفهارس، التي تضم ملخصات الوثائق. وهي تتناول عدداً من الأنشطة العسكرية والبحرية في البحر الأحمر والحجاز وغيرهما من مناطق الجزيرة العربية.

- **أرشيف الجمهورية**: ويقع في أنقرة، ويضم الوثائق التي تتناول الفترة الواقعة بين عامي ١٩١٩م و١٩٤٤م، وتقع فهارسها في اثني عشر مجلداً، تتناول ملخصات الوثائق، التي يحوي بعضها معلومات عن الجمهورية التركية وعلاقاتها الثنائية مع بعض الدول العربية، ومنها المملكة العربية السعودية، مثل فتح الممثليات الدبلوماسية بين الطرفين ..إلخ.

المراكز العلمية الأخرى

وهناك مراكز علمية أخرى في إستانبول، تتميز بمقتنيات نادرة، وتقدم عدداً من الخدمات الثقافية والحضارية، مثل مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول Ircica.

- **مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول**: وهو أحد الأجهزة المتفرعة عن منظمة المؤتمر الإسلامي. ويقوم بالأبحاث والتوثيق ونشر المعلومات لتقديم فهم أحسن للثقافة الإسلامية، ويعمل على تعزيز



إحدى بوابات سور إستانبول القديم

التفاهم المتبادل بين الشعوب الإسلامية وسائر شعوب العالم، وتشمل أنشطته عدة مجالات في ميادين التاريخ والثقافة الإسلامية وتاريخ العلوم والفنون(١٥).

أنشىء هذا المركز عام ١٩٨٠م، على أنه أول جهاز متفرع عن منظمة المؤتمر الإسلامي، للعمل في مجال الثقافة، واضطلع بعدد من المهام الجليلة، كتنظيم مؤتمرات وندوات دولية، وإقامة دورات تدريبية في الفنون والثقافة الإسلامية، وإصدار كتب ونشر دوريات ذات صبغة علمية، وله مكتبة متخصصة ثرية المحتوى، تشمل مختلف الموضوعات في المجالات الثقافية والتاريخ والفنون الإسلامية وتاريخ العلوم والأدب، والتاريخ الثقافي والفكري، خاصة منها ما يتعلق بالعالم الإسلامي. وبموجب إحصاء منشور بالمركز سنة ١٤١٦هـ فقد بلغت مقتنياته من الكتب أربعين ألف مجلد، وسبعة آلاف من المواد المكتبية، وثلاثمئة أطروحة علمية، وألفًا ومئتين وإحدى وتسعين دورية، أربعمئة منها أعداد كاملة. كما يضم مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول أرشيفًا للصور الفوتوغرافية النادرة، يتألف من مجموعة مختلفة. وتشكل ألبومات قصر يلدز للصور الفوتوغرافية أهم تلك المجموعات؛ إذ تضم خمسه وثلاثين ألف صورة، تبرز المدن والمعالم الأثرية ووسائل النقل ومشاهد من الحياة الاجتماعية من العالم الإسلامي في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين(١٦).

الهوامش والمراجع

1 - www.mkutup.gov.tr/tanitim.

٢. للتفصيل عن أسماء المكتبات وعناوينها انظر: .www.ibb.gov.tr/istanbulrt/320/32006/veriara.asp

3- www.kutuphanelergm. gov.tr.

٤. أنشئت مكتبة نور عثمانية عام ١٧٧٥م.

٥. أنشئت مكتبة كوبريلي عام ١٦٦٧م.

٦. معظم مقتنيات مكتبة راغب باشا من المخطوطات العربية والمطبوعات العثمانية وبها أكثر من أربعة آلاف كتاب مطبوع باللغة التركية.

7 - Islam Ansiklopedisi. T.D.V. Istanbul.

٨. لمعلومات تفصيلية عما تحويه هذه المكتبة من مخطوطات نادرة عن الجزيرة العربية والحرمين الشريفين انظر: مخطوطات عن الجزيرة العربية في مكتبة جامعة إستانبول، خليل ساحلي أغلو. - الرياض: دراسات تاريخ الجزيرة العربية (وهي الأبحاث المقدمة للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية في ٥. ١٠ جمادى الأولى ١٣٩٧هـ الموافق ٢٣. ٢٨ أبريل/نيسان ١٩٧٧م: قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الرياض) الكتاب الأول، الجزء الثاني، ص ١٤٥. ١٥٩.

٩. للإحصاءات المذكورة بالتفصيل انظر موقع المكتبة: www.istanbul. edu.tr

10 - Islam Ansiklopedisi.T.D.V. Istanbul: 6/51_52.

١١. وصل عدد مجلدات هذه الدائرة حتى تاريخ إعداد هذا المقال ثلاثة وعشرين مجلدًا، ولم ينته العمل في ما يتعلق بحرف K وهو الحرف الرابع عشر حسب الإبجدية التركية .. لمعلومات تفصيلية عن هذه الدائرة انظر دائرة المعارف الإسلامية الجديدة، سهيل صابان، عالم الكتب - ع٣، مج١٤(ذو القعدة - ذو الحجة ١٤١٣هـ/ مايو- يونيو ١٩٩٣م) ص/ ٢٦٣ - ٢٦٩.

١٢. للتفصيل عن أهمية الأرشيف العثماني في تدوين تاريخ الجزيرة العربية انظر: الأرشيف العثماني مصدرًا من مصادر تاريخ الجزيرة العربية/ سهيل صابان - مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية - مج٣، ع١(المحرم - جمادي الآخرة ١٤١٨هـ/ مايو - أكتوبر ١٩٩٧م) ص ٥٤ - ٧٦.

١٣. حول نماذج من وثائق هذا الأرشيف انظر: الفتح العثماني للشام ومصر، أحمد فؤاد متولي ، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٤١٤هـ - ص ٢٦٣ وما بعدها.

١٤. للتفصيل انظر: .Topkapi Sarayi Muzesi Arsivi Kilavuzu _ Istanbul: Maarif mat.1940.p.III_XI

١٥. لمعلومات تفصيلية عن هذا المركز انظر: النشرة الإخبارية (المصادرة من المركز) ع ٣٧(الخاص بالذكرى الخامسة عشرة لتأسيس المركز) ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ص ١١ومابعدها.

١٦. للتفصيل انظر المرجع السابق. ص ٥٣ ومابعدها.

تقرير عمره أكثر من سبع سنوات

قصتي مع السويسري كورت ڤويتريخ الفائز بجائزة نوبل في الكيمياء سنة ٢٠٠٢م

ثابت عيد
زيورخ - سويسرا

حدثت المفاجأة في صباح يوم خريفي مشمس من شهر أكتوبر سنة ٢٠٠٢م عندما كنتُ أحتسي شاي الصباح في منزلي في زيورخ. كنتُ على عجلة من أمري، أريد أن أغادر المنزل بسرعة، لبدء يوم حافل بالمواعيد والمهمات واللقاءات. دقّت الساعة السابعة صباحًا، وجاء صوت المذيع في الإذاعة السويسرية الناطقة بالألمانية يعلن موعد أخبار الصباح. كنتُ أصغي بلا تركيز، لأنني سئمتُ السماع إلى سخافات «الحرب ضد الإرهاب». ولكنّي فوجئتُ بالمذيع يصدّر النشرة بخبر عن فوز عالم سويسري بجائزة نوبل في الكيمياء لسنة ٢٠٠٢م. لم أنتبه لاسم الفائز كثيرًا، ولكني شعرتُ بالسعادة والتفاؤل لفوز عالم زيورخي جديد من جامعة زيورخ للعلوم التكنولوجية المعروفة بالـ ETH بجائزة نوبل. إنّه فخر لهذه المدينة الصغيرة أن يفوز أكثر من عشرين من علمائها بهذه الجائزة الكبيرة.

ولكن وبفعل غير إرادي وجدتُ نفسي أسترجع اسم الفائز: كورت ڤويتريخ. حاولتُ التنقيب في مراجع الذاكرة قليلًا، بحثًا عن هذا الاسم. وبعد لحظات قصيرة جاءت الإجابة المدهشة: نعم، إنّه كورت ڤويتريخ الذي قابلته سنة ١٩٩٥م، وتوقعتُ له الفوز بجائزة نوبل. لقد تحقّقت توقعاتي، وفاز ڤويتريخ أخيرًا بنوبل الكيمياء. يا له من خبر سعيد، ويا لها من مفاجأة سارة. ولكن ما هي قصتي مع العالِم كورت ڤويتريخ؟

بدأت القصة بمكالمة هاتفية في صيف سنة ١٩٩٥م من صديق سعودي قديم كان يشغل في ذلك الوقت منصبًا رفيعًا في الحكومة السعودية. أبلغني صديقي أن هناك هيئة سعودية مرموقة تريد منح عالم سويسري

اسمه كورت ڤويتريخ جائزة كبيرة، ولكنها تريد التأكد أوّلا من مستواه العلمي، وتوجهاته السياسية. ثم سألني راجيًا أن أستقصي أحوال ڤويتريخ، وأكتب له تقريراً عن حياته وأعماله وآرائه. وبالفعل قمت بالاتصال بالأستاذ ڤويتريخ، وذهبتُ لمقابلته في معهده في جامعة الـ ETH. وبعد أن قرأت بعض ما كتبه، وكُتِبَ عنه، عاودتُ الاتصال به للتأكد من بعض المعلومات. ثم شرعتُ في كتابة تقريري عنه. المدهش في هذه القصة هو أنّني ذكرتُ في تقريري عنه في ذلك الوقت أنني أتوقع حصوله على جائزة نوبل قريبًا.

ومن ناحية أخرى أتذكر قول سمو الأمير خالد الفيصل إنّ معظم الحاصلين على نوبل قد فاز أولا بجائزة فيصل. يقينًا لم أتابع تطور الأمور بين السعودية والعالم السويسري كورت ڤويتريخ، ولا أعرف إن كان قد حصل على جائزة سعودية في تلك الأثناء أم لا. ولكن مجرد انتباه المسؤولين السعوديين لإنجازاته يُثبت لنا أن هناك جدية، ومتابعة، وانتباهًا، واهتماماً من جانب المسؤولين السعوديين لما يحدث من تطورات في الأوساط العلمية في دول العالم المتقدّم.

في السطور التالية أقدّم للقارئ الكريم تقريري عن البروفيسور كورت ڤويتريخ الذي كتبتُه في خريف سنة ١٩٩٥م، بعد إجراء بعض التنقيحات الطفيفة عليه. يتكوّن التقرير من جزأين: الأول يتضمن انطباعاتي وملاحظاتي عنه، والثاني عبارة عن البيانات والمعلومات الخاصة بحياته وأعماله.

لعبت العوامل الطبيعية الجغرافية بالذات دوراً حاسماً في ظهور الدقة التي اشتهر بها السويسريون. فهم بعكس الأمريكيين مثلا، يعيشون فوق مساحة صغيرة جدا من الأرض، بل إن نسبة كبيرة من بلادهم غير آهلة بالسكان لأنها ببساطة لا تصلح للسكن، إما بسبب ارتفاعها الشاهق، أو بسبب وعورة طبيعتها. نتج عن هذا أن وجد السويسريون أنفسهم يعيشون في مكان ضيق، ومساحة محدودة. هذا فضلا عن بعد بلدهم عن المنافذ البحرية الخارجية من بحار ومحيطات، فهم محشورون بين ايطاليا والنمسا وألمانيا وفرنسا. فرض ضيق المساحة، وصغر المكان على السويسريين أن ينظموا أنفسهم بدقة وإتقان، لأن وضعهم هذا لا يسمح بأي حال من الأحوال بأي نوع من الهمجية أو العشوائية في التعامل مع كافة قضايا المجتمع، ومشاكل الحياة اليومية. فلا يمكن مثلا أن نتخيل مدينة سويسرية تترك حركة المرور تسير، بلا


كورت ڤويتريخ

نظام، أو ترتيب – أو تترك السيارات تقف في الأماكن التي تحلو لها، لأن هذا سيكون ببساطة بمثابة انتحار لهذه المدينة، نظرا لصغر المكان وانحساره – بعكس ظروف دول أخرى كثيرة لا تعاني من قلة المساحة، أو صغر المكان، مثل الولايات المتحدة الأمريكية، أو المملكة العربية السعودية.

نتج عن ذلك أن أصبح المواطن السويسري من أكثر شعوب العالم يقظة لما يحدث في محيط حياته. فالسويسري يحملق في كل شيء بعينيه، وكأنه يريد أن يخترق ظاهر هذا الشيء إلى جوهره. وهو لا يكف عن التحديق في كل شخص من حوله يريد أن يعرف هويته، وهدفه، وأصله، ومقصده. هذا بالطبع يسبب

إزعاجا شديدا للكثير من الأجانب الذين لم يتعودوا على هذا التحديق الغريب والمزعج. فاليابانيون مثلا - كما حكى لي العالم المصري محمد منصور رائد التحكم الآلي والأستاذ في جامعة زيورخ - لا يحدقون هكذا في كل شيء من حولهم. وفي القطارات التي تنطلق كل صباح تحت الأرض في أنحاء اليابان، تحمل اليابانيين إلى عملهم، من مختلف أنحاء البلاد - لا تكاد ترى فيها مواطنا يابانيا يحدق في الآخر، بل إن كل مواطن هناك مشغول بنفسه، وهمومه. يغلق الكثير منهم عينيه، ويسبح بفكره في جدول أعماله اليومي.

قد يكون - والله أعلم - لهذه الظاهرة بعد ديني أيضا. ذلك أن معظم السويسريين غير متدين. والإنسان غير المتدين تجده دائما مشغولا بمفاتن الحياة الدنيا، مجذوبا للمتع والشهوات، يريد أن يستمتع بكل شيء، ويخشى أن يفوته ذلك الصنف من المتع، أو تلك النوعية من السلع. غير المتدين لا يشعر بالطمأنينة في قلبه، ولا بالسكينة في نفسه، ولذلك فهو دائما أبدا قلق، مضطرب، لا يكاد يكتشف متعة جديدة، حتى يصاب بالملل والكآبة، يريد متعة أخرى. إنه يعيش على الاستهلاك، والشهوات هي الوازع الأكبر المحرك لطاقاته. فالمخترع عندهم لا يفكر مثلا في خدمة البشرية، أو في ثواب يناله في الآخره على اجتهاده، أو في إطعام فقراء العالم، ولكن هدفه الأكبر، ومقصده الأسمى، هو الملايين التي سيجلبها عليه اختراعه، والرخاء الذي سيحل به وبعائلته، والمتع التي ستنهال عليه.

هذا هو الفارق بيننا وبينهم. ففي الماضي البعيد كان الدين والخشوع لله، والتطلع للقائه، والفوز بثوابه، كل ذلك كان يحرك العلماء المسلمين، ويدفعهم دفعا للعمل والإنتاج. فكان أن شيدوا حضارة عظيمة، حملت شعلة العلم لقرون طويلة. اليوم ابتعدنا عن الدين، ففقدنا حماسنا. ولم نفقد إيماننا كلية، بحيث نصبح كالأوروبيين، متكالبين على شهواتنا، جاعلين منها دافعا لإبداعاتنا. ولم نتجرع مر هزيمة مذلة كاليابانيين، بحيث تتحرك فينا القوى الساكنة، والطاقات الكامنة.

النتيجة: تخلف وضياع. وخلاصة ما أود الإشارة إليه هاهنا هو أن اشتهار السويسريين بصناعة الساعات، وتصنيع أدق أجهزة قياس في العالم، لم يأتِ صدفة. فهم فعلا دقيقون جدا في عملهم.

البروفيسور السويسري كورت ڤويتريخ هو شخصية علمية عالمية مرموقة. في الواقع أنني - بعد أن قرأت نبذة عن أعماله، وبعض المقالات التي كتبت عنه، واطلعت على ثلاثة أبحاث له، أكاد أجزم بأنه في طريقه للفوز بجائزة نوبل. وإليكم فيما يلي أهم ما توصلت إليه عنه:

نظرا لبعد تخصص البروفيسور كورت ڤويتريخ عن تخصصي، فقد وجدت، ومازلت، صعوبة كبيرة في فهم كل ما يقوم به من أبحاث. فأنا متخصص في العقيدة والفلسفة وتاريخ الحضارات، والبروفيسور كورت ڤويتريخ متخصص في الكيمياء، وعلم الأحياء، والفيزياء الحيوية. عالِمان مختلفان كلية. ومع ذلك فقد حاولت أن أفهم طبيعة عمله، بالقراءة والسؤال المباشر.

الأبحاث التي يقوم بها البروفيسور كورت ڤويتريخ في الوقت الحالي تخص صناعة الدواء في المقام الأول.

العمل الخارق الذي قام به البروفيسور كورت ڤويتريخ حتى الآن يتمثل في نجاحه في اختراع طريقة جديدة لتحديد التركيب الثلاثي الأبعاد للبروتين وهو في حالة الذوبان. وللتوصل إلى هذه النتائج الجديدة، وممارستها، فلابد من توافر آلات حديثة جدا، تدخل فيها أشعة الليزر، حيث إنه يتعاون مع العالم المصري أحمد زويل في أميركا، وميكروسكوبات ضخمة، فضلا عن أجهزة كومبيوتر عملاقة.

مادة بحث البروفيسور ڤويتريخ في غاية الدقة والصغر. إنها شكل البروتين تحت المجهر.

قام البروفيسور ڤويتريخ بتحليل الدواء المعروف Cy-closporin A المخصص للمرضى الحاملين لأعضاء مزروعة، كالكلى والكبد، وغيرهما. وظيفة هذا الدواء هو إضعاف نظام المناعة في الجسم، حتى لا يقوم الجسم بطرد العضو الجديد. تبلغ مبيعات هذا الدواء سنويا أكثر من مليار فرنك سويسري، وهي في تزايد

مستمر. ذلك أن أصحاب الأعضاء المزروعة مرغمون على تناول هذا الدواء طوال حياتهم. وتنتج هذا الدواء شركة Sandoz السويسرية في بازل، والتي تتعاون بدورها مع البروفيسور ڤويتريخ، منذ عدة سنوات. عندما كلفت شركة ساندوز Sandoz المذكورة البروفيسور ڤويتريخ باستخدام النتائج الجديدة لأبحاثه لفحص الدواء Cyclosporin A – وقعت المفاجأة الكبرى. يحكي ڤويتريخ متذكرا: «لقد بدا كل شيء غريبا. فقد ظهر البروتين في صورة تشبه صورة قفاز قام لابسه بنزعه من يده، فانقلب داخله إلى الخارج!!».

عندما ذهبت لمقابلة ڤويتريخ في مملكته في جامعة زيورخ للعلوم التكنولوجية، سألته عن معنى هذا الاكتشاف بالذات. فقال لي: «سأشرح لك كل شيء بصورة مبسطة. إن صورة البروتين التي اكتشفتها هي عبارة عن جزئين متداخلين. جزء مجوف يدخل فيه الجزء الآخر. ما اكتشفته هو وجود فراغ في عملية التداخل هذه. هذا الفراغ يؤثر سلبا على فعالية وقوة البروتين. فالبروتين هنا مثله مثل السلاح الذي نحارب به المرض. فإذا نجحنا في تعديل الشكل الحالي – الذي يؤدي إلى إضعاف فاعلية البروتين – إلى شكل أكثر قوة وحيوية، فسنكون بذلك قد نجحنا أيضا في مضاعفة قوة تأثير الدواء». قلت لڤويتريخ: «منذ متى وأنت تبحث في هذا الموضوع؟» قال: «أربع سنوات». قلت: «هل نجحت في تطوير شكل هذا الدواء بالذات؟». قال: «نحن مازلنا نبحث. ومثل هذه الأمور لا تتم بين يوم وليلة؛ إنها أبحاث طويلة ومضنية نجريها بالتعاون مع مراكز أبحاث أخرى. ولكننا توصلنا حتى الآن إلى اختراع صنفين جديدين من هذا الدواء، أكثر فاعلية من الصنف الموجود حاليا في الأسواق. هذان الصنفان لم ينزلا الأسواق بعد، لأننا لم ننته بعد من إجراء الأبحاث اللازمة للتأكد من كل شيء قبل عرضهما في الأسواق».

قلت لڤويتريخ: «أعذرني لجهلي بموضوعات بحثك، ولكني أود أن أسألك سؤالا، ربما يكشف لك عن جهلي: هل يمكن تكريس نتائج بحثك هذه لإنتاج أنواع معينة من الأطعمة، نتمكن من خلالها من القضاء على مشكلة الجوع في العالم؟». قال: «لا أعتقد ذلك. فنتائج هذه الأبحاث لن تسمح لنا بإنتاج مكرونة غنية بالبروتين مثلا. لا. ولكني أستطيع أن أطمئنك بأن إحدى النتائج المنتظرة لبحثنا هذا هي التوصل إلى طريقة حديثة تسمح لنا بزراعة الأراضي الصحراوية والأراضي ذات نسب الأملاح المرتفعة. وهذا بلا شك يمكن أن يمثل تحولا خطيرا في تاريخ الإنسانية».

سألت ڤويتريخ: «هل يمكن أن تستفيد أي دولة عربية بعلمك وخبرتك في هذا المجال؟». قال: «أنا نظمت سنة ١٩٨٦ دورة دراسية في جامعة الأزهر في مصر. عرضت فيها على الدارسين أهم ما توصلت إليه من نتائج في أبحاثي في هذا العلم. وكنت قبل ذلك قد نظمت Workshops للباحثين من دول الشرق الأوسط. واخترت باكستان لإقامة هذه الدورات».

سألت ڤويتريخ: «هل زرت اسرائيل من قبل؟» قال: «لا». قلت: «لماذا؟». قال: «الوضع السياسي لا يسمح بذلك». وقبل أن أعالجه بسؤال آخر، قال لي: «عالمكم المصري أحمد زويل زار اسرائيل مؤخرا، وقبل منهم جائزة كبيرة». قلت له: «هذا صحيح». قال لي: «حاول اليهود أن يجعلوا من هذه المناسبة مظاهرة سياسية، ليظهروا للعالم أن اسرائيل تكرم علماء مصريين!». قلت له: «هناك علماء يهود كثيرون في كافة أنحاء العالم. والدارس أو الباحث في الجامعات العالمية يعلم تماما استحالة تحاشي التعامل معهم. والمشكلة لا تكمن في أننا نود أن نتحاشى اليهود. فديننا يعترف باليهودية، ويؤمن برسولها. المشكلة تكمن في الصهيونية، وما تنادي به من أفكار عنصرية». قال لي: «هذا تماما ما جعلني أتحاشى قبول أي دعوة لزيارة اسرائيل».

قلت له: «صرح العالم المصري أحمد زويل أنه من المستحيل له أن يواصل أبحاثه في دولة مثل مصر، لأن هذه الأبحاث تتكلف ملايين الدولارات يوميا!! فهل هذا ينطبق على مجال تخصصك أيضا؟». قال: «لا. ولكني مثلا لا أستطيع أن أذهب إلى مصر اليوم،

وأواصل فيها ما أجريه من أبحاث في أي دولة أوروبية. لماذا؟ لأن الأجهزة التي أعمل بها تحتاج إلى تيار كهربائي ثابت الذبذبة. والتيار في مصر لا يستقر على حال».

سألت: «ماذا تحتاج بالتحديد، إن طلبت منك دولة عربية أن تدرس لمدة فصل دراسي في إحدى جامعاتها؟». قال: «مبلغ خمسة ملايين دولار، لإقامة معمل صغير وبسيط، نستطيع أن نبدأ به».

كان ڤويتريخ مترددا في مقابلتي، نظرا لضيق وقته. وقبل أن يعطيني موعدا، قال لي: «ابعث لي ببعض أعمالك، حتى أعرف أولا مَن هو ثابت عيد؟». أرسلت له ببعض الأعمال بالألمانية. في المرة التالية، عندما اتصلت به في منزله، اختلف اسلوبه كلية. وتحول التردد اعجابا، وانقلبت الريبة احتراما. وبعد أن تلاقينا، وتبادلنا أطراف الحديث. أبلغني أنه مكث في سويسرا هذه المرة لمدة ثمانية أسابيع، وهذا وقت قياسي!! قلت له: «أعرف ذلك من الأب الروحي لي: البروفيسور منصور، فهو لا يكاد يأتي إلى زيورخ، حتى يقول لي: أنا مسافر الأسبوع القادم إلى اليابان، أو استراليا، أو السويد، إلخ. فأنتم حملة العلم، ومشيدو الحضارات، والعالم المتقدم يريد أن يستفيد منكم، وجامعات الدنيا تلهث وراءكم». وقبل أن أتركه يواصل عمله الذي لا ينتهي، وجدته يحدق النظر فيَ، كعادة أهل البلد، متسائلا: «منذ متى وأنت تعيش في سويسرا؟» قلت: «حوالي خمس عشرة سنة». قال: «أكملت دراستك هنا؟». قلت: «انتهيت من الليسانس، والماجيستير. وسأنهي الدكتوراه على آخر السنة، إن شاء الله». فشعرت بعينه تريد أن تخترقني اختراقا!! قال: «أنت تتحدث الألمانية باتقان». قلت له: «هذه أصعب لغة في العالم». قال: «ولكن لغتك سليمة وصحيحة». سلمت على البروفيسور ڤويتريخ، وودعته، متمنيا له كل التوفيق والنجاح.

وأخيرا ماذا نفعل مع هؤلاء العلماء، وكيف نتعامل معهم؟

أرى أن تكريم هؤلاء الأساتذة لا ينبغي أن يتم، إلا في إطار سياسة واضحة المعالم تهدف في النهاية إلى الاستفادة من علمهم، لتطوير التعليم في بلادنا، وكذلك لحل مشاكل المجتمع عندنا. فالتكريم إذا اقتصر على كونه مجرد فرصة للدعاية والإعلام وتقديم صورة طيبة عن بلادنا، فلا داعي له، لأن هناك ألف طريقة أخرى يمكن اتباعها لتحسين صورتنا في الخارج، وعمل دعاية إعلامية لنا. تكريم العلماء ينبغي أن يعني في المقام الأول أننا نقدر العلم، وندرك خطورته ودوره الجبار في إقامة الحضارات. فلا يوجد في التاريخ حضارة من قبل قد قامت على الجهل، أو شيدها الجهلة. وتقدير العلماء يعني أولا وأخيرا الاستفادة من علمهم. فعالم واحد، وعقل واحد، كفيل بتغيير وجه الحياة في مجتمع بأكمله. وعقلية واحدة من هذه العقليات تستطيع مثلا أن تغنينا عن استيراد سلع معينة، عن طريق نقل تكنولوجيا تصنيع هذه السلع.

البروفيسور المذكور يمكنه الإسهام في تطوير صناعة الدواء مثلا في السعودية. ولا ينبغي إذا دعوتموه للتدريس في السعودية أن يرتكب المسؤولون هناك الخطأ الذي ارتكبوه مع البروفيسور منصور، حيث طلبوا منه التدريس لطلبة الجامعة. هذا خطأ فادح. لأن هؤلاء العلماء - ليسوا مدرسين عاديين - ولكنهم جهابذة وأساطين - إنهم مخترعون ومكتشفون، وواضعو نظريات تدرس باسمهم في جميع جامعات العالم. ومن الخطأ التقليل من شأنهم بتكليفهم بالتدريس لطلبة مبتدئين. هذا تضييع وقت، ونزف طاقات. الطلبة لن يفهموا شيئا، والعلماء لن يشعروا إلا بالإهانة. وهذا ما لا ينبغي أن يحدث. التدريس إن حدث، لابد أن يكون طرفه الآخر قادر على الاستيعاب والفهم - يعني أقل شيء دراسات عليا بعد الماجيستير والدكتوراه.

هؤلاء العلماء هم أساس كل شيء في حياتنا. والاستثمار معهم أربح آلاف المرات من أي استثمار آخر. فمنح عالم واحد عدة ملايين من الدولارات، وتكليفه بتأسيس صناعة معينة في المملكة، أجدى آلاف المرات من تبديد المليارات في استيراد سلع يمكن تصنيعها بسهولة داخل المملكة، بالاستعانة بهذه العقول.

الإيبولا

فيروس يحتل الدور بعد شبح الإيدز

إحسان سليمان القرفان
درعا - سورية

إيبولا: هو نهر يفيض بالعطاء يقع في دولة زائير بقلب القارة الإفريقية، ويهدي بمياهه المتدفقة الحياة للأرض،فتعج ضفافه بالشجر الأخضر الكثيف الذي تعيش بين أدغاله مجموعة نادرة من الحيوانات البرية، ويعبق نسيمه بعطر الأزهار الفواح، وجو هذا النهر ينم على الطبيعة الفطرية التي تظنها أول وهلة أنها ما زالت كما خلقها الله سبحانه وتعالى أول مرة، ولم تطأها قد إنسان، ويزيد من روعة هذا المكان وجماله تمازج الألوان من حوله في شكل بهيج، حتى أصبح حلمًا للسامع به أن يلقي بنفسه بين أحضانه، ويتوحد فيه مع طبيعته، وينعم بعطفه وحنانه، ويتشرب موسيقا هذا التناغم الأبدي بين أصوات الطيور ودبيب الحيوانات وهدير المياه ونسمات الرياح.

في عام ١٩٩٥م، بدأ هذا النهر يتغير، ويكشر عن أنيابه لهذا المخلوق العجيب الذي يدعى الإنسان الذي ينشر معه باسم الإعمار والإصلاح، الخراب والدمار، بقصد وسوء نية أو من غير قصد، وكانت بداية مسلسل الموت في

زائير على ضفاف ذلك النهر، عندما دخلت فتاة مريضة شابة إلى قسم الإسعاف في المستشفى الرئيس بمدينة كيكويت تشكو من آلام حادة قوية ودرجة حرارتها مرتفعة جداً، ويكاد بطنها يتقطع من التشنجات والتقلصات المعوية، والمغص الشديد. وقد شخص الطبيب المناوب مرضها بأنه «حالة بطن حادة» على الرغم من شكوكه هو نفسه من هذا التشخيص، بسبب طبيعة الحالة حيث يعتري المريضة القيء والإسهال الممزوج بالدم، وقرر الطبيب أن يقوم بإجراء جراحة عاجلة لبطن المريضة ليفاجأ بأن أعضاءها الداخلية غير عادية وتعاني من رشح الدم من جميع جوانبها وهذا لا يوافق مع ماقرره أولاً من أنها حالة بطن حادة، ولايقدم تفسيراً مقبولاً لما تعانيه المريضة من آلام حادة، وكانت تلك هي البداية لإعطاء هذه الأعراض المتلازمة مسمى «مرض الإيبولا» بشكله العام.

خوف وهلع

بعد عدة أيام من إجراء العملية توفيت المريضة الشابة بنزيف دموي حاد من كل أنحاء جسمها: العينين، والأذنين، والفم وفتحتي الأنف وتوفي بعدها بفترة بسيطة الطبيب الذي قام بالعملية ومعه فريقه المكون من مساعديه وطبيب التخدير وأربع ممرضات، وقد أثار هذا الأمر الخوف والهلع في نفوس المرضى في ذلك المستشفى، فقرروا الخروج منه على وجه السرعة، وتحمّل أمراضهم التي كانوا قد دخلوا المستشفى من أجلها، لكي لايحصدهم منجل ملك الموت بسبب هذا المرض الرهيب الذي لا يوفر أحداً .

في الحقيقة أن هذه المجزرة التي قام بها هذا المرض في مستشفى مدينة كيلكويت في زائير لم تكن هي البداية للهجوم الشرس الذي يشنه هذا الفيروس القاتل، بل إن بداياته الأولى كانت في فصل الصيف القائظ عام ١٩٧٦م، حين وصل عدد الحالات المرضية المشخصة بأعراض هذا المرض نفسها - من دون إعطاء اسم محدد للمرض في ذلك الوقت، ومن دون إدخاله إلى التصنيفات الطبية التي تعدها المراجع الطبية المعروفة في العالم - إلى ٣١٨حالة توفي منهم ٢٨٠ حالة أي نحو ٨٨٪ في المنطقة نفسها التي ظهر فيها الفيروس أول مرة أي «حوض نهر إيبولا» وعلى بعد ما يقارب ٤٠٠ كيلو متر من تلك المنطقة، وقبل ظهور المرض باسمه المعروف حدثت موجات مميتة لهذا المرض في المناطق الاستوائية بجنوب السودان بين شهري حزيران وتشرين الثاني/ يونيو وأكتوبر حيث تم حصر ٢٨٤حالة مرضية، توفي منهم ١٥١ شخصاً، أي نسبة الوفيات تعادل ٥٣٪ وقد أثار هذا المرض حب الفضول والاستطلاع عند طبيب ألماني يدعى «كنوب لوخ» الذي سافر على وجه السرعة إلى مستشفى المريدي في السودان، ولدى وصوله إلى المستشفى فوجئ لما أوقف شعر رأسه من الرعب، فقد شاهد حالات فظيعة من المرض في أبشع صوره، مما دعاه إلى وصف ما شاهده بقول: «رأيت البشر يتساقطون كالذباب في معاناة مخيفة، إن المرضى يتقيؤون أحشاءهم أو يكادون.. وتتسلخ أغشيتهم المخاطية في قسوة لا تطاق، أما اللسان وسقف الفم فكانا يتساقطان متفتتين. كان المرض يخترق المريض بضراوة من الرأس حتى الأعضاء التناسلية. إن المرضى ينزفون من كل مكان، من الأنف والفم والعينين والجلد. كان رشح الدم ينساب في جميع التجاويف الداخلية للجسم، لقد أدركت على الفور أنني أمام ظاهرة مرضية تماماً، وأن علينا أن نكتشف المرض المسبب لها».

منع ظهور فيروس الإيبولا منعًا باتًا أمر صعب إن لم يكن مستحيلاً، إلا أن اتخاذ الاحتياطات الوقائية الصارمة كفيل بالسيطرة على هذا الفيروس وتقليم أظفاره

عودة بعد غياب

هذا الفيروس لم يكن حاضراً على الساحة دوماً، فبعد الإصابات الوبائية التي حدثت عام ١٩٧٦م، والتي



الزيادة السكانية تؤدي إلى الخلل البيئي الذي يسبب انتشار الفيروسات المميتة

توفي على أثرها عدد كبير من المصابين، اختفى المرض ولم يعد يسمع عن أي حالة جديدة له، ولكن بعد مضي ١٦عامًا عاد إلى الظهور في المنطقة نفسها التي ظهر فيها أول مرة، فقد دخل مريض جديد إلى المستشفى الرئيسي لمدينة «كيكويت» في زائير خلال شهر آذار من عام ١٩٩٤م، مصاب بحالة إسهال حاد دام غير قابل للشفاء باستخدام الأدوية المعروفة والمتداولة وتتالت بعد ذلك الحالات المشابهة بأعداد كبيرة من الإسهالات الحادة الدامية. ظن الأطباء أول وهلة أن هذه الحالات الإسهالية هي بسبب نوع جديد أو غير معروف من سلالات الجراثيم، وطلبوا من المرضين أخذ «عينات دم» من المرضى بغية إجراء التحاليل عليها، وكان النتيجة أن مرض أحد المرضين الذين قاموا بعملية سحب الدم، وظهرت عليه الأعراض المعتادة التي تظهر مع تلك الحالات الغريبة، وظن الأطباء كتشخيص أولي بعد معاينة هذا المرض، وملاحظة أن معدته متضخمة جدًا، ودرجة حرارته عالية، وإسهاله مختلط بخثرات دموية وبدم سائل ظنوا أنه مصاب بحمى التيفوس. قام الأطباء عندها بإجراء عملية جراحية للمريض تضمنت هذه العملية استئصالاً للزائدة الدودية - وهي عادة يقوم بها الأطباء تحسبًا لكون المرض سببه هذه الزائدة - ولكن الآلام لم تنقطع ولم يشفَ المريض، فاضطر الأطباء عندها إلى إجراء عملية ثانية له لمحاولة معرفة ما الذي في بطن الرجل ويجعله يعاني على تلك الصورة البشعة، وفوجئ الطبيب الجراح لدى شقه البطن بمبضعه الحاد بتيار دم غزير اندفع من البطن ولوث أيدي الطاقم الجراحي كله الذي كان يجري العملية، ولم يحالف الحظ المرض المسكين فتوفي على طاولة العمليات، وتبعه إلى العالم الآخر الفريق الجراحي الذي أجرى العملية بسبب

التلوث الذي حصل لهم من دم المريض خلال العملية، وكان ذلك هو الهجوم الثاني لفيروس الإيبولا بعد هجومه الأول عام ١٩٧٦م.

فيروس ماربوغ

قبل بضع سنوات اكتشف العلماء أن هناك نوعاً آخر من فيروس الإيبولا، نوعاً جديداً لم يسبق لهم أن صادفوه في الحالات المرضية التي عالجوها. هذا الفيروس الجديد أو هذا النوع الجديد من فيروس الإيبولا يدعى بفيروس «ماربوغ»، لم يكن مشابهاً للنوع الأول من فيروس «الإيبولا» في صفة الانتشار، أي لم يكن يشكل حالات عدوى أو إصابات تصل إلى حد الوباء، فقد نسبت إليه فقط ثلاث موجات مرضية متزامنة في أوربا، وعلى الأخص في مدينة «ماربوغ» التي ينسب إليها الفيروس، وكذلك ظهرت إصابات بهذا النوع من فيروس الإيبولا في مدن فرانكفورت وبلغراد. وتم إحصاء عدد الحالات المرضية بـ ٣١ حالة، توفي منهم ٧ مرضى فقط. صحيح أن الفيروس «ماربوغ» و«الإيبولا» هما من النوع نفسه ولكن فيروس «الإيبولا» أشرس من ابن عمه في الفتك بمرضاه.

إن أسلوب فيروس «الإيبولا» في مرضاه، هو أن المريض سوف يعاني صداعاً حاداً في جبهته، وحمى تصاحبها الغيبوبة إلى جانب آلام حادة فظيعة، خاصة في منطقة الظهر، ويترافق ذلك كله بإسهال معوي شديد يستمر أسبوعاً يتعرض فيه المصاب إلى الجفاف والنقص الحاد في الوزن، وهذا الإسهال ليس إسهالاً عادياً بل هو إسهال ممزوج بالدم ناتج من تقلصات عضلية معوية شديدة وشعور قوي بالغثيان. إن أحد الأعراض التي تظهر على من يصابون بهذا المرض، بالإضافة إلى الأعراض السابقة، هو الطفح الجلدي الذي لا يصاحبه حك أو هرش، ويظهر بشكل خاص على الأفراد من ذوي البشرة البيضاء، ويستمر هذا الطفح مدة تراوح بين ٣ و ٤ أيام)، يليه ظهور قشور دقيقة «تحرشف الجلد»، ويظهر هذا الطفح أيضاً على الأفراد من ذوي البشرات الدكناء «السمراء» ولكن بشكل أقل وضوحاً.

تتابع سلسلة أوجاع مريض فيروس «الإيبولا» محدثة لديه آلاماً تنفسية حادة، ووخزات طاعنة في الصدر تشبه آلام الذبحة الصدرية، وتنتشر الالتهابات والأخماج في جميع أنحاء الجسم كالبلعوم وتشقق الشفتين واللسان وسقف الحلق، وينتقل الأمر إلى الأعضاء التناسلية إذ تتهيج هذه الأعضاء لدى الذكر والأنثى كليهما. ثم يحدث الالتهاب في الكلى والبنكرياس ويتلف الكبد، ولكن ما هو الأكثر شناعة وبشاعة من كل ذلك هو النزف الدموي الشديد الذي يحدث للمريض بدءاً من اليوم الخامس حتى اليوم السابع إذ يصيب النزيف جميع أعضاء الجسم من الجهاز الهضمي، وكذلك الأنف واللثة والمهبل حتى تحت العين والجلد ومكان الحقن بإبر الأدوية، إذ ينساب الدم في جميع تجاويف الجسم الداخلية (كغشاء التامور المحيط بالقلب والأغشية المحيطة بالرئة) متحولاً مرة إلى دم لزج، وأخرى إلى تخثرات منتشرة هنا وهناك، كما أن الدم يخرج من فتحة الشرج أسود. يصبح المرضى عند الوصول إلى هذه الحالة المتقدمة من المرض إلى هياكل عظمية ذات عيون غائرة لا تقوى على الحركة فهم مشتتو الذهن، ملامحهم قلقة ومتوترة، وذلك بسبب إصابة الجهاز العصبي نتيجة التهيج في الأغشية السحائية، ويصاب المريض بالإضافة إلى كل ما سبق بتنمل في الأطراف، وفقدان للشهية، وهياج يصل حد العدوانية.

السبب الأولي لمعظم جائحات فيروس «الإيبولا» هو الاختلال البيئي الناجم عن الأنشطة البشرية، فالزيادة الكبيرة في عدد سكان العالم تدخل الاضطراب إلى النظم البيئية التي كانت مستقرة قبل عقود قليلة

أربع فصائل

نتيجة لأبحاث العلماء فقد تم تصنيف فيروس «الإيبولا» في مجموعة الحميات النزفية الراشحة، والتي تقسم أربع فصائل هي:

- الفيروسات المصفرة، مثل فيروس «أماريل».
- الفيروسات الرملية، مثل فيروسات «جواناريتو - ماتشوبو - جونن»
- الفيروسات البنائية، مثل فيروسات «هانتا - بومالا».
- الفيروسات الخيطية مثل فيروسي«ماربوغ والإيبولا»، ويوجد من فيروس الإيبولا أربعة أنواع: ثلاثة منها تصيب البشر، والرئيسيات، كالقردة، مثل فيروس «إيبولا زائير، وإيبولا سودان، وإيبولا ياي» ويعرف أيضًا باسم إيبولا الساحل العاجي، أما النوع الرابع، «الإيبولا ريستون» فهو لا يصيب إلا القردة فقط.

في صيف عام ١٩٩٥م، قام باحثون من جامعة كينشاسا، ومن مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن معهد باستور في باريس، ومن المركز القومي لعلم الفيروسات في جوهانسبرغ، ومن منظمة الصحة العالمية بتمشيط منطقة كيكويت لمعرفة كيفية انتشار فيروس «الإيبولا»؟ وماهو الحيوان أو الكائن الحي الذي يعيله حتى ينتقل إلى الإنسان، ويضرب هناك ضربته. لقد بدأ الوباءان اللذان حدثا في السودان بين عمال مصانع القطن، وفي ذلك الحين طاف العلماء مسرعين بأبنية مجمع « تزارا» بحثًا عن الحيوان الذي يعيش في جلده، أو الأوساط التي يرتع فيها هذا الفيروس، ولكن دون جدوى، إذ إن المشكلة هنا تكمن في وجود سلسلة من الحيوانات ينام كل واحد منها في حضن الآخر، فالحيوان يحمل في جلده القمل أو النمل أو البعوض كالخفاش الذي قد يحمل بدوره أيضًا فيروس الإيبولا في لعابه. وقد كان يظن سابقًا أن القردة الإفريقية هي مصدر الفيروس أو هي العائل الطبيعي له، والعائل الطبيعي كما يعرفه العلماء هو ذلك الكائن الذي يحمل عوامل المرض، ويعمل على توزيعها وانتشارها دون أن يتأثر هو بها، أو قد يتأثر قليلاً.

براءة القرد



القرد ليس منبع الإيبولا

ولكن تم دحض هذا الزعم عندما لاحظ المختصون أن حقن هذه القردة بالفيروس ولو بكميات أو أعداد ضئيلة منه يؤدي إلى هلاكها. ولم تفلح الإجراءات التى تم العمل بها في أواخر السبعينيات حيث تم صيد عدد كبير من الثدييات الصغيرة في المناطق الموبوءة من السودان وزائير، وأخذت منها عينات دم، واستؤصلت أنسجتها لمحاولة التوصل إلى الفرضية السابقة ولكن دون جدوى. في خريف عام ١٩٨٨م قامت مراكز البحث في الجيش الأمريكي بتتبع أماكن وجود الفصائل الفيروسية الجديدة، واستطاعت بالفعل أن تعزل في منطقة تقع بمحاذاة المساقط المائية في مكان يدعى «إيجلون» يقع بين دولتي أوغندا وكينيا وفي كهوف تأوي إليها الفيلة، فيروسًا قريبًا من فصيلة «الإيبولا» ولكن لم يتم التأكد بعد أن هذا المكان هو مصدر توريد الفيروس، ويعتقد أن الإنسان هو المصدر الوحيد المعروف للعدوى، والتي ينقلها إلى بني جلدته عن طريق الدم أو سوائل الجسم المختلفة، وربما يكون السبب الرئيس في ظهوره

وتفشيه، ونتذكر هنا حديث الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم إذ يقول: «وما استحل قوم الفواحش إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم». أو كما قال عليه الصلاة والسلام، نسأل الله السلامة والعافية.

فتش عن الإنسان

إن السبب الأولي لمعظم جائحات فيروس «الإيبولا» هو الاختلال البيئي الناجم عن النشاطات البشرية، فالزيادة الكبيرة في عدد سكان العالم تدخل الاضطراب إلى النظم البيئية التي كانت مستقرة قبل عقود قليلة، كما تسهل الاحتكاك بين الإنسان والحيوانات الحاملة للفيروسات المرضة للبشر، كما تتيح التغيرات البيئية للفيروسات فرص التضاعف والانتشار في الكائنات الحية العائلة لهذه الفيروسات، مما يؤدي إلى ظهور أمراض جديدة في بعض الأحيان. وتشكل الصناعات البيلوجية مصادر خطورة أيضاً إذ إن لقاحات كثيرة تحضر من خلايا حيوانية، فإذا كانت هذه الخلايا ملوثة فهناك خطر من إمكان انتقال الفيروس إلى من يتم إعطاؤهم اللقاحات بالإضافة إلى خطورة التعامل مع عينات الدم الملوثة في المزارع الخلوية «مستنبتات اللقاحات» على الرغم من أهمية عوامل الاضطرابات البيئية والصناعات البيولوجية فهي ليست الأسباب الوحيدة لانبثاق الفيروسات الجديدة، إذ إن الضعف في ممارسة مبادئ الحفاظ على الصحة في بيئات المستشفيات يمكنه أن يعزز ظهور الأوبئة، ويشجع على انتشارها. كما أسهمت عادات الدفن المحلية في زائير التي تقضي بإزالة الأحشاء من الجثث باليد كتقليد ديني وثني قديم في مضاعفة كارثة انتشار المرض بفيروس «الإيبولا» وبشكل عام يعد الناس هم العنصر الأساسي الذي ساعد على إطلاق الوباء من بين أحشاء عائله - الذي يعيش فيروس الإيبولا في دمه، ولا يسبب له المرض ولا تظهر عليه أعراضه - الذي يقطن في الغابات الاستوائية المطيرة المنعزلة، أو في البراري المعشبة وإيصاله إلى البشر، ففي «يامبوكو - زائير» عام ١٩٧٦م تضاعفت أعداد الفيروس «إيبولا» عشرات المرات بواسطة راهبات يعملن في عيادة طبية تابعة لبعثة تبشيرية، حيث كن يستخدمن محاقن «إبر» غير معقمة لزرق الدواء في مئات المرضى يومياً، وفي أحد الأيام قدم إلى العيادة مريض يعاني حمى «الإيبولا» التي كانت مجهولة آنذاك، فعولج بحقنة أدوية مضادة للبرداء «الملاريا» فكانت النتيجة أن تلك المحاقن كأنها كانت تحمل قنابل بيولوجية من عيار عالٍ.

عدوى الإيبولا لا تنتقل إلا بالتلامس الوثيق مع المريض أو مع مفرزات جسمه وسوائله خاصة الدم الملوث، أما الطرائق الأخرى من مصافحة أو رذاذ هواء فلا تنتقل بواسطتها العدوى

إن اعتماد الفيروس «إيبولا» على المساعدة غير المقصودة من الإنسان يحثنا على الانتباه إلى الخيط المشترك الذي يربط بين أوبئة «الإيبولا» المعروفة ألا وهو الفقر.

لقد كانت حائجات هذا الداء كلها على ارتباط بمرافق طبية ومستشفيات شديدة من البؤس يجبر العاملون فيها الذي لا يدع لهم إلا أجر ضئيل، أو لا يتقاضون أي أجر على الإطلاق، كما هي حالة مدينة «كيكويت» في زائير، على تسيير الأمور ببضعة محاقن، وبأقل القليل من المعدات الجراحية، وهذه المستشفيات تكون مزودة بماء أو كهرباء يصيبها الانقطاع المتكرر، أو غالباً غير مزودة بهما، ويبدو أنه من المحتمل أن يستغل الفيروس «إيبولا» الظروف المشابهة لما سبق من حالة المرافق الطبية التي تتوافر له في أي مكان آخر من العالم استغلالاً ناجحاً، لهذا فالتدهور السريع في الصحة العامة وفي المرافق الطبية في الاتحاد السوفييتي السابق لا بد من أن يكون مصدر قلق وإثارة للمخاوف.

طرائق العدوى

وبالفعل كان ذلك وقد تجاوز الخوف من الأمراض ليصل إلى كل أنحاء العالم، وذلك بفضل وسائل الإعلام ومؤسسات الأفلام والسينما التي قد تعتمد الإثارة لأغراض الربح التجاري وقد أصدر المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية (منطقة الشرق الأوسط) نشرة إعلامية بتاريخ ٢٢مايو/ أيار ١٩٩٥م، تتضمن بعض الحقائق الأساسية عن مرض «الإيبولا»، لتخفيف حدة الفزع الذي ينتاب الناس منه ونوردها في الآتي:

- إن عدوى الإيبولا لا تنتقل إلا بالتلامس الوثيق مع المريض أو مع مفرزات جسمه وسوائله خاصة الدم الملوث، أما الطرائق الأخرى من مصافحة أو رذاذ هواء فلا تنتقل بواسطتها العدوى، فيما عدا فيروس «إيبولا ريستون» الذي ينتقل بالهواء ولا يصيب إلا القردة.

- لا يكون المريض معدياً إلا بعد تفاقم حالته المرضية، وظهور الأعراض المميزة لمرض الإيبولا عليه خاصة النزف الدموي، ويكون المريض في هذا الوقت في حالة ضعف شديد ولايتوقع أن يسمح له بالسفر.

- لم يثبت حتى الآن انتقال العدوى من زائير إلى أي دولة أخرى حتى الدول الملاصقة، كما أن العدوى لم تنتشر داخل زائير نفسها بصورة شاملة، ما عدا ما حدث نتيجة نقل المرضى من البؤرة الأساسية للعدوى إلى مستشفيات أخرى؛ وذلك فيما يخص «إيبولا زائير»، وكذلك الحال في «إيبولا سودان» الذي لم يخرج خارج نطاق جنوب السودان، و«إيبولا تاي» الذي لم يتجاوز ساحل العاج الإفريقي.

لعل من المفيد أن نذكر أن عدداً من الصحفيين والأطباء قاموا بزيارة المنطقة الموبوءة، ثم غادروا زائير، وتوجهوا إلى بلادهم دون حرج مع توصيتهم بإخطار السلطات الصحية في أماكن إقامتهم ليكونوا تحت المراقبة فترة الحضانة التي يبلغ أقصاها ٢١يوماً. ونشير هنا إلى أن المراقبة هو إجراء كافٍ تماماً في هذه الحالة؛ وذلك لوضوح أعراض المرض التي ذكرناها سابقاً.

وتؤكد منظمة الصحة العالمية أن الزيادة الحالية في عدد الحالات والوفيات الجديدة هي ليست ظهوراً لحالات جديدة، بقدر ماهي بسبب اكتشاف الحالات والوفيات التي حدثت مسبقاً بين الذين غادروا المستشفى الذي ظهرت فيه الحالات الأولى من هذا المرض.


حالة من الهلع سببها فيروس الإيبولا

التدابير الوقائية

مما لاشك فيه أن منع ظهور فيروس الإيبولا منعاً باتاً هو أمر صعب إن لم يكن مستحيلاً، إلا أن اتخاذ الاحتياطات الوقائية الصارمة كفيل بالسيطرة على هذا الفيروس وتقليم أظفاره، سواء في المختبرات أو المشافي التي كانت - وياللأسف - عاملاً فعالاً في تضخيم أوبئة كثيرة؛ ففي المختبرات يجب التعامل مع هذا الفيروس ضمن شروط تؤمن الحد الأقصى من انحباسها (أو ما يعرف باللغة السائدة بالمستوى الرابع من الأمن الحيوي) المستخدم في مركز مراقبة انتشار المرض في أتلانتا المعروف بـ C D C حيث يقوم قسم يسمى بالكابينة الزرقاء Blue Suit ذات الجدران الرهيبة من الخرسانات المسلحة العديمة النوافذ التي تخضع بكاملها إلى ضغط سلبي حتى لا يفلت ولو بطريق الخطأ أي

فيروس في أثناء فتح الأبواب، بالإضافة إلى حصر الفيروسات ضمن أجهزة محكمة الإغلاق وفي ضغط أقل من الضغط الجوي، مع استخدام الطبيب عند دخوله إلى هذه الغرفة للكشف عن الفيروسات ألبسة معقمة كتيمة، مع خوذة زجاجية شفافة تعلو الرأس، وقفازات معقمة، مع شفاط وتجفيف الجسم بشكل دوري بعد تزويد اللباس ببطارية لذلك.

أما المستشفيات فإن خطورة انتقال العدوى من أحد المرضى تبلغ درجة هائلة في فيروس «إيبولا» لذلك يجب اتباع أشد الإجراءات صرامة، وينبغي على العاملين في المستشفيات أن يضعوا الأقنعة الجراحية والكمامات، ويلبسوا القفازات الواقية وحماية الأعين من التلوث باستخدام النظارات والمناظير قبل اقترابهم من المرضى بحدود ثلاث أقدام لمنع الاتصال الدموي، أو عبر سوائل الجسم الأخرى والإفرازات من قيء وإسهال وبول ...إلخ، وكذلك عند معاناة المريض أعراضاً تنفسية، كالسعال والتهاب الأنف الغشائي. كما يجب التخلص المستمر من إفرازات المرضى وحاجياتهم الملوثة أو بمعنى آخر استخدام الأشياء مرة واحدة فقط، ثم التخلص منها بعناية بعد ذلك بحرقها وإتلافها، أما المواد القابلة للاستعمال مرة أخرى، فيجب تعقيمها قبل الاستعمال، ويجب عزل المرضى دون اللجوء إلى الغرف ذات الضغط السلبي إن كانوا في المراحل الأولى من المرض، وعند المعالجة يجب أخذ هذه الغرف بالحسبان بالإضافة إلى منع الزوار والموظفين غير الضروريين من الدخول إلى هذه الغرف، إذ إن فيروس «الإيبولا» على شراسته حينما يصيب الإنسان، ولكن حال خروجه من جسمه فإنه يصبح ضعيفاً جداً يمكن القضاء عليه بسهولة بالمطهرات، لذلك يتم تنظيف كل السطوح الصلبة في هذه المستشفيات بالمحاليل المعقمة والمطهرات.

هذه الإجراءات والتدابير الوقائية مكنت من كبح جماح هذا المرض بشكل مدهش جداً، أما بشأن العلاج فيكفينا شاهداً على عظم صعوبته أنه استخدم لعلاج أحد المصابين به ستة ملايين وحدة من «الإنترفينون» وهو مضاد للفيروسات وذلك أربعة عشر يوماً متتالية مع استخدام الوسائل العلاجية الأخرى مثل الصفائح الدموية وعوامل التجلط لمنع النزيف، ومما يزيد صعوبة العلاج مصاحبة المرض عدوى بكتيرية ثانوية، وعلى الرغم من ذلك فإن المصاب يظل يعاني آثار «الإيبولا».

وأخيراً ومع ازدياد العلم وتطور التقانات (التكنولوجيا) الحديثة، ازداد الإنسان غروراً بنفسه وثقة عمياء بمقدرته على معرفة أسرار هذا الكون، بل ازداد في تماديه فألحد بشرع الله ومنهاجه، فصارت له شرائعه التابعة لهواه، فجاءه الإنذار الأول في فيروس الإيدز الذي وقف العقل البشري صاغراً أمام إيجاد علاج له.. ولما لم يتعظ، وازداد جرأة، وعمد إلى تشويه إبداع الخالق عز وجل، فاتخذ من الجينات الوراثية دمية يتسلى بها غير آبه بما ينتج من ذلك من جرائم وقبائح.. فكان وباء «الإيبولا» وهنا أضحى العجز مضاعفاً والإخفاق أكبر، إذ لا يزال مصدر هذا الفيروس مجهولاً، والدواء له مفقوداً إن لم يكن مستحيلاً فسبحانك ربي ما أعظم جنودك، قال تعالى: *وما يعلمُ جنودَ ربِّك إلا هو*. **المدثر**: ٣١.

المراجع

١. كتاب أمراض جديدة تحير البشر، تأليف: سعد الدين محمد المكاوي، الفصل الرابع، «بتصرف».
٢. مقال أسئلة لم تلق إجابات عن الفيروس إيبولا، تأليف المراسلة الصحفية بجريدة NEWS DAY، لوري تايت، ونشرت هذه المقالة في أحد أعداد الجريدة نفسها، قام بالترجمة بتصرف: كاتب هذه السطور.
٣. مقالة للمؤلف: بيرهارد لي غوينو، نشرت مترجمة إلى اللغة العربية في مجلة العلوم، المجلد١٢، العدد١٠، عام ١٩٩٦م «بتصرف».
٤. مقالة: الإيبولا فيروس الغابة الدموي، تأليف: د. خالص جلبي، نشرت في مجلة العربي، العدد: ٤٤١، «بتصرف».
٥. عدة منشورات لمديرية الصحة المدرسية، إمارة دبي، الإمارات العربية المتحدة، «بتصرف».

مسابقة الفيصل

أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣١٥)

رمضان ١٤٢٣هـ / نوفمبر / ديسمبر ٢٠٠٢م.

الفائز الأول: **فوزية إبراهيم محمد شريف ـ فاقوس ـ مصر.**
الفائز الثاني: **أميمة صادق هاني ـ المنستير ـ تونس.**
الفائز الثالث: **فاطمة صالح حسين ـ صنعاء ـ اليمن.**
الفائز الرابع: **حسين عبدالله حسين البجحان ـ الظهران ـ السعودية.**
الفائز الخامس: **راما رائد أحمد ـ عمان ـ الأردن.**
الفائز السادس: **ضحى محمد جمعة حاج علي ـ حلب ـ سورية.**
الفائز السابع: **حسام أحمد قائد الهندي ـ تعز ـ اليمن.**
الفائز الثامن: **عبدالله عبدالسميع علي ـ كفر شبرا اليمن ـ مصر.**

حل مسابقة العدد (٣١٥)

١ ـ تمنيت أن تهوى سواي لعلها تذوق حرارات الهوى فترقَّ لي

قائل البيت هو: علي بن عبدالله بن جعفر.

٢ ـ المزولة هي: الساعة الشمسية.

٣ ـ التنجستين: عنصر فلزي يستخدم في صناعة المصابيح الكهربائية.

٤ ـ تاروت: قلعة شهيرة في شرق المملكة العربية السعودية.

٥ ـ دانتي أليغيري: شاعر إيطالي صاحب ملحمة الكوميديا الإلهية.

أسئلة مسابقة العدد (٣١٨)

ضع علامة ☑ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت: **وحاجة نفسٍ قد بلغتُ، وحاجةٍ تركتُ، إذا ما النفس شحَّ ضَميرُها**
- ☐ شبيب بن البَرْصاء
- ☐ مسكين الدارميّ.

(٢) أبو مَعْشَر:
- ☐ فلكيّ ومنجّم عربيّ، يعد من أكبر الفلكيين المسلمين
- ☐ شاعر عربيّ عباسيّ، اشتهر بمدائحه للبرامكة.

(٣) اللامبرت:
- ☐ وحدة لقياس إشراقية سطح ما
- ☐ سمك نهريّ أوربيّ.

(٤) هَيْجيا:
- ☐ إلهة الصحة عند الإغريق
- ☐ نبتة من الفصيلة السحلبية.

(٥) الدعسوقة:
- ☐ خنفساء صغيرة مرقطة الجناحين
- ☐ سلحفاة المياه العذبة.

(٦) الأسكان:
- ☐ شعب من شعوب إيطاليا القديمة
- ☐ أداة نسخ التصاميم والرسوم البيانية.

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

■ نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مسابقة الفيصل

شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى:	١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية:	٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة:	٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة:	٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة:	٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة:	١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة:	(اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة:	مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

عنوان المجلة:

ص.ب(٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

إيقاع الروح

ألما عصام محمود
حلب - سورية



تتحرّكُ الصلواتُ فيَّ،
أنا الندى الروحيُّ،
وهو يُخبّئُ الأسرارَ،
في زهر الزمنْ..
وأنا البتولُ..
أنا،
اضطرابُ شرارةٍ
عادت لِمسقط عِشْقِها
لِتبلّلَ الأوقاتِ بالرؤيا
وتذهبَ في اليقينْ..
تتحركُ الأشجارُ،
في صمتي
سألتُكَ:
هل رأيتَ البحرَ،
وهو يُعيد أمواجي إليكَ؟
وهل رأيتَ الشمسَ،
وهي تدورُ،
حول قصيدتي؟
سأرتّبُ الأحلامَ،
ملءَ جفوننا
وأقول للنخل الذي
خَطفَ البلادَ إلى الشجنْ
طوبى..
لمن يسْتلُّ
من مُهَجِ الحريق وَسامتي
ويلفُّ بالماءِ الشجيِّ الصبِّ
خاصرةَ الوطنْ..

عذاب الصب

الشريف الغرناطي*

دَعيني مِنْ مقالِ العاذِلَيْنِ
وخلِّي بين تَهْيامي وبَيْني

ومن يَكُ سالِيًا فلَدَيَّ حُبٌّ
سُلُوُّ القلبِ عنه غيرُ هَيْنِ

علقتُ فمقلتي للنومِ حَرْبٌ
بأعْزَلَ، وهو شاكي المُقْلَتَيْنِ

مليحُ الدلِّ شاقَتْ كلَّ قلبٍ
شمائلُهُ وراقَتْ كلَّ عَيْنِ

جَنى وحَمى فلمْ أطلُبْ بثأري
محاجِرَهُ، ولمْ أتقاضَ دَيْني

أهيمُ بخدِّهِ وبمَبْسِمَيْهِ
فأنسِبُ بالحِمى والأبْرَقَيْنِ

عَقَدْتُ مع الغرامِ فبِعْتُ فيه
وقاري والتَّصبُّرَ صَفْقَتَيْنِ

وهِمْتُ بناعمِ العِطْفَيْنِ فيه
عذابُ الصَّبِّ عَذْبُ المَرْشَفَيْنِ

تُديرُ عليَّ عَيناهُ كؤوسًا
كأنَّ سُلافَها من رأسِ عَيْنِ

فأحْلِفُ بالمُحَصَّبِ والمُصلَّى
وأعلامِ الصَّفا والمأزِمَيْنِ

لأنْتَصِرَنَّ بالأجفانِ حتى
تكونَ دموعُها في الحُبِّ عَوْني

وحينَ تَعرَّفوا كَلَفي، وقلبي
يصونُ السرَّ عنهم كلَّ صَوْنِ

كَفَفْتُ المُقْلَتَيْنِ ليَشْهَدا لي
فجرَّحَتِ الدُّموعُ الشاهِدَيْنِ!

فلو أبصَرْتَ ناظِريَ المُعَنّى
وماءُ الدَّمعِ فوقَ الوَجْنَتَيْنِ

بَصُرْتَ بوردتين يَسُحُّ منها
سكيبُ القَطْرِ فوقَ بَهارتَيْنِ

إذا أعرضتَ أعْرَضَ كلُّ صَبْرٍ
وآذَنَ نَوْمُ أحداقي ببَيْنِ

ولم تَبْدُ الرِّياضُ بحُسنِ زِيٍّ
ولم تَزْهُ الرُّبا بكمالِ زَيْنِ

كأنَّ نسيمَها ممّا أقاسي
يَهُبُّ عليلُهُ بالأبْرَدَيْنِ

كأنَّ الدَّهْرَ غِبَّ سَما بَكَتْهُ
لما أبدي، حَمامُ الشاطِئَيْنِ

أهيجُ لها الهَوى وتَهيجُهُ لي
فنَلْقى في الهوى متطارحَيْنِ

وقد هاجَ الحَمامُ الوجْدَ قبلي
لتَوْبَةَ عند بَطْنِ الوادِيَيْنِ

بعَيْشِكَ هل تَرى ثاني وحيدٍ
يَرى بكَ ثالثًا في النَّيِّرَيْنِ

وهل يَدْنو من الآمالِ صَبٌّ
بعيدٌ بينَ هُدْبِ النّاظِرَيْنِ

فإن يكنِ الجَمالُ حَباكَ مُلْكًا
وأيَّدَ ناظِرَيكَ بحاجِبَيْنِ

فما أرضى لمُلْكِكَ أنَّ كِسْرى
وقَيْصَرَ في مَقامِ الحاجِبَيْنِ

وإنَّ أقلَّ حظٍّ يُبْتَغى مِنْ
رضاكَ يَفي بملكِ الحارِثَيْنِ

تُخَبِّرني وفي عِطْفَيْكَ لِينٌ
فَعالُكَ عن فؤادٍ غيرِ لَيْنِ

وأعرِفُ في لحاظِكَ ما رأتْ في
ظُبا الثَّقَفيِّ قاتِلَةُ الحُسَيْنِ

وألقي في الهوى بيدي ومالي
على فَتَكاتِ لَحْظِكَ من يَدَيْنِ

عَلامَ الغِبُّ عني لا أغِبَّتْ
بكَ الخَيْراتُ هامِيَةَ اليَدَيْنِ

ولا جَرَتِ الرِّياحُ عليكَ إلاَّ
صَبا، وسقى مَحَلَّكَ كلُّ جَوْنِ

* هو أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الشريف الحسني الغرناطي. ولد بسبتة سنة ٦٩٧هـ، في بيت علم، واستقر في غرناطة إلى وفاته سنة ٧٦٠هـ، ونسب إليها. له بعض المؤلفات وديوان شعر سماه «جهد المقل». [مختارات من الشعر الأندلسي، د. محمد رضوان الداية ـ دمشق، المكتب الإسلامي ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م].

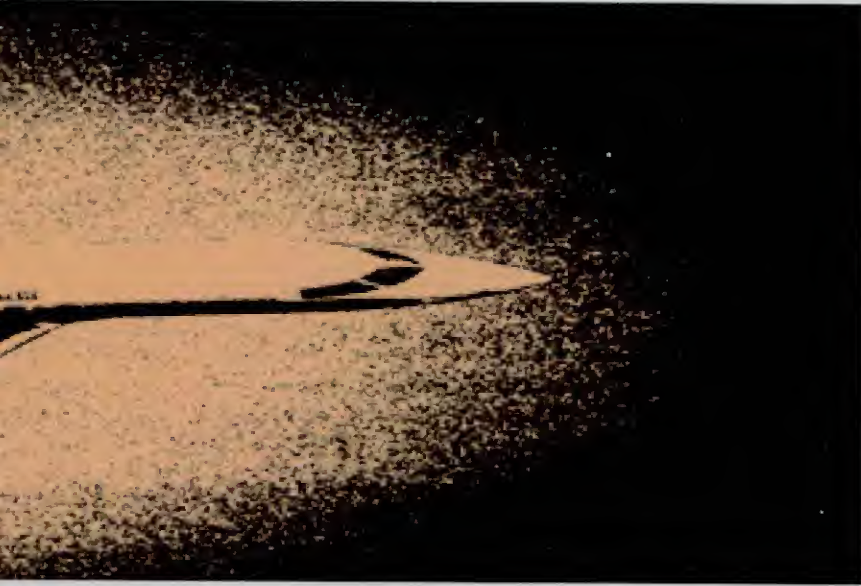
جرحٌ وتذكار

ميلود بن عمار
عين وسادة ـ الجزائر

عيناكَ دمعهما ما انفكَّ ينهمرُ
والقلب في جنبَاتِ الصَّدرِ يُعتَصَرُ
كفاكَ هماً، فذي الدنيا تفوحُ شذىً
الزهرُ توَّجَها والشمسُ والقمرُ
تَداعبُ الوتر المحزون تشقى به
وإن تشأ لم يزركَ الهمُّ والكدرُ
ياصاحب الكلمات الخضرُ مُورقةً
الأفْقُ أنت، فهل للأفق مُخْتَصَرُ؟
ما ضرَّ قلبك إن تفتحْ نَوافذهُ
على الحياةِ، وترفعْ هامها الفِكرُ
الدّهرُ ضمَّدَ جُرحًا أنت ناكِشةٌ
العقلُ أشقاكَ والتذكارُ والصّوَرُ
تلك السّبيل قطعناها وفي يدنا
حُلْمُ الطفولةِ مَزْهُوٌّ بهِ العُمُرُ
وفي خطانا يشقُّ الورد ضحكته
وفي وهاد الثَّرى للنهر مُنْتَشَرُ
وبؤبؤُ العينِ آمالٌ وأغنيةٌ
وهمَسةٌ لا تُطيقُ الصَّبْرَ تنفجرُ
كانت لنا جلساتٌ طاب محملُها
على القلوب لها وقعٌ، لها أثرُ
عيناكَ دمعهما ياصاح شقَّهُما
والقلبُ بيْنهما مُلْقىً ومُنكَسرُ
هذي الحياةُ ربيعٌ أنت تُنكِرُهُ
وفي ثناياكَ عُرسٌ باتَ يُحتَضَرُ



الهمُّ يطوي ليالي مدَّها سنةٌ
وأنت تفتحها عُمْرًا وتعتذرُ
كأنَ قلبك تواّقٌ لرؤيتها
وللجحيم الذي منها سيستعرُ
كفاك همًا وتذكارًا ومَوْجدةً
الهمُّ ياصاح لا يزكُو به العُمُرُ



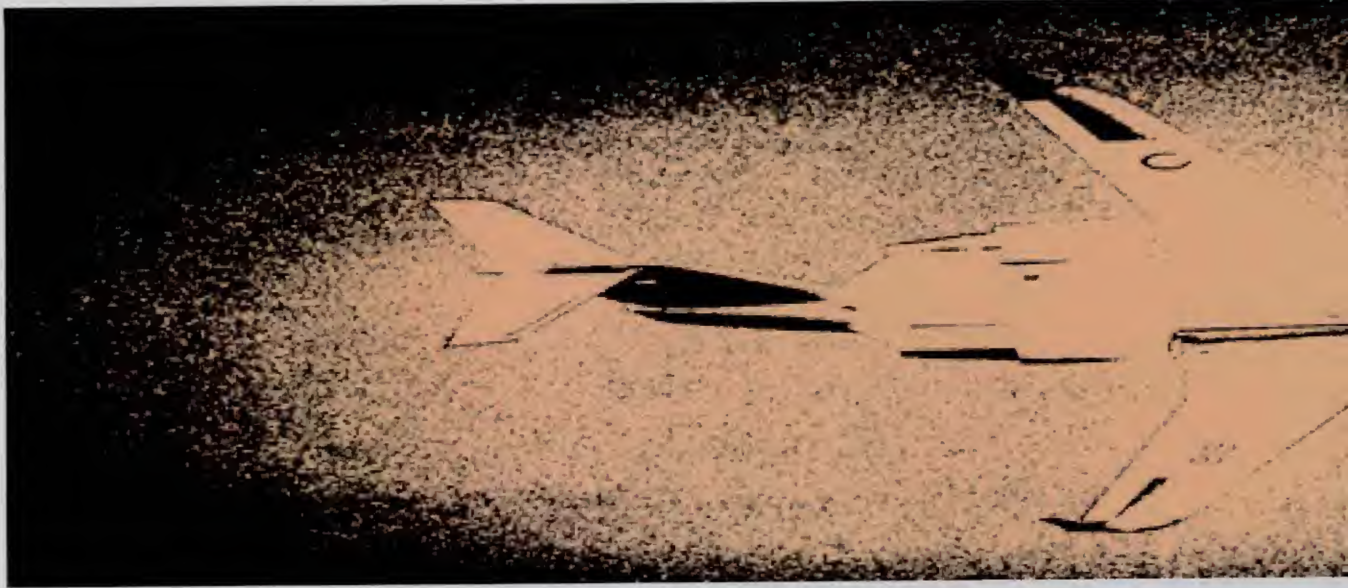
الوهم المرعب

إبراهيم الناصر الحميدان
الرياض - السعودية

يجتاحه لهاث العصافير عندما يحلق في الجو، يتلفت حتى يشم رائحة العبير»، توشيه هيبة الكون والجلالة، باحثًا عن نجماته في الأفق بنات نعش!

اعتاد منذ عدة سنوات امتطاء متن الأثير.. على متن المركبة العملاقة.. تمخر العباب هادرة مزمجرة، فرفع بقدميه حتى مداها من تحت الكراسي لترتاحا من جفوة الامتصاص.. القابع بجانبه شارد الذهن، يلوذ بصمته متكتمًا على هواجسه، والتوتر يحيط به. قد يفكر بمن سيلقاهم عند الوصول، يتشوقون إلى ما تمتلئ به حقيبته، فالاغتراب ضريبته الهدايا، وليست تلك الابتسامات التي تنفرج عنها الأفواه سوى رشوة الانتظار.

حاول مد جسور الحوار لابتلاع ملل المسافات، فأخفق في إيجاد الوسيلة تشاغل بتحريك أزارير الشاشة التي تقبع خلف الكرسي المواجه، تتالت المشاهد بألوان الصور، احتباس الكلام في صدره مازال يضايقه، لم تشده الرؤى الباهتة، والآخر تحامى بصمته، جاءت المضيفة الجميلة ذات الوجه الصقيل لتوزع بطاقات صغيرة فكّر بمحاورتها.. لولا أنها مرقت على عجل لانشغالها، فاكتفى بمنحها بسمة عابرة.. تحمس لتعبئة البطاقة، شد حقيبته الصغيرة، واستل منها ذلك الدفتر الملون يحمل هويته وقلماً صغيراً. أثبت عليها المعلومات المدونة التي تخصه منها.. الآخر تجاهل حركته حتى بعد أن أغمد القلم والدفتر في جوف الحقيبة! تقافزت المشاهد على الشاشة. عالج الصوت قليلاً.. اللغات معبأة مع نزيف الموسيقى الناعمة، داهمه شعور الوحدة، والآخر يحتمي بصمته المريب متكوراً على أسراره. صدره يمتلئ بالأجوبة للمستقبلين، والحقيبة الكبيرة تشكو الخواء لا نبض يطوي جوانبها. تلقفتها أيدٍ كثيرة حتى ذهبت برونقها. شهدت عواصف الأسئلة ثم زمجرة الأقدام وهي تركل المؤخرات. المشرد لا يعثر على من يعطف عليه إلا نادراً. والصعاليك التجؤوا إلى الكهوف وأعالي الجبال منذ الجاهلية. يتخطى الحدود بلا خوف.. لن يخسر شيئًا، والأفواه التي تصرخ في وجهه تمنحه الشجاعة والإقدام. جعبة ذكرياته تمتلئ بالأشجان والقهر، تشفق عليه من ملازمة احتكار الصمت له، ملابسه رثة، لا توحي بالهطول المالي، بل بالجفاف والجدب، أحضرت الفتاة الصقيلة الوجه بعض أقداح المشروبات الملونة. تناول أحدها دون تمييز دلقه في جوفه فاستدعى التجشؤ. انتشى لبرودة القدح أو لمذاقه. فومضت عيناه بيقظة مفاجئة.. هرب النعاس والتفكير



الظني، صار أكثر شجاعة لمواجهة الموقف القادم. اعتاد بأن يخضع للاستجواب والركل الخفي، لم تعد تخيفه أعقاب البنادق تتجول على جسده، الجوع يعذبه فقط.. يغري أمعاءه، ويثير سخطه، يتبادل الشكوى مع رفاقه المحاصرين بين أربعة جدران فيكتفون بإطلاق الشتائم. لا ينقذهم سوى احتدام النعاس، يصرعهم الواحد تلو الآخر، أحلامهم عابسة تتطاير مثل الشظايا.. لا تهدأ من التغلغل تتصارع بجفاء..

اقتحمه هذه المرة بعزيمة قوية.. استفزه بإخراج علبة السجائر، طلب منه (ولاعة) نظر إليه الآخر باستغراب.. التدخين ممنوع على الركاب بتعليمات غلاة الصحة في حربهم ضد الشركات المنتجة. تحمس الصامت فسأله بصوت خشن ألا تخشى اختراق القانون؟ استغرب منه هذا التحذير. ابتسم في وجهه مؤيداً، وقد فرح لنجاحه في اقتحام صمته. سأله بعفوية، كم أمضيت في الغربة؟ رد الآخر بحزن.. تسعة أشهر، منها ستة أشهر في التوقيف! فسأله باستغراب ماذا فعلت؟ أجاب: كنت مخالفاً ولم أحصل على إقامة نظامية فواصل.. أهدرنا الكثير من أموالهم في الاحتجاز لإطعامنا، فقرروا إبعادنا.. ثم أضاف وهو يشير بيده معظم ركاب هذه الطائرة من المبعدين!! أدرك لتوه سبب اعتصامه بالصمت.. فشعر بقشعريرة تسري في أوصاله.. فأخذ يلتفت متفحصاً وجوه الركاب بريبة. من هم العائدون إلى أوطانهم فارغي الجيوب؟ ألا يحمل بعضهم سكاكين مدببة تكفي لترويع قائد الطائرة؟

انتابه رعب مفاجئ فنهض من مكانه حتى يبتعد عن هذه القنبلة التي تنكمش بقربه، بحث عن الجميلة ذات الوجه الصقيل حتى تنقذه ولو بابتسامة مشرقة تتخلل محياها الفاتن. لم يجدها.. ذابت في الأجساد المتكدسة، ثم تذكر أنهم كانوا في حوزة رجال الأمن فلا سبيل إلى احتراز أي سلاح صغير بما في ذلك موسى الحلاقة، ارتاح لهذا التأويل، والجوع يجعل الناس مسالمين حتى وإن امتلأت قلوبهم بالحقد والغضب، استغرقته دوامة التفكير، وتمنى لو اكتشف العلماء محطات جوية في الأفق تسمح بمغادرة الطائرات واستبدالها تخفّفاً من القرصنة، ولم ينقذه من حومة الرعب سوى صوت قائد الطائرة الذي أعلن أنهم على مقربة من محطة الوصول، وعلى الجميع ربط أحزمة المقاعد. فجلس متنفساً الصعداء، واعتزم على ألاّ يركب الطائرة حتى يتحقق من هوية الركاب.

بعد عشرين سنة

وليام سيدني بورتر
ترجمة: **أسعد بن تيِّم**
عمان - الأردن

كان الشرطي المكَلَّف بحراسة الحي يتهادى منحدراً بطول الشارع. الساعة الآن تقارب العاشرة ليلاً والشوارع شبه مهجورة. ظلامٌ وبرد. ثمة إنذارٌ بالمطر يتدلى في الجو.

ها هو ذا يمضي ملوحاً بعصاه، ليتفحص أبواب الدكاكين، ويتأكدَ منها كلِّها. الحي يصحو وينام مبكراً. هنا وهناك تبزغ أضواء بعض المطاعم التي تخدم طوال الليل، غيرَ أن أغلب الأبواب كانت لمحلات تجارية وقد أقفلت منذ بضع ساعات.

وإذ بلغ منتصف واجهة بناية بطّأ الشرطيُّ خطواته فجأة، إذ لمح رجلاً يقف في مدخل دكان لبيع العِدَد. كان يضع في فمه سيجاراً لم يشعله بعد. ولما صار بمحاذاته قال الرجل متعجلاً: «لابأس أيها الضابط؛ إنني انتظر هنا صديقًا فحسب. إنني أوافي موعداً ضربناه قبل عشرين سنةً». نظر الشرطي إلى الرجل بطريقة غريبة. «هل يبدو لك الأمر سخيفاً نوعًا ما؟ أليس كذلك؟» قال الرجل الواقف أمام المحل، ثم أضاف: «حسناً، سأشرح لك الأمر إن رغبت. منذ زمنٍ طويل كان ها هنا مطعم في مكان هذا المخزن - مطعم «جوبرادي الضخم».

قال الشرطي: «حتى خمس سنين قبل اليوم»، ثم هدم حينئذ.

شَخط الرجل الواقف بالباب عود ثقاب، وأشعل سيجارهُ أضاءت الشعلة وجهاً باهت اللون، ذا فكٍّ مربعٍ صلب، وعينين براقتين، ونُدبة بيضاء صغيرة فوق حاجبه الأيمن، حول عنقه يلتف منديلٌ ثُبِّت طرفاه بدبوسٍ تتألق في مركزه ماسةٌ كبيرة.

قال الرجل: «منذ عشرين سنةً قبل هذه الليلة، تعشيت هنا في هذا المطعم مع جيمي ويلز. كان أحب أصدقائي إليَّ وأفضل صاحب في الدنيا. لقد نشأت أنا وإياه ها هنا في نيويورك معاً، وكنا كأخوين». قطع كلامه لينفث سحابة من الدخان، ثم أضاف قائلاً: «كنت في الثامنة عشرة من عمري، وكان هو في العشرين. كنت سأغادر نيويورك في اليوم التالي متوجهاً إلى الغرب (الأمريكي) لأتدبر رزقي. غير أني لم أستطع إقناع جيمي بالمجيء معي وترك نيويورك؛ كان يظنها المكان الوحيد على الأرض. حسناً، اتفقنا تلك الليلة على أن نلتقي هاهنا بعد عشرين سنةً بالتمام والكمال، في الساعة نفسها. قلنا كلانا؛ إننا سنجيء في الموعد المضروب مهما تكن الأحوال؛ مهما طال السفر. لقد قدرنا أنه خلال عشرين سنة سيكون كلٌّ منا قد أمَّن مستقبلَه وتحدد مصيرُه - كائنًا ما سيكون».

ردَّ الشرطي: «تبدو قصتُكما شائقة، مع أنها تبدو لي مدةً طويلةً دون أن تلتقيا. أما سمعت خبراً عن صديقك منذ أن غادرت؟».

قال الرجل: «حسنًا، نعم، لقد تكاتبنا فترة، لكننا بعد سنة أو سنتين فقدنا زمام الخيط الذي كان يصلنا معًا. كما تعلم، فإن الغربَ مكانٌ واسعٌ جداً، كما أنني اضطربت فيه كثيراً من موضعٍ إلى آخر. غير أنني أعلم أن جيمي سيقابلني حتماً ها هنا إن كان لا يزال حياً. لقد كان دائماً أصدق فتًى وأخلصَه في العالم. لن ينسى موعدنا أبداً. لقد قطعت ألف ميل لأقف أمام هذا الباب الليلة، وإن الأمر ليستحق التضحية إذا ما حضر صديقي».

أخرج الرجل المُنتظرُ ساعةً أنيقة، عقاربها من الألماس، ثم أعلن: «الساعةُ الآن العاشرة إلا ثلاثَ دقائقَ؛ لقد كانت الساعةُ العاشرة تماماً عندما افترقنا أمام باب المطعم».

سأل الشرطي: «أراك استفدت جيداً من الغرب، أليس كذلك؟!».

«كم تظن ! أرجو أن يكون جيمي قد رزق على الأقل نصفَ ما رزقتُه في الغرب. لقد كان من الصنف الدؤوب، ذاك الفتى الطيب. أما أنا فكان عليَّ أن أتنافس مع أصلب الأشخاص من حولي كيما أنجح. إن الحياة في نيويورك تطوي المرءَ في أخاديد النسيان. إنه الغربُ الذي يشحذه كالفولاذ».

لفَّ الشرطيُّ عصاه في يده بسرعة، وتزحزح خطوةً أو اثنتين، ثم قال: «سأمضي. أرجو أن يوافيكَ صاحبُك بحال تسرُّك» قال الرجلُ: «آملُ ذلك، سأمنحه نصف ساعة على الأقل. إن كان جيمي حيًا فوق ظهرها فسيكون هنا في هذه الفترة. عمتَ مساءً أيها الضابط». أجابه الشرطيُّ: «طابت ليلتُك»، ثم استأنف سيره متمهلاً بخطوات رزينة، متفقدًا الأبواب في طريقه.

سطع البرق فجأةً، ثم انهمر المطر، واشتد هبوب الريح. الناس القليلون الذين كانوا في الشارع هرعوا مسرعين، كلٌّ في طريقه؛ ياقات معاطفهم منصوبةٌ، وأياديهم في جيوبهم. وفي مدخل ذلك المخزن انتصب رجلٌ سافر ألف ميل ليفي بموعدٍ كان قد قطعه مع رفيق الصبا قبل عشرين سنة، ها هو ذا يدخن سيجارة وينتظر.

مضت عشرون دقيقة وهو في مكانه، ثم أطل من جهة الشارع المقابلة رجلٌ طويلٌ يرتدي معطفًا سابغًا، وقد رفع قبعته إلى أذنيه، ثم عمد إلى الرجل الواقف، وهرول إليه مسرعًا.

«أهذا أنت يا بوب؟» سأل متشككًا.

زعق الرجل الواقف بالباب، «أهو أنت يا جيمي ولز؟».

«بورك قلبي!» صاح الواصل آنفًا منفعلاً. ثم أخذ يد الرجل المنتظر بكلتا يديه وقال: «إنه بوب، مؤكدٌ كالقدَر. لقد كنت متأكدًا من أنني سألقاك هاهنا إن بقيتَ حيًا. حسنًا، حسنًا، حسنًا!ـ عشرون عامًا مدةٌ طويلةٌ. لقد أزيل المطعم القديم يا بوب. وددتُ لو أنه بقي فنتعشى فيه ثانيةً. ما فعل بك الغرب، يا رجلُ؟».

«لقد كان رائعًا. أعطاني كلَّ ما تمنيته. ياه! لقد تغيرت كثيرًا يا جيمي؛ إنك تبدو أطول ببوصتين مما عهدتك!».

«أوه، لقد استطلتُ قليلاً بعد بلوغي العشرين».

«وكيف حالك في نيويورك، يا جيمي؟»

«لا بأس. لقد ترقيتُ إلى مركز محترم ببعض دوائر المدينة. هيا بنا يا بوب. سنمضي إلى مكان أعرفه لنجلس فيه ونتحدث مليًا عن أيامنا الخوالي».

انطلق الرجلان في الطريق، وكل منهما يتأبط ذراع الآخر. الرجل القادم من الغرب، مغتبطًا بنجاحه، كان يتكلم عن نفسه. أما الآخر، متلفعًا بمعطفه فقد كان يصغي باهتمام.

عند زاوية الشارع تنتصب صيدلية باهرة المصابيح. في وهج أضوائها أدار الرجلان وجهيهما في اللحظة نفسها، لينظر



كل منهما في وجه الآخر.

توقف الرجل القادم من الغرب فجأة. أطلق ذراع رفيقه، ثم زعق بحدة: «أنت لست جيمي ويلز! عشرون عاماً مدة طويلة ـ لكنها ليست كافية لتغيير شكل أنف الرجل!».

«لكنها قد تكون كافية لتحول فتى طيبًا إلى رجل سوء». رد الآخر: «إنك قيد الاعتقال منذ عشر دقائق يا «سلكي»(١) بوب. لقد وصلتنا برقية من شيكاغو تفيد أنك ستنحدر صوبنا. يريدون أن يحققوا معك قليلاً. ستمشي معي بهدوء أليس كذلك؟! تحسن صنعًا، إذن ولكن قبل أن نصل إلى المركز، إليك هذه البطاقة التي أمرت بتسليمك إياها. يمكنك أن تقرأها بحذاء النافذة، إنها من ويلز».

فض الرجل القادم من الغرب الورقة الضئيلة، وطفق يقرؤها. وكانت يداه واثقتين عندما شرع في القراءة، غير أنهما أخذتا ترتجفان. كانت الرسالة قصيرة، واضحة:

«بوب: لقد كنت في ميعادنا في الوقت المحدد. عندما شخطتَ عود الثقاب لتشعل سيجارك، رأيتُ أنه وجه الرجل المطلوب في شيكاغو. على كل حال، لم يكن من السهل عليَّ أن أقبض عليك بنفسي لذا مضيت وأرسلت زميلاً لي بثياب مدنية لينفذ المهمة» . جيمي..

الهوامش

١ـ اسم الزعرنة الذي يعرف به بوب.

تضاريس

صالح الأشقر
الرياض ـ السعودية

كان وادي قد جاء من هناك مُبعَدًا. ألقى كل أحماله على أرض المطار اللامعة، واستقبلته رائحة المدينة وأصواتها السافرة. وحين اعتلى طرقاتها، كان يفكر بوطن جديد، ويخفي فوق دقات قلبه تلك الليالي الطويلة الماضية، وجدران غرفته وأشياؤها إذ تنغمس في مؤامرة وتصرخ في وجهه: ابتعد.. احمل نفسك وغادر؛ ألا تسمع! لم يعد لك مقام هنا!

وكان حين يحاصر بالحزن والخيبة يخرج إلى الشوارع. لكن أصوات الجدران والأشياء تتبعه في وجوه الآخرين، وعيونهم وتطارده.

صارت الأيام الأولى في الغرفة الجديدة، وفي الوطن الجديد تمضي وئيدة.

أخذ وادي يفكر في نفسه مليًا ولأول مرة منذ زمن بعيد.. يكتشف ذاته المطمورة من جديد، وأصبح للوقت معنى آخر.

ينهض عند مطلع الفجر، ويفتح النوافذ، وبعد أن يحتسي قهوته يتهيأ للكتابة، يقول لنفسه وبوضوح: سأكتب عن كل شيء، سأفضح نفسي وأفشي أسرارها، وأستبيح أرضها، وأغوص في الأعماق المحرمة والرحبة. سأنزع عنها الأوراق واحدة واحدة، وأفك أغلالها لأراها حرة عارية تتجول أمام عيني.

كان في وسط المدينة الجديدة مقهى وادع، تشدك إليه رائحة البحر. المقاعد بيضاء، والأرض بيضاء، وكل ما يحيط بك غارق في البياض: المناديل والصحون والكؤوس وحتى الابتسامات.

كنت أسميه في النهار المقهى الأبيض، وأسميه في المساء المقهى البحري، إذا أشرقت الشمس جرتني خطواتي السعيدة إليه. وحين أجلس وأغمض عيني قليلاً وأتنفس بعمق ولذة، يقترب النادل وينحني بأدب جم ويقول: صباحك جميل أيها الطائر الشرقي. فافتح عيني وأبتسم ابتسامة بيضاء وأقول: قهوة فواحة يا سيدي. بعد قليل يتوافد الرواد على مهل، ويتعالى الكلام والضحك وتطفو البهجة، إلى أن يغرق المقهى في الضجيج والمساء.

هنا للقهوة طعم آخر لا يزول، ورائحة طاغية تحرض الشاربين على الحديث والكلام والتعارف.

قال الذي كان إلى جانبي: أراك تلجأ إلى هنا كل يوم هل تحب هذا المقهى؟

يأسرني هذا المكان، وتفاصيله العارية تجتذبني. وطرقات المدينة مفتوحة أبدًا تتلوى وأنا معها أتلوى، ولكن دون أن أدري أجدني هنا.. مستقرًا ولا جنًا.

الأشياء هنا أليفة ناطقة وجميلة، وتستحوذ عليك، وتملأ الفراغات بداخلك. كأن تلتقي الوردة باسمها المفقود وبلونها الضائع.. أو تجتذب المقاعد حديث البيوت.. أو أن ينغمر البحر بالماء، ويحتل الزبد المتوهج رمال الأرض. إنه عناق جميل يغري الروح والجسد، كأن الأشياء هنا قد تخلت عن صمتها الأبدي فصارت تنطق بلغة مفهومة، وعندما يعلو



صخب الناس الجميل يتعالى داخلي فرح غزير، ويسقط عن وجهي وروحي آخر الأقنعة.

يكتب وادي من أولِ السطر:

كنت صغيراً أتهجّى خطواتي الأولى بينهم. وجدوني هكذا.. عفيف الذاكرة.. فرحوا وأخذوا يصبون في رأسي الصغير جداول من الكلمات التي شربوها منذ قرون. تخاطفوني بقسوة وألبسوني قناعاً أخذ ينمو معي ويتكاثر. ثم علموني ونقشوا على جدران عقلي كيف أصنع أقنعتي بيدي، ومتى ألبس كل واحد. هذا قناع أرتديه حين أخرج من بيتي، أبدو به وفيه واحداً مثلهم: نفس الملامح والصوت والحركة، وذاك ألبسه في حضرة أبي. وذلك للنهار وآخر الليل.

حملت أقنعتي على كتفي ومضيت أغذ السير في الحياة. كنت مشدوداً بقوة إليها فأصبحت أعرف مواقيتها وألوانها بدقة ونظام صارم، وأعرف متى أبدلها. وكنت أرى الآخرين مثلي قد انهمكوا في علاقات وطيدة مع أقنعتهم ويحافظون عليها بشغف شديد. مرة علقت قناع الخروج على باب غرفتي، ورحت ألهو في شارع قريب. فرّ الناس من حولي وقالوا: هذا به مس من الجنون.. إذ كيف يمشي عارياً بلا قناع.

ركضت خائفاً إلى غرفتي، ولبست كل أقنعتي، واحتضنتها ونمت مطمئناً.

ومرة نسيت قناعي في حضرة امرأة تفوح عيناها بلون القهوة.. وقلت لها يا لعينيك الجميلتين، فنهرتني أمي وقالت لها بصوت خفيض: إنه جاهل صغير.

أذكر أني آخر الليل بكيت وحلمت بعينين جميلتين. وكنت أسير فوق شارع بعيد عن بيتنا، وفجأة لمست يد ساخنة وثقيلة وجهي الصغير، ولما رفعت رأسي كله أبصرت وجهاً تنطلق منه أسراب شياطين جائعة. صرخت ورحت أعدو مذعوراً، وصارت الأشباح تلاحقني كلما فكرت بهتك أقنعتي!

ها أنا ذا الآن هنا تقودني الطرقات.. والطرقات طويلة وغارقة بالأشجار والماء والمقاعد والضجيج والسموات والأرض والأقمار والشمس والليل والنهار والغيوم والبشر.

قال الذي إلى جانبي: كأنك تستقبل الحياة للمرة الأولى!

قلت له ولنفسي: أنت تعيش الحياة مرة واحدة!

يكتب وادي في منتصف الصفحة:

الوحدة الشديدة

أنهض باكراً، وأتلفت حولي، ولا أحد إلا أنا. أشعر بالوحدة، لا صوت، لا حركة ولا رائحة.

كل ما حولي ساكن وميت. أصغي إلى الخارج، ولا أسمع دبيب الحياة، فأذرف دموعاً مالحة.

أتمنى أن تبزغ بجانبي امرأة تحكي قصة حياتها.

تقول: إنها تحب واحداً يعطيها القمر والشمس والأنهار والجداول والصحراء والفضاءات والحدائق. وإنها تصير ملكة طاغية مستبدة. تناديني أن أقوم واقفاً ومعتمراً روحي المخبوءة، وأنفض عنها ظلال الحزن والوحدة والتعب. أحتمي بصوتها من وهج وضجيج وشموس الآخرين، تقول لي: إنك الأول وما بعدك أحد. وتقول ما لم تقله واحدة لواحد. كأن تقول: خذني إلى الأعماق المبهمة.. إلى تلك الغابات البكر التي لم تطأها روح ولا جسد.. إلى تلك المصبات الغامضة والمضيئة. خذني إلى حديث الشوارع والنوافذ المفتوحة. وتقول: أريد أن أراك مرتفقاً يد امرأة هي أنا، وتخاصرها أمام عيون كل البشر.. وتقول: خذني إلى شتاء ليس به برد، وإلى دفء بلا أغطية، وأريد أن نسلك طريقاً أعمى وفاقد البصيرة، طريقاً أنت وأنا نجدل منعطفاته ونهاياته، وتقول: ثم نفعل ما نريد!

يشهق وادي ويقول: يا لهذه الوحدة الشديدة.

يقوم ويمشي إلى النافذة ويفتحها. يدخل هواء بارد. ينظر إلى السماء ويقول بصوت فرح: سوف ينزل المطر.

أخذ يدور في الغرفة وشعر أنه بدأ يألفها: النافذة الواسعة التي تطل على شارع جميل للمشاة.. الستائر السميكة بلونها الأخضر الخفيف.. الجدران البيضاء العارية.. وهذه الموسيقى التي لا تهدأ.

اقترب الذي كان إلى جانبي، وقال بعطف: يبدو أنك لا تنام كثيراً.. عيناك تقولان ذلك!

يجلس وادي ويكتب من أول السطر:

مدينتي مختبئة وغارقة وسط الصحراء وصامتة. جدرانها عالية وعمياء. وهي لا تترك عاداتها القديمة.. تتشبث بها وتعض عليها بالنواجذ. مدينتي التي أحبها لا تسفح دمعة واحدة من أجلي. أبحث عنها في النهار فلا أراها، وفي المساء تفرّ من شوارعها وأنوارها وحدائقها وأشجارها الطفيفة، وتغيب بين الجدران.

مدينة لا تسمع ولا ترى. مدينة تحتضر. كل من يأتي إليها أو يمرّ بها عليه أن يعلّق ذاته عند أبواب موانئها الظالمة، ويرتدي ذاتاً أخرى.

شوارعها خاوية ومتجهمة، وأرصفتها لا تلامس أصوات المارة والعابرين. مدينتي لا تشبه مدينة أخرى.. مدينة يتيمة، وقد خلقت جرداء، لا تغريك أو تغويك، ولا تثير فيك هاجس الشعر والغناء أو النساء.

هي مغلقة ولا تعرف غير أن تفرغك بصمت وقسوة.

يكتب وادي من أول السطر:

البارحة كانت ليلة فريدة، ليلة أخرى، ليلة لم يولد قبلها ليلة، لم يكن هناك وجه حزين، السماء مختبئة فوق الغيوم، والبحر يحرس الرمال والأشجار، والناس في أمان، والدنيا مبذولة بسخاء ويسر. كنت سعيداً ولما تتملكني النشوة الشديدة أتبع هوى نفسي وأرتفقها إلى الماء. وأقول يا لهذه المدينة السافرة!

هناك مدن تعشقها من أول وهلة.. تناديك لمعاشرتها بشغف وصخب.. تمنحك داخلها وأرصفتها وليلها وشمسها.. تدعك تذرع جسدها شبراً شبراً.. ترتمي في أحضانها حتى مطلع الفجر ولا يداهمك الخوف.. تمشي وتغني في أرجائها، وتترك في منعطفاتها ظلالاً من صوتك ورائحتك وجنونك، وحين تغادرها تبكي وتحملها معك.

أنت الآن تسير في الشارع.. عيناك مفتوحتان على وسعهما.. مخطوط على وجهك ابتسامة

صافية، وترى كل شيء: ترى الذي لم تره هناك، ترى الواحد يضحك من قلبه، وقد يبكي ويرقص ويغني ويصرخ بأعلى صوته، وينفعل ويبدع ويرسم حتى على صفحة الشارع.

جلستُ على مقعد خشبي. خلفي أشجار كثيفة والبحر. أقبلت نحوي فتاة جميلة تحمل على كتفها صندوقًا وكرسيًا صغيرًا. ابتسمتْ وابتسمتُ أنا بسرعة. قالت: هل ترغب أن أرسمك؟ ثم أضافت وهي تلقي بأدواتها على الأرض: وضعك مناسب ومثالي سوف تكون لوحة جيدة.. كأنك في حالة تأمل! ما رأيك؟



جلستْ وأخذت تتأملني قليلاً، وقالت ويداها تشيران إلى الفضاء: سأرسمك بالأسود والأبيض. الألوان لا تعكس الحقيقة دائمًا.

ابتعدت بضع خطوات.. سحبت الكرسي وجلست وشرعت ترسمني.

كان وجهها صافيًا.. جميلاً كقمر، عيناها منورتان.. يفيض منهما نور غامض وساحر.. جزيرتان تتلألآن من بعيد.. غارقتان في نهر أخضر. تقولان شعراً جاهلياً قبل الكتابة والأساطير. فيهما المأساة والعيد.. الجنة والسعير.. فيهما النصف الخالي والمطر. شعرها منثور على شفا جبينها عروق رمل أصفر. إذا تحركت تتموج الرمال وأنا في عمقها أغرق.

كنت أراقبها وفجأة كفت عن الرسم، وقالت: لِمَ لا تستقر ملامحك على حال؟

يكتب وادي من أول السطر:

كنت صغيراً.. وكانت «نورة» دائمًا هناك. تمشي بوجهها المستدير الأسمر، وجدائلها الطويلة ورائحة الحناء التي لا تنقطع والعنبر. بعد أيام عديدة وسريعة اختفى العنبر والحناء. صارت نورة طيفًا وحكاية وأسطورة.

قالوا إنها أخذت تحدق في السماء وترسم على كفيها النجوم الساطعات، فامتلأ جسدها بالبثور حتى غطتها ثم ماتت. وقيل: إنها دلقت لبنًا طازجًا فوق أرض نجسة فتحولت إلى قردة باكية وسجينة. وقالوا: إنها أبصرت وجهها المستدير والأسمر في عين ماء ففرحت وسقطت في لجة الماء.

وقالوا: إنها تمردت على بيتها فذبحوها ورشقوا دمها على الجدران. وقالوا: إن والدها تبعها خلسة ذات ليلة ربيعية، ورآها تتبرج أمام ثعبان يحرس كهفًا في عمقه نبع صاف، فقطعها إربًا وألقاها في الماء.

لا أدري يا نورة لماذا كلما تذكرت وجهك الأسمر رغبت في البكاء، وأتمنى أن أملك كل الدموع وأبذلها مرة واحدة وأستريح. أتمنى يا نورة أن تنهمر كل العيون على مصاريعها، وتنغمر الأرض ويجتاحها الطوفان وأنتهي.

كلما تذكرتك جاءني رجل يقول لي: أنت من طين وهي من عسجد. أنت من أرض وهي من فضاء. وأسمع صوته يقول: أنت لن تنالها أبدًا!

قام الذي كان إلى جانبي وقال: ألا ترى.. سوف تمطر السماء.. عليك أن تمضي إلى البيت!

يكتب وادي من أول السطر:

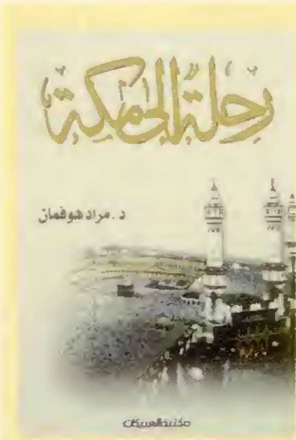
بكت السماء.. وعلقت لوحتي على الجدار العاري.. وكان في عيني السوداوين حنين وبريق غامض مدثر بقناع شفيف.

رحلة إلى مكة

مراجعة: وليد نذير عتمة

الرياض - السعودية

يتكوّن الكتاب من مقدمة واثني عشر فصلاً وخاتمة، في مئتين وتسع وعشرين صفحة من الحجم العادي، ففي الفصل الأول يصف المؤلف الحج وجموع الحجاج من خلال رحلته لأداء فريضة الحج، وكيف يستوي الناس هناك، الغني والفقير، القوي والضعيف، كلهم سواء لا فرق بينهم إلا بالتقوى، يتحلون بالانضباط والالتزام والصبر، ويتفادون الخلاف، وأحاديثهم غالبًا تدور حول الإسلام الذي يدعو إلى الفضائل وحسن الآداب، ويحذر من الوقوع في المعاصي والمحرمات، ويلبسون زيًا واحدًا يوحي مشهدهم بيوم القيامة يوم العرض أمام رب العالمين.



رحلة إلى مكة

مراد هوفمان

الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ٢٠٠١م.

ثلاث تجارب

أما الفصل الثاني ففيه شرح عن كيفية هداية الباحث للإسلام، ونطقه الشهادتين يوم ٢٥ سبتمبر/ أيلول ١٩٨٠م، كما يتطرق إلى بعض الشخصيات التي اعتنقت الإسلام، ويذكر قصة إسلام عمر بن الخطاب القوي ثاني الخلفاء الذي اضطهد المسلمين إلى أن اعتنق الإسلام فجأة بعد أن قرأ سورة طه على أثر مشاجرة مع أخته، ويتعرض إلى أمر هداية محمد أسد، وكريستيان (عبدالهادي)، ثم يشرح بالتفصيل الأسباب التي وجهته إلى هذا الدرب المستقيم، والتي أرجعها إلى ثلاث تجارب سياسية: أولاها: ترتبط ارتباطاً عجيباً بالجزائر، ومعايشته للحروب التي استمرت ثماني سنوات بين قوات الاحتلال الفرنسي وجبهة التحرير الوطني الجزائرية، وذلك في أثناء عمله بالجزائر عام ١٩٦٢/٦١م، وتحدث عن الظلم الواقع على الشعب من أعمال ارهابية وتصفية النشء الأكاديمي، وقتل النساء اللاتي يرتدين الحجاب، حيث شكلت هذه الوقائع الحزينة خلفية لأول احتكاك للمؤلف عن قرب بالإسلام، ولاحظ مدى تحمل الجزائريين لآلامهم، والتزامهم الشديد لدينهم، وسلوكهم الإنساني، وكيف كان يقينهم بأنهم سينتصرون، عندئذ أدرك المؤلف أن لدينهم دوراً مهماً في كل هذا، فبدأ يقرأ كتابهم «القرآن الكريم» في ترجمته الفرنسية.

والتجربة الثانية: هي تجربة ذات طبيعة جمالية متصلة بالفن الإسلامي، والباحث مولع بالجمال، فصار الفن الإسلامي بالنسبة إليه ذا قيمة عالية ومثيرة، وذلك في الإطار الروحاني الذي يتسم به الإسلام، ولقد ألهمته أعمال معمارية مثل الحمراء في غرناطة، والمسجد الكبير في قرطبة، فأصبح الفن الإسلامي وطناً جمالياً له.

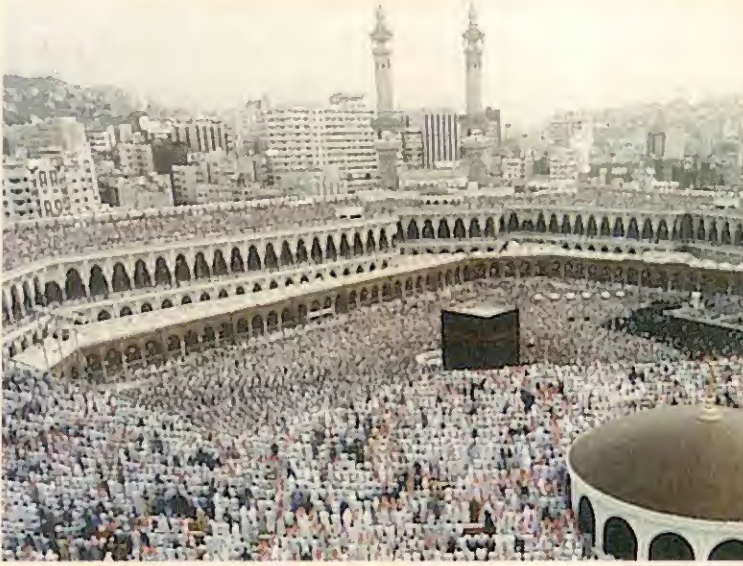
أما التجربة الثالثة التي قادته إلى الإسلام فدربه الفلسفي، ويقينه بضرورة الوحي والدين، فأي دين؟ وأي عقيدة؟ هل

اليهودية، أم المسيحية، أم الإسلام، فجاءته الإجابة التي تتلخص في قراءته للآية ٣٨ من سورة النجم: «ألا تزر وازرة وزر أخرى»، فالآية الكريمة تتضمن مقولتين دينيتين تمثلان أساساً وجوهراً لفكر ديني هما:

- أنها تنفي وتنكر وراثة الخطيئة.

- أنها تستبعد، بل وتلغي تماماً إمكانية وجود أحد بين الإنسان وربه، يحمل الوزر عنه.

والمقولة الثانية تهدد وتنسف مكانة القساوسة، وتحرمهم من نفوذهم وسلطانهم الذي يرتكز على وساطتهم بين الإنسان وربه، والمسلم بذلك هو المؤمن المتحرر من جميع قيود السلطة الدينية وأشكالها، أما نفي وراثة الخطيئة وذنوب البشر، فقد شكل له أهمية؛ لأنه يفرغ التعاليم المسيحية من عناصر جوهرية مثل: ضرورة الخلاص، والتجسيد، والثالوث، والموت في سبيل التضحية، وتصور فشل الله في خلقه، وعدم قدرته على تغيير ذلك إلا بإنجاب ابن والتضحية به، أي أن الله يتعذب من أجل الإنسانية، أمر فظيع ومروع بل تحريف وإهانة بالغة. ويقول المؤلف: وبدت لي المسيحية وكأنها تعود لترتكز في أصولها على أساطير متنوعة ومتعددة. كما تبين الدور الخطير والشرير الذي أداه بولس الرسول، الذي لم يعرف المسيح، ولم يصاحبه، وإنما بتزوير التعاليم اليهودية - المسيحية التي صاغها برنابه، وترى في المسيح أحد رسل الله وأنبيائه، وتيقن أن المجلس الملي الذي انعقد في نيقيا (عام ٣٢٥م) قد ضل طريقه تماماً وحاد عن الصواب وتعليمات المسيحية الأصلية عندما أعلن أن المسيح هو الله، واليوم، وبعد مرور ستة عشر قرناً. يحاول بعض علماء اللاهوت الذين يتمتعون بجرأة شديدة تصحيح هذا الخطأ. ومجمل القول: أن المؤلف بدأ ينظر إلى الإسلام بوصفه العقيدة الحق التي لم تتعرض لأي تشويه أو تزوير، عقيدة مؤمن بالله الواحد الأحد الذي «لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»، عقيدة لا ترى أن معتنقيها هم شعب الله المختار، كما أنها لا تؤله أحد الأنبياء. ويتعرض الفصل الثالث للصلاة، وفيه يذكر الكاتب أنه لا شيء يعرّض إسلام المرء للخطر أكثر من انقطاع صلته بربه، وعندما يصبح التسبيح بحمد الله العنصر المحوري في حياة كل من يعي ويدرك معنى ما يقول، عندها يؤمن بالله، وبناء على ذلك، فإن من لا يصلي ليس بمؤمن، فمن يدرك حقاً المعنى الحقيقي لوجود الله، فستكون لديه بالضرورة الرغبة الكبيرة في التأمل والتوجه إليه، وخاصة عند قراءة «إياك نعبد وإياك نستعين». ثم يقول الباحث: لقد تغلب على عدم قدرته على الحفظ والتلاوة باللغة العربية، وتعلم الوضوء والصلاة، كما يصف صلاة الجماعة بأنها رمز التلاصق والتضامن، وصلاة الجمعة وأهميتها السياسية عندما يدعو الخطيب في نهاية خطبته بالإصلاح والهداية للحاكم



والمحكومين، كما يبين فضائل صلاتي عيدي الفطر والأضحى، ودور الصلاة في علاج أعراض التوتر المعاصر، حيث تضفي على النفس الطمأنينة والتحرر الداخلي.

عظمة الإسلام

ويتطرق الفصل الرابع إلى أهم الأوامر والنواهي مثل مسألة تحريم الخمر والمخدرات ولحم الخنزير، وأن التحريم القرآني لها ليس ضرورة اجتماعية فحسب، وإنما فيها منفعة شخصية للفرد ويكون دائماً متيقظاً صافي الذهن، وتعرض إلى بعض الحوادث والكوارث التي وقعت تحت تأثير الخمر، كسقوط طائرة، وتسبب إحدى الناقلات البحرية في وقوع أسوأ كارثة بيئية حتى الآن.

أما الفصل الخامس فيتحدث عن اختبار الجلد والصيام، ويقول المؤلف: إنه عرف الصيام أول مرة عام ١٩٧٧م على

متن إحدى الطائرات، عندما لاحظ أن جاره لم يفطر حتى حان موعد الإفطار، وذكر أيضاً أنه إلى جانب بُعد الصوم المادي هناك البُعد الروحاني، وما يعطيه الصوم من الإحساس الاجتماعي بما يعانيه بعض المسلمين من شح في الغذاء أو المال، إضافة إلى أنه شهر معظم؛ ففيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وفيه شهد التاريخ موقعة بدر العظيمة، ثم تطرق إلى تحديد بداية شهر رمضان ونهايته حسب رؤية الهلال، وزكاة الفطر، وعيد الفطر، وصلاة العيد. ثم بيّن الباحث في الفصل السادس أنه يحق للمسلمين أن يأكلوا كل ما هو صحي، أي كل شيء عدا لحم الخنزير والميتة ومنتجات الدم، والحلوى، وكل ما يحتوي على شحم الخنزير أو الخمور، وأكل لحم الحيوانات التي لم تذبح وفق الشريعة الإسلامية، وركز في أن التغذية السليمة من أجل الحفاظ على سلامة الجسم تعد من المنظور الإسلامي فرضاً، كما بيّن سُنة السواك للحفاظ على نظافة الأسنان ومتانتها.

ويتحدث المؤلف في الفصل السابع عن الإيمان بالقضاء والقدر، وأنه صادف في حياته كثيراً من الأحداث المؤهلة التي يمكن للمرء أن يلصق عليها بطاقة «قسمة» والتي جعلته وغيره من المسلمين يشعر بالسكينة والطمأنينة؛ لأن الله القادر يرعى المسلم في السراء والضراء، وكثيرة الوقائع الشخصية التي تعكس سلسلة من الأسباب والنتائج التي تدل على تصرف الله في تسيير الأحداث، وهنا يكمن الإحساس الشخصي بالأمان بسبب رعاية الله.

وهذا الشعور يؤدي إلى الاستسلام للقدر، ولا يعني أن المسلم قدري ويتواكل في أموره، بل ينبغي عليه أن يكون عضواً نشيطاً، وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الأمر في صيغة بسيطة بقوله «اعقلها وتوكل»، ثم تطرق هذا الفصل إلى ظاهرة الحسد، وظاهرة لجوء بعض المسلمين إلى السحر بوصفه علاجاً، بدلاً من قراءتهم للقرآن، والأسوأ استخدام بعض سور القرآن في أعمال السحر، ووجود محلات لبيع مستلزمات أعمال السحر.

أما الفصل الثامن فكان عن الزكاة ويقول المؤلف فيه: إن الصلاة تقضي على غرور الإنسان، والصوم يهذب النفس، ويقاوم الشهوات، وإخراج الزكاة يقهر بخل الإنسان وشحه، ويكبح التفاوت الهائل بين الدخول المادية للناس، وبيّن الكاتب الخطأ في ترجمة مصطلح الزكاة في كتابات المستشرقين على أنها الصدقة أو «ضريبة الصدقة»، فالصدقة يؤديها المسلم طواعية، أما الزكاة فهي مفروضة، وتحدث عن موقف المسلم في الغرب من الزكاة، وكذلك موضوع الربا والمعاملات المحرمة، وختم الفصل عن الأضحية في عيد الأضحى.

ثم جاء الفصل التاسع حول الزواج في الإسلام، فبدأ المؤلف بعقد الزواج الذي يصاغ بدقة وعناية، وتحدث عن مشكلة المغالاة في المهور والبذخ في حفلات الزفاف، وتعرض لبعض العادات والتقاليد الخاصة بالزواج، ثم تطرق إلى موضوع التعدد في الزوجات وحكم الإسلام فيه، وراهن على أن تعدد الخليلات في العالم الغربي أكثر من تعدد الزوجات في العالم الإسلامي، وتحدث المؤلف عن الآية «الرجال قوّامون على النساء»، وعرض عدة ترجمات بلغات مختلفة لنص هذه الآية التي لا تحمل المعنى الحقيقي للآية، وبيّن الباحث مدى أهمية المحرم لحماية المرأة في الحج والسفر، وتعرض هذا الفصل لبعض حالات الاعتداء والعنف والضرب ضد المرأة وأنه لا يرجع إلى أصول في الشريعة الإسلامية، ثم تحدث عن العمل المهني للمرأة، ومحو الأمية بين الفتيات، وتولي بعض النساء لمناصب سياسية في بعض الدول الإسلامية، وحجاب المرأة، وعن تنظيم النسل والإجهاض والتبني والطلاق، وأخيراً تناول بالشرح موضوع تحرير المرأة، وقال: إن المرأة المسلمة ليست في حاجة إلى حركة تحرر، فهي بالنظر إلى موقفها من الله متساوية مع الرجل، عليها ما عليه من واجبات وفروض مثل الصلاة والصوم والزكاة والحج، ولها ما له من وعد في حياة ما بعد الموت، وكذلك في الحقوق المدنية والإنسانية. وليس للزوج الحق في التصرف في أملاك الزوجة الخاصة، وبين ما تمتاز به المرأة المسلمة من غيرها بأنها لا تفقد بعد زواجها اسم أسرتها لمصلحة اسم أسرة الزوج، ووضح أن الاختلافات بين المرأة والرجل هي ليست في التمييز ضدها، أو في ظلم يقع عليها، عندما ترث أقل من أخيها، لكن بوصفه المسؤول عن رعاية أسرته كاملة، بينما لا تتكفل هي بشيء من الإنفاق، ولا بنفقتها الشخصية عندما تتزوج. ثم يتحدث المؤلف في الفصل العاشر عن تأثير الإسلام في العلاقات الإنسانية، وما يعطيه الإسلام من دفء إنساني بالغ، يعطي إحساساً بأن المجتمع في حقيقة الأمر أسرة واحدة كبيرة، لأنهم متعاونون مترابطون، وذلك من خلال ما رآه في مجتمع غالبيته

مسلمون، وهو يعمل دبلوماسيًا في تركيا. موازيًا هذه العلاقات الدافئة بما يعانيه الغرب من برودة في العلاقات، وما يتصف بالأنانية المفرطة، والانعزالية الواضحة، واتخذ من ألمانيا مثلاً. وجاء الفصل الحادي عشر ليتحدث عن حقيقة التأثير العربي الإسلامي في جميع فروع الفنون في الغرب، بما فيها فن العمارة، والرسم، والحرف الفنية، وقواعد السلوك واللغة.

الإسلام في ألمانيا

ومع ذلك كان التأثير الديني للإسلام في أوربا ضئيلاً، وخاصة في ألمانيا - على العكس من إسبانيا وفرنسا والنمسا، إذ لم تبدأ العلاقات الثنائية الحقيقية بين ألمانيا والعالم الإسلامي إلا في عام ١٧٣١م، عندما جند فريدريك فيلهيم ملك بروسيا عشرين من الجنود الأتراك لحراسته الشخصية، ومن أجلهم أقيم في بوتسدام عام ١٧٣٢م أول مسجد في ألمانيا، ثم زاد عدد الجنود المسلمين في الجيش البروسي حتى بلغ ١٠٠٠ جندي، معظمهم من التتار الفارين، ومن الألبان والبوسنة، وبذلك زادت الحاجة إلى وجود إمام واعظ لهم، ثم توثقت العلاقات بين العالم الإسلامي وألمانيا في القرن التاسع عشر، حين أدى القائد هيلموت فون مولكه خدمات جليلة للسلطان العثماني، واعتنق د. إدوارد شتش الإسلام، وأصبح حاكماً لإقليم مصر الجنوبي، وصار كارل ديتروات بعد اعتناقه الإسلام قائداً برتبة فيلد مارشال في القوات التركية، باسم محمد علي، وتركت رحلات فيلهيم الثاني إلى استانبول ودمشق والقدس وطنجة بصماتها وآثارها الطيبة في هذه البلاد. وكما نعلم أن تركيا حاربت إلى جانب دول المحور في الحرب العالمية الأولى، وكان من الضروري بناء مسجد آخر بالغرب من برلين لأسرى الحرب المسلمين الذين بلغوا (١٥٠٠٠) أسير، وافتتح المسجد بحضور السفير التركي، ويعرف بمسجد فوند سدورف، واختلف الأمر في الحرب العالمية الثانية، إذ اتخذت مشكلة رعاية ٦٠ ألفًا من أسرى الحرب المسلمين من الاتحاد السوفييتي والبوسنة بعداً مختلفاً، من حيث الحجم والشكل. فلقد أدت تحريضات المفتي أمين الحسيني الذي اتخذ برلين مقراً له منذ عام ١٩٤١م، إلى رغبة الكثير من الأسرى المسلمين في محاربة القوى الاستعمارية والإلحاد السوفييتي.



مراد هوفمان

وقد سمحت القوات المسلحة الألمانية بإنشاء «معهد إسلامي» في برلين، وتركوا الفرصة تفلت منهم لاستخدام التتار والتركمان والبوسنيين في تحقيق أغراضهم. وفي سبيل ذلك أنشأت القوات المسلحة في عام ١٩٤٤م مدرسة عسكرية خاصة لتخريج علماء مسلمين على وجه الخصوص. وكانت الوحدات المسلمة ترتدي الزي العسكري الألماني، مع شارة كتف بألوان العلم الفلسطيني، وبشعار «أرض عربية حرة» مكتوب باللغتين العربية والألمانية، وانتهت المغامرة بكثير من المسلمين إلى نهاية مأساوية في عام ١٩٤٥م، ولكن مسلماً ألمانياً هو محمود هاتيمان استطاع أن يعيد المفتي الحسيني إلى القدس.

لقد احتلت الدراسات الإسلامية الألمانية مكانة مرموقة بين دراسات الاستشراق منذ القرن العشرين، وذلك لاتباع الألمان للمنهج الوضعي الذي يمثل روح العلم وجوهره، وهو ما يشكل نقيضاً تاماً لسلوك لورنس العرب الذي كان عميلاً لقوات الاحتلال.

المستقبل للإسلام

وكان الألمان قد دخلوا في حوارات علمية مع القرآن. وتعود أولى ترجمات القرآن إلى الألمانية إلى عام ١٦١٦م، والتي ترجمها سالومون شفايجر، غير أن النص كان منقولاً عن ترجمة إيطالية منقولة بدورها عن ترجمة لاتينية سابقة لها، وفي عام ١٧٧٢م قام دافيد فريدريك بترجمة القرآن من اللغة العربية، وهذه الترجمة هي التي قربت الشاعر جوته من الإسلام بعد أن دفعه هيردر إلى قراءته، ومنذ ذلك التاريخ ظهرت نحو ٢٠ ترجمة ألمانية للقرآن، منها ترجمتان فقط لكتاب مسلمين.

ويقول الباحث: يعتنق الإسلام اليوم أعداد متزايدة من الأوربيين، وذكر نماذج مختلفة، وقال: في ألمانيا اعتنق الإسلام ٥٠ ألفاً من السكان من أصول ألمانية، ويقول أيضاً: أتوقع أن تؤتي حركة الإحياء الديني التي بدأت في القرن التاسع عشر ثمارها في القرن الحادي والعشرين من خلال تعاون علماء أوربيين وأمريكيين مع علماء عرب مستنيرين. لا تنقصهم الجرأة والشجاعة، وقد هاجر بالفعل الكثير منهم من أوطانهم، واستقروا في الغرب، ليجدوا هناك فقط العوامل والشروط الضرورية لنجاح العمل، دون تعرضهم لرقابة أو خطر يهدد حياتهم. ويقول المؤلف لو

أردنا تقديم الإسلام بوصفه بديلاً حيوياً وحديثًا، فعلينا أن نجري عملية إصلاح هائلة، تتلخص فيما يأتي:

- مراجعة الأحاديث النبوية، وتنقيتها مما ألصق بها، وهذا ما فعله عباقرة المحدثين في وقتهم مثل البخاري ومسلم ومالك.

- فصل الشريعة وهي جوهر حق الله غير القابل للتغيير عن أعمال الفقهاء.

- توضيح العلاقة وتحديدها بين القرآن والسنة.

- فصل العناصر الثقافية والحضارية للتقاليد والعادات الإسلامية، عن جوهر الإسلام.

واقع المسلمين في ألمانيا

إن هناك ثماني مجلات إسلامية أو تسعًا تصدر في ألمانيا، من بينها «المجلة المسلمة» التي صدرت عام ١٩٢٤م، وكذلك المجلة النسائية الإسلامية «هدى» التي تصدر في مدينة بريمن، و«الجريدة الإسلامية» التي تصدر في مدينة فايمار، وهناك إصدارات متفرقة، يتخطى توزيعها منطقة طباعتها مثل: «الإسلام» و«الإسلام الآن»، وكذلك توجد دور نشر مثل «المكتبة الإسلامية» بكولونيا. وتحدث المؤلف أيضًا عن اللقاءات التي تعقد سنوياً منذ عام ١٩٧٦م، ثم صارت تعقد ثلاث مرات في العام منذ عام ١٩٨١م، والتي تحاول دائمًا إيجاد حلول للمشكلات الملحة التي تواجه المسلمين في ألمانيا، مثل الدروس الدينية بالمدارس، ومراجعة الكتب المدرسية وإعادة النظر فيها، وإقامة مظلة تضم مسلمي ألمانيا كافة. ويواجه المسلم في ألمانيا خطر الدخول في صراع من العالم المحيط به، وعدم السماح للعامل أداء الصلاة، وعدم توافر الغذاء المباح، وما يعترض الفتيات من سخرية بسبب الحجاب ورفضهن دروس السباحة المختلطة.، وما يعانيه الأطفال المسلمون من التشويه والافتراءات التي يتعرض لها الإسلام في أثناء دروس التاريخ، وما يواجه العمال خلال شهر رمضان، ومسألة المساجد وبنائها، ولا تنتهي مشكلات المسلم في ألمانيا بوفاته، فإجراءات الدفن وفق الشريعة الإسلامية تلقى اعتراضات هائلة وتقاوم بشدة، وكذلك مسألة الميراث، حيث يتمسك المسلمون بالميراث المنصوص في القرآن، ويعتقد المؤلف أن ما يخفف من وطأة هذه المشكلات وإيجاد طريق لحلها، هو وجود جهة واحدة تمثل مسلمي ألمانيا، تكون شريك حوار مع المسؤولين الألمان والبرلمان، حتى تتاح لها فرصة العمل على نشر الإسلام في الحياة العامة وبشكل علني، وتتمتع بحماية الحكومة.

ردود أفعال

وأخيراً جاء الفصل الثاني عشر ليتضمن أن المتغيرات التي تطرأ على المرء الحديث الإسلام لا تقتصر على داخله فحسب، بل تنعكس أيضاً على علاقته بمجتمعه وموقفه منه، مما يؤدي أحياناً وضمن حالات فردية إلى الهجرة. ثم يذكر المؤلف ردود الفعل إزاء اعتناقه للإسلام والتي لم تكن بريئة ولا مسالمة، بل هي فزع ورعب من أعماق الشعب الألماني من كل ما هو إسلامي، ويتغذى هذا الفزع على ذكريات تتوارثها الأجيال من المنازعات المريرة بين النصارى والمسلمين في العصور الوسطى، ولم تغب أبداً عن ذاكرة الألمان، وبشكل غير واع، حقيقة وجود المسلمين عدة قرون في إسبانيا وصقلية والمجر، وما أدته الحروب الصليبية من دور أساسي في وجود العداء تجاه الإسلام والمسلمين، وما أضافته الصحوة إلى الإسلام في العقود القليلة الماضية من أسباب جديدة لفزع الغرب من الإسلام، وتيقن الغرب أيضًا أن الذين يقطنون بلاد الشام أصحاب حضارة كبرى مزدهرة تتفوق على الحضارة المسيحية الأوربية في مختلف الأوجه والمجالات.

ولقد انشغل العلماء المسلمون القدماء بوضع المسلمين المقيمين في بلد غير إسلامي، ومنهم الماوردي الذي أيد أن هؤلاء المسلمين يتبعون قوانين البلد المضيف، والمذهب الحنفي يبيح للمسلم المقيم في إقليم مسيحي أن يتلقى الفائدة المالية، لعدم تطبيق تعاليم القرآن الخاصة بالنظام الاقتصادي، فكيف يوجه الاتهام للمسلمين الألمان بأنهم في مجملهم أعداء للدستور والقوانين؟!.

وختاماً يتبين من خلال عرض هذا الكتاب، أنه يحمل بين دفتيه حقيقة الإيمان ونور الإسلام وسعادة الإنسانية ورقيها وكرامة الإنسان وعزته، حيث يتناول موضوع الإيمان كما عاشها أوربي أنار الله بصيرته، فدخل الإسلام عن صدق، فعرف الحق ودافع عنه، بسلاح فكري يفند آراء المغرضين، حتى أصبح هذا الكتاب يصلح أن يكون دليلاً ومرشداً عملياً للمسلم يعينه على إدراك القوة الدافعة التي يستمدها من دينه في حياته اليومية، وتساعده على الدفاع عن عقيدته. أما حقيقة أن الإسلام لا يمارس بحذافيره من جانب أتباعه، فالأمر طبيعي وخاصة إذا عرفنا المتطلبات الأخلاقية والفكرية المثالية التي يطمح الإسلام إليها.

فهارس علماء المغرب

منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة

مراجعة: محمد القاضي
طنجة - المغرب

صدر أخيراً للدكتور عبدالله المرابط الترغي الأستاذ والباحث بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة عبدالمالك السعدي بتطوان كتاب: «فهارس علماء المغرب، منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة: «منهجيتها - تطورها - قيمتها العلمية».



فهارس علماء المغرب
منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة
د. عبدالله المرابط الترغي
تطوان: جامعة عبدالمالك السعدي، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، سلسلة الأطروحات (٢)، ط١، ١٩٩٩م، ٧٠٤ص.

والكتاب يدخل ضمن مشروع تخصص المؤلف حول فهارس المغرب والأندلس وأعلامهما. وترجع علاقته بهؤلاء الأعلام إلى أيام الدراسة العليا بجامعة محمد الخامس؛ وذلك منذ موسم عام ١٩٧٨م، حيث وجد نفسه، وهو يقوم بتحضير شهادة استكمال الدروس بشعبة الأدبين المغربي والأندلسي، أمام العشرات من الرجال ومصنفاتهم ذات الأسفار المتعددة والمتنوعة الاختصاص، منها ما اختفى وضاع ولم يعد له ذكر إلا في بعض المصادر والمراجع، ومنها ما يرقد على رفوف المكتبات العامة والخاصة، فقرر أن يقتحم هذا المجال بجد وعزيمة قوية، فبدأ في جمع كل ما يتعلق به من المواد المطبوعة والمخطوطة. آنذاك تقرر العزم أن تكون مواد الدراسة رسالة جامعية حصل بها على دبلوم الدراسات العليا تحت إشراف الدكتور عبدالسلام الهراس.

إن الفهرسة المنجزة هي نوع من التصنيف شاعت كتابته عند القدماء والمحدثين مشرقاً ومغرباً، وأهميته تكمن في نقل النشاط التعليمي المباشر، فتذكر من أخبار الرجال وأحوالهم ونشاطهم العلمي والتأليفي، وتثير الحقائق التاريخية بما لا نعثر عليه في غيرها.

وقد فطن القدماء إلى أهمية الفهرس التاريخية والتوثيقية، فاتخذوا منها المصدر المعتمد في اقتناء مواد كتبهم التاريخية.

ولاحظ المؤلف في مقدمة كتابه أن الفهرسة المغربية لم تحظ بالاهتمام عند الدارسين المحدثين، إما لأنهم لم يلتفوا إليها، وإما لأن ما تمتلئ به من أسانيد، جعلهم يرونها من اختصاص دارسي علم الحديث ورواته، إضافة إلى ذلك ظلت الفهرسة المغربية بين أكثر المواد التراثية المخطوطة لا تجد العناية لتحقيقها ونشرها باستثناء مجموعة قليلة حظيت أخيراً بالنشر.

لقد قسم الدكتور عبدالله المرابط الترغي موضوع دراسته إلى: تمهيد وأربعة أبواب، وملحق. فالتمهيد تناول فيه معالم البيئة التاريخية والعلمية في المغرب، وهي البيئة التي نشطت فيها كتابة الفهرسة، ويمتد زمنها قرابة ثمانية قرون تبتدئ مع أوائل القرن الخامس لتستمر إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، وهي حقبة طويلة تميزت بتعاقب مجموعة من الدول على حكم المغرب، من فترة قبيل المرابطين إلى دولة الأشراف العلويين.

وتحدث بإيجاز عن الحالة العلمية التي ميزت كل دولة من هذه الدول.

الباب الأول: خصصه لدراسة الفهرسة تقنياً، تناول فيه أربع نقط وهي :

أ ـ حصر المصطلحات التي تطلق على الفهرسة، وتحديد مدلولها لغوياً واصطلاحياً فهناك البرنامج، والفهرسة، والمعجم، والمشيخة، «بين المعجم والمشيخة»، وبين «المعجم والفهرس والبرنامج»، ومعجم الأصحاب والثبت وأسماء أخرى.

ب ـ تجريد العناصر الأساسية التي يقوم عليها بناء الفهرسة وهي المرويات والشيوخ، والأسانيد وطريقة الأخذ، وهي ثلاثة أنواع: طريقة الأخذ بالدراية وطريقة الأخذ بالرواية، وطريقة الأخذ عند الصوفية، ثم أثر طريقة الأخذ في ترتيب مادة الفهرسة.

ج ـ تحديد الدوافع التي يكتب تحت تأثيرها المؤلف فهرسته، وتنحصر في:

ـ دوافع تعليمية «تلبية رغبة الطالبين في الرواية»، و«رغبة المؤلف في تعليم ولده أو توجيهه للرواية».

ـ دوافع علمية، وهي دوافع تعبر عنها الرغبة في خدمة العلم وحفظه، وتشترك مع بقية الدوافع السابقة، في تيسير عملية الرواية لتحقيق رغبة المتطلعين إلى الإسناد، غير أنها تتجاوز ذلك لتكشف عن رغبة المؤلف الشخصية في تقديم عمل علمي، يقدم به إضافة في العلم، ويؤدي في أثنائه واجب الشكر لشيوخه، وتتنوع هذه الرغبات العلمية من فهرسة إلى أخرى.

د ـ رصد أصناف الفهرسة في المغرب، وتعيينها والتعريف بميزة كل صنف، وهنا نقف على الفهرسة الجامعة التي تستقطب جل مرويات المؤلف أو مشيخته كاملة، أو تجمع بينهما مثل: فهرسة القاضي عياض، وفهرسة أبي بكر بن خير، وفهرسة «صلة الخلف بموصول السلف لمحمد بن سليمان الروداني (ت ١٠٩٤هـ)، وفهرسة أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالرحمن بن جابر الوادي آشي (ت ٧٤٦هـ)، وفهرسة أبي زكرياء السراج النفري.

الفهرسة الانتقائية، وهي التي موادها على الانتقاء، وهي نفسها قد تكون برنامج روايات أو أشياخ أو جمعاً بينهما مثل فهرسة أبي القاسم التجيبي السبتي، وهي تقوم على ذكر مرويات مؤلفها، غير أنه يقتصر فيها على ما أخذه قراءة أو سماعاً أو مناولة معها أو مع أحدها.

وفهرسة المنح البادية في الأسانيد العالية لمحمد الصغير الفاسي (ت١١٣٤هـ)، وفهرسة أبي العباس بن الحاج السلمي الفاسي (ت١١٠٩هـ)، وقد عمد المؤلفان فيهما إلى التعريف بالشيوخ وذكر المرويات، غير أنهما انتقيا ما ذكراه منهما.

الفهرسة الجزئية وهي نفسها تكون برنامج روايات وأشياخ أو هما معاً غير أن المؤلف يقتصر فيها على ذكر أجزاء صغيرة مما تتركب منه الفهرسة الجامعة أو الانتقائية.

إضافة إلى فهرسة السند مثل: «إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح» لابن رشيد السبتي. وفهرسة الطبقات، وفهرسة الإجازة، وفهرسة الإجازة المضمنة، وفهرسة الإجازات، وفهرسة الاستدعاء وفهرسة الفوائد، وفهرسة الرحلة، والفهرسة الصوفية، وفهرسة الدراية، وفهرسة المسلسلات، والفهرسة النظمية.

الباب الثاني: تناول فيه المؤلف بداية الفهرسة ومراحل تطورها في المغرب، وهو مقسم ثلاثة فصول:

خصص الفصل الأول للحديث عن بداية الفهرسة في المغرب والأندلس بحيث تفيد المصادر أن أقدم مصنف يذكر تحت اسم الفهرسة عند الاندلسيين هو فهرسة أبي علي القالي: (ت ٣٥٦هـ) وهو مشرقي نزل الأندلس سنة ٣٣٠هـ. وقد انفرد ابن خير بذكرها وإسنادها ضمن مروياته من الفهارس. أما في المغرب فإن بداية ظهور الفهرسة يلفها الغموض، فلا نكاد نتبين فهرسة لعالم مغربي تشترك في قدمها مع الفهرسة الأندلسية. وأقدم فهرسة مغربية حسب المؤلف هي فهرسة أبي عمران الفاسي (ت ٤٢٩هـ) وقد ورد ذكرها ضمن مرويات عياض في الفهارس.

أما الفصل الثاني فيتحدث فيه عن الطور الأول للفهرسة المغربية من بداية القرن الخامس إلى نهاية القرن الثامن للهجرة. ويصادف هذا الطور في المغرب بيئة يمتزج فيها المغرب والأندلس ليكونا معاً وحدة سياسية واجتماعية وثقافية، وتتهيأ مع هذه الوحدة ظروف النشاط التعليمي والتأليفي في حواضر المغرب يسهر على إنجازه والقيام به علماء العدوتين معاً، وتتهيأ أيضاً ظروف الرحلة وإغراءاتها إلى حواضر الأندلس للقاء الشيوخ والجلوس إلى حلقاتهم العلمية، فيتسع بذلك نشاط العلم والتعليم، ويكثر الراغبون في الأخذ والرواية على شكل لم يشهده المغرب من قبل.

وفي الفصل الثالث نقرأ عن الطور الثاني للفهرسة المغربية من مطالع القرن التاسع إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة. فقد واجه المغرب مع بداية القرن التاسع ظروفاً صعبة غيرت معها معالم الموضوع التي كان يبدو عليها من قبل، فتغيب صورته التاريخية ويكتنفها الغموض حقبة تقارب نصف قرن من الزمن قبل أن تتوضح نسبياً مع قيام دولة بني وطاس. ومع هذه الظروف خضعت الحالة العلمية في المغرب لتطورات امتدت نتائجها خلال القرون اللاحقة، فيغيب الأثر الأندلسي بغياب رجاله، فتتجه الرحلة للمشرق، ويتحول المد العلمي في المغرب ليشمل البوادي بجانب الحواضر، فتبرز حواضر جنوب المغرب وبواديه لتعلن عن حضورها العلمي. ومع هذه التحولات التي عرفتها الساحة العلمية في المغرب فإن معالم الفهرسة المغربية قد خضعت لعوالم مختلفة، جعلت وضعيتها تهتز، فتتغير نتيجة لذلك، وتبرز فيها

مميزات خاصة، غايرت من قريب أو بعيد صورة الفهرسة في طورها الأول.

الباب الثالث: عرض فيه طرائق التبويب التي اتبعها المغاربة في فهارسهم، ويتكون من أربعة فصول، وكل فصل خصصه لدراسة طريقة من طرائق التبويب: الأولى تقوم على ترتيب مواد الفهرسة على حسب المرويات وهي التي عرفت في عرف الأندلسيين ببرنامج الروايات؛ لأنها تركز في مادتها على المرويات، وتقوم بسرد مواد العلوم والمصنفات مثل فهرسة ابن خير الإشبيلي.

والثانية تركز في ترتيب مواد الفهرسة على حسب الشيوخ، وهي على عكس الطريقة الأولى، وتقوم على ذكر الشيوخ والتعريف بهم، ولا تتناول من المرويات المسندة إلا ما قلّ. وأهمية هذه الطريقة أنها تجعل من الفهرسة كتاب رجال، تبتعد به عن جو الأسانيد والمرويات، وتجعل منه مصنفا أقرب إلى كتب التواريخ منه إلى مصنفات الحديث والرواية، وتجعل منه مصنفًا أقرب إلى كتب التواريخ منه إلى مصنفات الحديث والرواية. وقد عرفت فهارس هذه الطريقة عند القدماء من الأندلسيين والمغاربة، بجانب فهارس الطريقة الأولى، وإن كان الغالب عندهم آنذاك كتابة برامج الروايات، لأن الغاية في الأساس عند كتابة الفهرسية هي ربط الأسانيد وإلحاق المرويات بأصحابها.

أما الثالثة: فتتعلق بالجمع بين المرويات والشيوخ، وهي طريقة يتبع فيها صاحبها الجمع بين الطريقتين السالفتين، فيعرف بالشيوخ، وفي الوقت نفسه يعرض مروياته وأسانيده، انما مع فصل بينهما بحيث يتركب البرنامج من جزأين يضمهما مؤلف واحد وتقديم واحد. وميزة هذه الطريقة أنها تمثل برنامجاً متكاملاً. وإذا كان الدافع الأول لكتابة البرنامج هو ذكر المرويات وعرض أسانيدها ليتسنى للراغبين فيها وصل أسانيدهم بها فإن ذكر الشيوخ والتعريف بهم يبقى ضرورياً ليتعرفهم الراغبون في الرواية؛ لأنهم يمثلون الحلقات التي تسند إليها رواية شيخهم، وبرنامج هذه الطريقة هو الذي أطلق عليه في عرف المغاربة والأندلسيين اسم البرنامج دون تعيين، وقد أشار المؤلف في الفصل الرابع إلى طرائق أخرى خارج الطرائق المذكورة كفهرسة الفوائد، وفهرس الإجازات، وفهرس الإجازة المضمنة، والكناشة، وقد بلغت النماذج الفهرسية المحللة في هذا الباب ست عشرة فهرسة، قدم كلاً منها بالتعريف بمؤلفها.

الباب الرابع: خصصه المؤلف لتتبع قيمة الفهرسة، واكتفى فيه بعرض ثلاث واجهات: وهي الواجهة التعليمية، وقيمتها في الفهرسة، وتنصرف إلى تحديد خصوصية الفهرسة كصنف من أصناف التأليف ينفرد بمنهجه، ومادة تأليفه. فللمنهج كيان قائم بذاته مع تأثره بعلم الحديث ومصنفاته، ومع تشابكه مع بعض أصناف التأليف الآخر من كتب التاريخ والطبقات والرحلات والمناقب وغيرها. فهو منهاج محدد المعالم، مطرد في الأغلب، يسري نسقه على كل الفهارس، ويجري عليه كل الذين كتبوا فهارسهم من المغاربة والأندلسيين على سواء.

ثم القيمة التوثيقية في الفهرسة، والتي تعدّ ككل وثيقة مصدرية يجري عليها ما يجرى على كل الوثائق وسندات الأصول، لأنها تحتفظ لنا بمجموعة قيمة من المعلومات المختلفة عن بيئة مؤلفها وعصره وثقافته وشيوخه، وغير ذلك مما يجري من أحداث ومواقف ومناقشات وآراء. وتنفرد في ذلك بما يسجله مؤلفها فيها من مشاهدات شخصية وانطباعات ذاتية، وما يغمره من إحساس تجاه شيخ من شيوخه وفي لحظة من لحظات حياته.

وقد استغلت الفهرسة في ذلك عند كتّاب التاريخ والطبقات، وعدّت المصدر الأول الذي لا يعدّ له مصدر آخر، لا سيما إذا كان الأمر يتعلق بتصحيح حدث أو تحقيق نسب، أو تحديد سنة.

وتتوزع أشكال التوثيق في الفهرسة كالآتي : السند، تحديد الطرائق التي ينتقل فيها المصنف، توثيق أصول الرواية، تحديد المجال الإسنادي، التوثيق التاريخي في الفهرسة . وأخيراً القيمة الأدبية في الفهرسة، وتنحصر في أساليب الكتابة في الفهرسة كالمقدمة، وأساليب الكتابة في فهرس المرويات، وأساليب كتابة الترجمة.

ثم أصناف النص الأدبي في الفهرسة، كالنص الشعري، والنص النثري، وهو أكثر النصوص الأدبية ذكراً في الفهرسة ويشمل مختلف أصناف الكتابة النثرية. ويجلبه المؤلف لهدف يكون في الأغلب نماذج من روايات شيوخه، ويتنوع هذا النص إلى :نص الحديث الشريف، ونص الأثر وما يلحقه من خبر ومراءٍ، ونص الرسالة، ونص الفتوى.

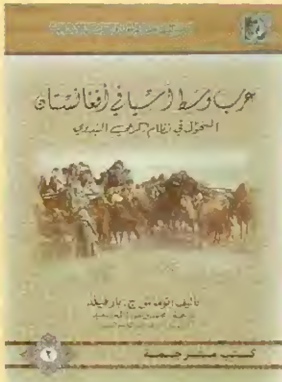
الملحق: أورد فيه الدكتور عبدالله المرابط الترغي أعلام الفهرسة في المغرب، فعرف بالرجال المغاربة الذين تنسب إليهم كتابة الفهرسة في حدود علمه، وأورد ذكر مظان ترجمتهم، ويبلغ عدد الرجال المعرف بهم أكثر من مئة وخمسين رجلاً غير الذين وردت تراجمهم في صلب الدراسة عند تحليل فهارسهم، ليصل العدد إلى مئة واثنين وسبعين علماً.

إنه كتاب مفيد للراغب في الاستزادة، يجمع بين دفتيه معلومات غزيرة عن الفهرسة وأعلامها وقد يفتح الباب أمام عدد من الباحثين والجامعيين المغاربة للاهتمام بهذا الجانب المعرفي الذي حظي باهتمام أجدادنا القدماء.

رسالة جادة جيدة

مراجعة: **نعمان عبدالرزاق السامرائي**
الرياض - السعودية

خلال العمل الجامعي يصادف الأستاذ رسائل في غاية الجدية والجودة، ورسائل أخرى مثل الماء: لا لون ولا طعم ولا رائحة، الموضوع باهت اللون، والمعالجة سطحية، لا تزيد على جمع «كم» من المعلومات وحشدها، دون تنسيق جيد ولا مناقشة متعمقة، فيتحسّر الإنسان على الجهد الضائع. وأكرر دومًا لطلبتي أن الرسالة الجيدة أو غير الجيدة تستغرق الوقت ذاته، ولذا فحين يكون الموضوع حيًا، والمناقشة عميقة، فإن المطلع يُسر بذلك أكبر سرور، وحين يكون الموضوع ميتًا، والمعالجة سطحية، يتمنى الإنسان ألاّ تكون هذه الرسالة، ولا ذلك الزمن الضائع...



عرب وسط آسيا في أفغانستان
التحول في نظام الرعي البدوي
تأليف:
توماس ج. بارفيلد
ترجمة: محمد بن عودة المحيميد
الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

منذ أيام وقع في يدي رسالة للدكتوراه من جامعة تكساس، عنوانها «عرب وسط آسيا في أفغانستان» صاحبها توماس. ج. بارفيلد، قام بترجمتها إلى اللغة العربية الأستاذ محمد بن عودة المحيميد، وقام مركز الملك فيصل للبحوث بنشرها، والطبعة الأولى تعود إلى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

الكتاب في أساسه أطروحة للدكتوراه قدمت عام ١٩٧٨م، ومعنى ذلك أن الترجمة تأخرت أكثر من عقدين.

ولأن الدارس قام برحلة، بل رحلات إلى أفغانستان عام ١٩٧٣م، وأخرى عام ١٩٧٤م، وفي ربيع ١٩٧٥م سكن مخيمًا خاصًا بالرعاة، ليتعرف عن قرب هؤلاء الناس، وكيف يعيشون، وماذا يعانون؟

مع العرب

وبفضل مشورة صديق أفغاني ومعونته للدارس، جرى اختيار منطقة «إمام صادق» من محافظة «قندوز»، كي تكون مكانًا للدراسة.. ويذكر الدارس أن العرب جلبوا انتباهه؛ لأنهم يسكنون خيامًا من اللباد وليس بيوت شعر، كما لهم هجرة طويلة، وهم يتكلمون الفارسية التي يعرفها قليلاً، ولذا فهي أيسر من لغة البشتو مثلاً.

ويذكر سببًا آخر وهو أن العرب أيسر صحبة من غيرهم من الأفغان. ومن الأمور التي يسجلها: أنه

قدم إلى قائد عربي، وصل إلى منطقة «إمام صاحب» يركب دراجة نارية، لذا سكن عام ١٩٧٥م بمخيم خاص بالرعاة، يملكه ذلك الرجل العربي.

وهو بصفته دارساً وباحثاً يريد أن يعرف كل شيء عمن يدرسهم، لكنه وهو الغريب الأعزب، لن يستطيع الاختلاط مع العوائل، لأنه لا عائلة له، لكن هذا لم يمنعه من الاختلاط بالرجال العرب، والسمر معهم، والعرب يحبون ذلك، ووجد أن لغته الفارسية أخذت بالتحسن وبسرعة.

راح الدارس يجمع البيانات خلال الربيع والصيف حول «نظام الرعي التجاري» فإذا صعد الرعاة العرب صيفاً إلى جبال «بدخشان» تحرك معهم، ركب حصانه وصاحبهم، لكن حصانه مثله غريب كما يبدو، أكل حشائش سامة فمات، وكلفه ذلك أن يقوم برحلة مشياً على الأقدام أسبوعاً كاملاً، كي يصل إلى أقرب طريق.

في فصل الشتاء وفي بلاد باردة كأفغانستان، يتحول الرعاة إلى السهول، لذا تحول «الدارس» من دراسة الأغنام إلى الناس في مخيم الشتاء في وادي إمام صاحب.. وهنا يذكر أنه مكث في بيوت الضيافة العربية، وحصل على معلومات ساعدته على فهم تلاحم البلدة مع الريف.

مع بداية الربيع يحاول الدارس التحول إلى دراسة مجموعات الأسر التقليدية، فتبرز له مشكلة أن العرب يرفضون استضافة رجل أعزب، ليس له زوجة ولا عائلة.. ويبحث عن حل ليجد امرأة إنجليزية «دونا ويلكر» ترضى أن ترافقه، وهكذا يتغلب على المشكلة.

المطلوب من «دونا» جمع بيانات حول النساء العربيات، ويقوم هو برحلات تستغرق «٣» أسابيع إلى الجبال، ثم يعلق قائلاً: كان هذا أكثر أجزاء البحث متعة.. ومن حقي أن أسأل هنا: هل لدينا طلبة يقومون بمثل هذه الرحلة وهذا البحث؟؟

كما يعلق الدارس على دوره ودور صاحبته دونا فيقول: قامت دونا بمساعدتي إذ رافقتني بالسفر إلى «بدخشان»، وقد أدت دور المرأة البدوية، وقمت أنا بدور الرجل المثقف، الذي يشرب الشاي - وهو ما يقدّم في المخيم مع الخبر - ورحت أتفحص بالأحاديث.

وخلال هذا الاختلاط، والرحلات المشتركة، والعيش في مخيم الضيافة تمكن الدارس أن يطلع على أحوال العرب، وكيف يتعاملون مع مشكلات لا حصر لها.

إن هذا الاختلاط مكّن الدارس - كما يقول - من التعرف جيداً إلى نظام الرعي، وهو يشكر للعرب ذلك، كما يشكر الأفغان.

ومما يذكره للعرب أنهم كانوا يساعدونه على الحصول على السلع التي يحتاج إليها، كما يعلمونه الأسعار، كي لا يغبن ويشتري بأكثر من الثمن.

يحدد الدارس الهدف من رسالته بأنه: التعريف بأحوال البدو، الذين يمتهنون الرعي. وتسليط الضوء على حياتهم. ومن الأهداف أيضاً الكشف عن التداخل بين المجموعات العرقية المختلفة، والتي تكثر في أفغانستان بين الحضر، كما تكثر بين البدو كذلك.

ومما عرفه من أحوال العرب - في أفغانستان - أنهم يتحالفون عادة مع الطاجيك، ويجر هذا التحالف إلى الزواج من الطاجيكيات، لكن العربي لا يعطي ابنته للطاجيك مثلاً.

نسيت أن أذكر أن الدارس حصل على منحة مالية من «فولبرايت - هيز» الخاصة بأفغانستان.

إن دارساً يأتي من أمريكا إلى أفغانستان، ويجلس سنوات، يعيش مع البدو ينتقل ما بين الجبال صيفاً، والأودية شتاءً، يدرس كل ظاهرة يراها، جدير بالاحترام، ورسالته جديرة بالتقدير والترجمة، وحبذا لو تقدمت الترجمة عقداً أو عقدين.

كما أتمنى أن يطلع أبناؤنا على هذه الدراسة الجادة، لينسجوا على منوالها. ويقول الدارس: إن مجموعات من العرب، مازالت تحافظ على لغتها،

تعيش في طاجكستان والجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى، فهل من طالب جاد، وصاحب همة يقوم بمثل هذه الدراسة، أو يذهب إلى الغرب ليدرس لنا المهاجرين المسلمين في فرنسا أو بريطانيا أو غيرهما، بهذه الطريقة الجادة، والجلوس والاختلاط، ومعرفة الظواهر ما كان منها إيجابياً أو سلبياً؟

في الهند توجد أقلية مسلمة يزيد عددها على ١٦٠ مليوناً، هل فكر الدارس من جامعاتنا أن يذهب إلى هناك ويدرس عن قرب ما يعانونه؟

في الصين ملايين من المسلمين، هل فكرنا يوماً أن يذهب دارس إلى هناك ليتعرف إليهم عن قرب، ويقدم لنا دراسة قريبة من مستوى دراسة «توماس» عن عرب وسط آسيا..

مرة أخيرة: إن الرسالة الجيدة أو الرسالة غير الجيدة تستغرق الوقت نفسه، فلماذا لا تكون رسائلنا جيدة وجادة؟

محتويات الكتاب

جاء الكتاب في أكثر من ٣٠٠ صفحة، يحوي مقدمة وستة فصول مع خاتمة ومراجع وفهارس جيدة.كما كتب المترجم مقدمة مع تنبيه وشكر.

في الفصل الأول تحدث عن عرب وسط آسيا، كاشفاً عن الخلفية التاريخية لوجودهم وكذلك البيئة التي اختاروها، وهنا قام بمسح تاريخي من عصر تيمورلنك إلى القرن الثامن عشر والتاسع عشر ثم هجرة بعضهم إلى شمال أفغانستان في منتصف القرن التاسع عشر، خصوصاً حين استولت روسيا على وسط آسيا، ومنها منطقة بخارى، وسمرقند، وذلك بين عامي ١٨٦٥ و ١٨٦٨م، وهنا رفض العرب الخضوع للروس، فتحولوا إلى شمال أفغانستان، رافضين العيش تحت سلطة (الملحدين الشيوعيين)، وفي أول جدول يذكر فيه سكان تركستان الأفغانية عام ١٨٨٤م، ذاكراً عدد العوائل، وليس الأفراد، يذكر أن عدد العرب يبلغ (١٦٠٧٠) عائلة، وهو عدد كبير نسبياً.

يتحدث في الفصل الثاني عن النظام الرعوي البدوي في منطقة «قطغى» وهي منطقة للرعي يشارك فيها العرب، والبشتو، والطاجيك، والأوزبك، وتركمان، والهزارة، بمعنى كل القوميات التي لها وجود في (قطغى)، وبنسب متفاوتة.

ويذكر أن العرب يعنون بتربية الأغنام «ذات الذيول المكتنزة» وهي محور إنتاجهم، وتعرف هذه السلالة من الغنم «بالتركي» ويصل وزن الواحدة (٩٥) كيلوغراماً، وهي تزود السوق باللحوم والشحوم، لكن أصوافها ليست جيدة، كما لديهم بعض الأنواع الأخرى مثل «القراقولي» وهي صغيرة لكن أصوافها عالية الجودة، وخصوصاً لصناعة السجاد، أما جلود الحملان الصغيرة فسلعة جيدة للتصدير. ويذكر بعد هذا أسعار كل نوع، ثم تركيبة القطيع وحجمه والحالة الاقتصادية للراعي العربي.

إن دارساً يأتي من أمريكا إلى أفغانستان، ويجلس سنوات، يعيش مع البدو ينتقل بين الجبال صيفاً، والأودية شتاءً، يدرس كل ظاهرة يراها، جدير بالاحترام، ورسالته جديرة بالتقدير والترجمة

ولأن الدارس عاش مع العرب وتنقل معهم، يذكر أشياء تتعذر معرفتها لولا ذلك، مثل: «إن العرب يحتفظون بعنزتين كبيرتين أو ثلاث، وهذه العنزات أو ما يسمونه «شاه بُز» تقوم بقيادة القطيع في أثناء الهجرة، فتسهل قيادة القطيع إذا كان فيه عنزة» ص٨١.

ثم يذكر أن هذا التنقل بحاجة إلى وسائل للنقل، فيذكر الإبل، ثم يذكر السيارات التي قامت أخيراً بهذه المهمة. ويقدر للعائلة العربية الواحدة بين ٢ و٣ من الإبل، وتشتهر «قطغى» بخيولها، ويتنافس أغنياء العرب على اقتناء الخيول الغالية الثمن، والتي تستخدم في اللعب - ربما المسابقة - ومنها ما تستعمل لحمل الأمتعة كذلك. ويتحدث بعد ذلك عن

حيوانات الحماية وهي كلاب ضارية، تستخدم لمهاجمة كل من يقترب من المخيم أو القطيع، ولاحظ أن هذه الكلاب تكون مسالمة خلال الهجرة، فإذا نصب المخيم عادت إلى شراستها، وللعرب ومثلهم الكثير من الأفغان مراع صيفية في الجبال أو قريباً منها، أما الشتاء فيقضونه في السهول الأقل برداً.

ثم يتحدث عن «الملح» بصفته غذاء للإنسان والحيوان، ويذكر أنه خلال الربيع يقوم العرب وغيرهم بنقل الملح إلى المخيم، لكن الحاجة إلى الملح صيفاً أكبر، ويكون بعيداً عادة، ونقله إلى الجبال أمر شاق مكلف..

وفي الفصل الثالث: يتحدث عن التنظيم الاجتماعي لعرب وسط آسيا.

يرى العرب في «قطفى» أنفسهم جميعاً «قوم عرب» أي قبيلة عربية، لكنهم في منطقة إمام صاحب موضع الدراسة، ينقسمون إلى (١٣) عشيرة، ولكل عشيرة قائدها، لكن ما إن استقر العرب أو بعضهم بعد أن حصل العرب على أرض لهم في إمام صاحب، حتى قل تماسكهم.

(الباي) وحل المنازعات

يطلق على العربي الثري ممن يمتهن الرعي لقب «باي» ويدل على الثروة الحيوانية لصاحبه، وهو يقوم بحل المنازعات شعبياً، وكانت الدولة تعترف بالباي على أنه مصدر لحل المنازعات، لكن مع نمو قوة الدولة، ذهب الاعتراف، ويلاحظ الكاتب أن معظم الناس يتجهون لحل قضاياهم بعيداً عن الدولة وسلطاتها، ثم يذكر نماذج لحكم الباي. وهو بالضبط ما يمارسه شيوخ القبائل العرب، داخل العشيرة، دون حاجة إلى التوجه إلى دوائر الحكومة.

قرى عشائرية

يذكر الكاتب أن العرب حين غادروا «بخارى» في أواخر القرن (١٧) أصبحوا بدواً خلصاً ولمدة نصف قرن، فلما منحوا في بداية القرن العشرين بعض الأراضي لتكون مقرات ثابتة ودائمة، أطلق عليها «فشلاق».

وهكذا أعدّت القرى العربية في «إمام صادق» قرى عشائرية، ولاحظ الكاتب أن منح الأراضي عمل على إبقاء العشيرة على وحدة مكانية، لكن أهميتها السياسية والاقتصادية انحسرت. أما الذين لم يحصلوا على أرض مثل عشيرة «الكوتة» فهؤلاء بقيت وحدتهم أعلى بكثير من العشائر العربية.

الأفراح والأعراس

إن الكاتب بوصفه شخصاً غربياً ستثيره إلى حد الأفراح والأعراس، لذا سجل ملاحظات جيدة، فيقول: إن أفراح العرب وأعراسهم هادئة رزينة تخلو من الموسيقى والغناء والرقص، موازنة بما يفعله جيرانهم في حفلات الزواج. والعرب لديهم آلة موسيقية واحدة هي: «دايرة» تشبه «الدف» الصغير، تقوم النساء بالضرب عليها، وينقل عن عجوز عربية تذمرها من ذلك. إذ لكل من الطاجيك وغيرهم موسيقى ولعب في أفراحهم، لذا فإن احتفالاتهم أكثر بهجة من احتفالات العرب، ويبقى الزواج ـ عند العرب ـ من بنود المصرف الكبيرة، لأنه يتطلب مهراً للعروس، مع تكاليف الحفل والطعام، وتقدّم أسرة المرأة شيئاً قليلاً جداً، وهذا خلاف النظام الهندي والباكستاني والبنغلاديشي القائم حتى اليوم، والذي يلزم المرأة بالمهر، دون الرجل، وهو نظام روماني قديم. وكذلك يهودي.

ويقدر مهر العروس العربية لمالك قطيع متوسط بـ ٣٠٫٠٠٠ أفغاني، أما ابنة الباي الثري أو صاحب القطيع الحيواني الكبير فيبلغ ٧٠٫٠٠٠ أفغاني، ويجري تفضيل المرأة على الصورة التالية:

- أن تكون من العشيرة.
- من القبيلة.
- أن تكون من الأوزبك.
- أن تكون من الطاجيك.

ـ لكن العربي لا يعطي ابنته لغير العرب (يلاحظ ص١٤٢).. وتدوم الاحتفالات لمدة ثلاثة أيام، وعلى أسرة العريس أن تقدم الطعام في الاحتفالات في بيتها

أو بيت العروس، ويتضمن (عشرين سيراً من الفواكه المجففة، التي تقدم للضيوف، ليأخذوها إلى منازلهم، وما يراوح بين (٢٠ و ٢٥) سيراً من الأرز، مع خروفين. وتكلف هذه الاحتفالات بين (٧ و ٨) آلاف أفغاني، ويشتغل العربي بين (٥ و ١٠) سنوات للحصول على التمويل المطلوب.

الفصل الرابع: دور العرب في الاقتصاد المحلي: تعدّ منطقة إمام صاحب أكثر إنتاجية في أفغانستان، ففيها يزرع القمح والرز والقطن والبنجر وأنواع البطيخ، بالإضافة إلى محاصيل ثانوية أخرى. أما القطن فهو (مَلِك) المحاصيل، وقد ثبتت الدولة أسعاره، ويلي القمح القطن، وهناك دوماً موازنة بين سعر القطن والقمح، فسعر القطن يفوقه مرتين، فإذا هبط السعر، ابتعد المزارع عن القطن، من هنا أجبرت الحكومة الفلاحين على زراعة ما لا يقل عن ربع أراضيهم قطناً.

فالدولة تريد القطن؛ لأنها تصدره، وتقبض عملة أجنبية، والفلاح يريد القمح؛ لأنه مع الرز يشكل قوته الأساسي، أما بذور القطن فيستعملها أهل الغنم من البدو طعاماً لحيواناتهم في الشتاء، مع الرعي في أماكن زرع القطن. من هنا راح البدو العرب يضعون أغنامهم «شتاء» في حظائر ويقدمون لها الطعام. (وهكذا حوّل استخدام الأعلاف المشتراة نظام الرعي الموجه للأغراض المعيشية، إلى عملية تجارية) (ص١٥٤).

الفصل السادس: العرب والمؤسسات الوطنية: عندما حصل تحسن في أسعار الغنم تكيف العرب بتحويل نظام الرعي إلى نظام تجاري، لذا ازدادت العلاقة مع شركة القطن المحتكرة، وكذلك مع الحكومة الإقليمية والوطنية، ومع الاستعمال المتزايد للعلف، صار العرب أكثر اعتماداً على شركة القطن، للحصول على المنتجات الثانوية..

في عام ١٩٧٥م أممت الحكومة جلّ المؤسسات الاقتصادية. ويلاحظ أن التنمية في (قطفى) بشكل عام كانت ناجحة قبل التأميم، وكان القطن هو السبب وراء ذلك. ومثل الكثير من التأميمات فقد غادر شركة القطن الكثير من أصحاب الخبرة، ليحل مكانهم موظفون لا يعرفون شيئًا، وكانت التعيينات سياسية بالدرجة الأولى.

ما يهم البدو من عرب وغيرهم هو المنتجات الثانوية لشركة القطن، لاستخدامها أعلافاً لحيواناتهم، وبعد التأميم صار الحصول على هذه الأعلاف صعباً؛ لأن ذلك بأيدي مديري الشركة، والبدوي الأمي قد لا يستطيع الوصول إلى المدير، من هنا نشأت طبقة من «الوسطاء» يحصلون على «التصريح» ليطلبوا ثمناً لذلك، ومع ذلك فقد كان العرب يفضلون هؤلاء في التعامل على موظفي الحكومة - بعد التأميم - ولما كان الطلب على هذه الأعلاف كبيراً، فإن «المدير» بإمكانه اختيار من يريد، والإفادة من مركزه، وكسب المال. ثم يشرح الكاتب نماذج الفساد للوضع الجديد، وهو كإنسان رأسمالي غربي معادٍ في الأساس للتأميم واشتراكية الدولة، لذا أفرد لهذا الفصل (٤٠) صفحة كاملة لبيان سوء الحال، وما آلت إليه الأمور بعد التأميم، وهنا لابد من كلمة، فالتأميم القصد منه ليس الربح، وإنما أخذ الأموال من أيدي أصحابها، لأنها تشكل قوة، يمكن إن استخدمت جيداً أن تطيح بالحكومة الاشتراكية، وفي بعض البلاد العربية أممت بعض الحكومات العقارات، وقالت ستقوم بتمليكها للمستأجرين، ولكن الذي حصل أنها صارت للدولة، وبقي المستأجر في مكانه، وربما ترحم على المالك الأصلي، فالتعامل معه أسهل وأيسر من بيروقراطية الموظف الحكومي..

وفي الخاتمة يجمل ما كتبه في (٨) صفحات.

إن الكتاب يتميز بأنه عمل ميداني، قام الباحث بالإشراف والمتابعة بنفسه، ورحل مع العرب البدو حيث رحلوا، وسكن معهم، واختلط بهم اختلاطاً تاماً، ومن هنا جاءت دقة البحث، بل روعته، فليس هو بحثاً نظرياً، ولكنه حياة عاشها الكاتب بكل تفاصيلها، ومرة أخرى هناك عرب في وسط آسيا وجنوب آسيا، فهل من شجاع يندب نفسه للبحث عنهم.

تعليق على مقال الجهل والتخلف



المقالات والأبحاث الجيدة هي التي تجذب انتباه القراء، وتحفزهم إلى التفاعل معها والاستجابة لها. ومقال الأستاذ عبدالعزيز المشعل من هذا النوع الممتاز، (منشور في عدد شعبان ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م). فالمقال يُثير اهتمام القارئ لبلاغته وعمقه وشجاعة صاحبه. والكاتب يُثير في مستهل مقاله تساؤلاً في غاية الأهمية عن «السبب أو الأسباب التي تجعل من التخلف السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والفكري واقعًا راسخًا غير قابل للتغيير في المجتمعات الإسلامية». معبراً عن شمولية ظاهرة التخلف وتعدد أبعادها واتساع مراميها.

والمتأمل في هذا الواقع يجده قابلاً للتغيير، ولكن إلى مزيد من السلبية والسوء فنحن نزداد ضعفًا على ضعف. ويتساءل المرء، مع الكاتب الكريم، ما الذي يجعل هذا الواقع عصيًا على التغيير؟ نقول السبب في إجهاض جميع محاولات الإصلاح أو العلاج يكمن في عدم توفر النية الصادقة أو الإرادة الحرة الحقيقية والمخلصة لله والوطن وأبنائه. فإذا لم تتوافر النوايا الصادقة كانت كل محاولات الإصلاح عبارة عن «مسرحيات» يُراد بها كسب الرأي العام والتأثير الوقتي فيه ليس غير.

يرجع إخفاق محاولات الإصلاح إلى عدم جدية أصحابها، وتفضيلهم مصالحهم الشخصية، أو الإبقاء على ظروفهم الراهنة. وإلى جانب عدم توافر العزيمة الصادقة، فقد يعوز القائمون بها الخبرة الكافية المهنية أو العلمية أو السياسية أو الاقتصادية أو الإدارية أو القيادية أو سعة الأفق، ينقصها كل هذا مجتمعاً بل الرغبة في هدر الطاقات العلمية والثروة البشرية الموجودة بين ظهرانينا.

ومن بين الأسباب التي تحول دون الإصلاح الشامل الافتقار إلى جو الحرية والديمقراطية، أو الأخذ بمبدأ الشورى، وانعدام تطبيق المنهج العلمي في التخطيط ورسم الأهداف والتنفيذ والمتابعة، وعدم تطبيقه في حل المشكلات وفي إحراز التقدم المنشود، وغياب الديمقراطية بما تحمله من مبادئ العدل والإخاء والمساواة وتكافؤ الفرص والتعاون واحترام الأقليات والأخذ برأي الأغلبية والاستفادة من منجزات العلم ومكتشفاته وابتكاراته الحديثة وعدم دراسة المشروعات قبل الشروع فيها. ومن بين معاول الهدم القوية انعدام القيم الأخلاقية في الأمانة والصدق والوفاء والإخلاص والجدية، وتحمل المسؤولية، والبعد عن التسيب والكسل والتراخي واللامبالاة، والاغتراب.

وعلى حد قول الأستاذ عبدالعزيز المشعل «فإن ظاهرة التخلف ترتبط بالدكتاتورية والفقر والفساد والإرهاب والتبعية» ويعانيها أغلب سكان العالم في الوقت الراهن.

والحقيقة أننا أمام هذه الظاهرة المتشابكة والمعقدة لا نستطيع أن نقرر علاقة عليَّة أو سببية بالقول بأن «الجهل» هو سبب التخلف، ذلك لأن كليهما قد يرجع إلى عامل أو عوامل سببية أخرى. فالجهل، وهو ولا

شك من أعداء الإنسان، له أسباب تؤدي إليه، ولذلك علينا أن نبحث عن «مسبب السبب» فهناك، ولا شك ظروف أو أسباب هي التي تسبب الجهل. والجهل حالة نفسية وثقافية لا يقتصر على الأمية الأبجدية، ولكنه نقص المعرفة بالعالم المحيط بنا، وما يزخر من موضوعات، وأحداث، وتفاعلات، وصراعات، ووقائع. قبول الآخر ومعرفته من ضرورات الحياة في الوقت الراهن، الانفتاح الذهني مطلوب قبل الانفتاح الاقتصادي. ولعل أسوأ حالات رفض تلقي المعرفة والتي يُشير إليها الأستاذ عبدالعزيز المشعل في مقالة القيم، أسوأ حالاتها عندما تتمكن من طلاب العلم والدارسين، فيرفضون تلقي المعلومات والحقائق، ويعزفون عن بذل الجهد والطاقة في التعلم والاكتساب والاستيعاب وهضم المواد العلمية والنظريات والحقائق، ويسعون للحصول على درجاتهم العلمية بأقل قدر ممكن من المجهود، أو من الدراسة والاستذكار. إنها عادة سيئة بل إنها آفة هذا العصر وخاصة لدى الشباب.

ولقد أصاب الأستاذ عبدالعزيز كبد الحقيقة عندما وصم حالة العزوف عن المعرفة والحوار والنقاش «بالخوف المرضي» وتعطيل الملكات والمواهب. الأمة الإسلامية بها من القدرات والمواهب والمهارات الخلافة الكفيلة، حال استخدمها، إلى بناء أمة عصرية عظيمة وقوية ومُهابة الجانب، يخشاها الأعداء والطامعون والغزاة وأرباب الغطرسة والتعالي. «إن لدينا ثقافة أرقى وديناً أعظم» هذا حق، ولكن المحافظة على ذلك تحتاج إلى الجهد والعطاء واليقظة والعمل الشاق والموصول من أجل رفعة هذه الأمة ورفع شأنها بين أمم العصر. حقيقة إننا لا ننكر أهمية النقد الذاتي لأمورنا وشخصياتنا، ولكن لابد من الاعتراف بحقائق التاريخ ودور الاستعمار في بلادنا وما تركه من آثار سالبة وما قام به من نهب ثرواتنا ومن محاولة إخضاعنا لنفوذه حتى هذه الساعة.

وعلى الرغم ما يُبذل من جهد في مجال التعليم العام والجامعي، إلا أن محتوى هذا التعليم ومناهجه وطرائق التدريس، حتى الآن لا تبدد ظلام الجهل والخرافة في أذهان الشباب، ولا تؤديى مخرجاته إلى تكوين المواطن المعاصر المثقف. فمرة أخرى نحيي المقال الجيد وصاحبه الكريم.

د. عبدالرحمن محمد العيسوي
أستاذ علم النفس بكلية الآداب
جامعة الإسكندرية ـ مصر

سرقة (عودي)!!

إشارة إلى الموضوع أعلاه فإن قصيدة «عودي» العتابية المكونة من ٢٠ بيتاً للشاعر السعودي محمد عبدالله الهويمل والمنشورة في مجلتكم بالعدد (٣١٣) إصدار شهر رجب ١٤٢٣هـ الموافق سبتمبر ٢٠٠٢م بالصفحة ٨٦، تكرر نشرها بصحيفة الأيام اليمنية بعد شهرين بالعدد ٣٧١٠ يوم ٢٩من شعبان ١٤٢٣هـ

الموافق ٤ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٢م بالصفحة الأدبية مُذيلة باسم آخر.

ونشرت القصيدة في الأيام ناقصة (٩) أبيات مما أثر في «التركيب السردي والجمالي للقصيدة. والأبيات المحذوفة هي : (١، ٥، ٧، ٩، ١٢، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧).

وهناك تغير في البيت الرابع عشر في الصدر لكلمة يلدغني، فصارت يلسعني وهو الصحيح؛ لأن اللدغ لذوات الفم، واللسع لذوات الإبر.

فذهبت إلى استعلامات صحيفة الأيام في أول رمضان الموافق ٦ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٠٢م وأشرت إلى ذلك الأمر كتابياً، وسجلت اسمي بالسجل الرسمي للشكاوى، لكنهم لم يبتوا في الأمر.

وبعدها انعقدت الدورة العربية الثانية لحقوق الإنسان في العاصمة صنعاء من ٢١ ديسمبر حتى ٢٦ ديسمبر/ كانون الأول ٢٠٠٢م الموافق ١٧ شوال حتى ٢٢ شوال ١٤٢٣هـ، وبحضور وفود (١١) دولة عربية منها: المملكة العربية السعودية التي أوفدت (٧) ممثلين: أربعة منهم رسميون، وهم الإخوة: عبدالله عبدالرحمن محمد العثيم، ومحمد إبراهيم القعود، وفواز جزاء الحربي، وهم من وزارة العدل، ورابعهم محمد سلمان الجريوي، مستشار وزير الداخلية السعودي لحقوق الإنسان، وثلاثة غير رسميين، وهم كتّاب سعوديون، وهم الإخوة: صالح الديواني، ومجاهد إبراهيم عبدالمتعالي، ومحمد زايد الألمعي.

وخلال انعقاد الدورة عرضتُ الموضوع على الجميع، لأن حلقة النقاش كانت تتناول حق الملكية الفكرية.

والعرب بسجيتها، والأصالة تستنكف أن تنسب مأثرة الآخرين إلى نفسها أو تحدث فيها، والله سبحانه وتعالى نهانا عن ذلك: *إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها*. **النساء:٥٨.**

وكذلك كل القوانين الوضعية تقر بالحق والملكية المعنوية والفكرية وحق الاسم.

علمت بأنك يا قصيدة عودي
لست إلاّ لشاعر سعودي
ومن الورى من نسبك إليه
وعبرك باسمه عبر الحدودِ
وأني آنف من طبع ما كان
من طباعي والأبوة والجدودِ
يا قريحة الشعر لي جودي
من فتوتي إلى فتور عودي
ليلسعني النحل أهون من
اقتباس أجازي له بالردود
وأنت مُكرمة يا أبيات عودي
إلى شاعرك الأول عودي
وتمسكي به لا مفارقة لهُ
ومن خائنة الحسناء ذودي
عودي والأقصى يعود لنا
والله معنا أعز الشهود

وتقبلوا فائق الاحترام،،

الشاعر: همدان حميد الحيدري
عدن - اليمن - ت (٠٢٢٤١١٢٥)

التحرير:

نشكر لك هذا الحرص الشديد على حقوق المبدعين، والجهود التي بذلتها في سبيل إثبات حق الشاعر والمجلة، ولعل هذا يعطي درسًا لأولئك الذين يسطون على حقوق غيرهم، ويؤكد لهم أن هناك متابعين للحركة الثقافية قادرين على كشف كل من تسول له نفسه الاعتداء على حقوق الآخرين. ونأمل أن تنتبه صحفنا العربية إلى أمثال هؤلاء حتى تقطع عليهم الطريق، ليبقوا في أحجامهم الحقيقية.

أمبرتو إيكو
الكتابة في المستقبل بحاسبين

ترجم الحوار: حسين عيد
الجيزة ـ مصر

أمبرتو إيكو روائي إيطالي.. وُلد في عام ١٩٣٢م، ومن رواياته: «اسم الوردة» ١٩٨٠م، التي بيع منها أكثر من تسعة ملايين نسخة، و«بندول فوكو» ١٩٨٨م التي حققت له نجاحًا سريعًا وضعته بين مشهوري الروائيين في العالم، و«جزيرة اليوم السابق» ١٩٩٤م، و«بودولينو» ٢٠٠٢م.

وهو أيضًا أستاذ السيميو طيقا «العلامات» بجامعة بولونيا منذ عام ١٩٧١م، حتى الآن، وله كثير من المؤلفات منها: «النص المفتوح» ١٩٦٢م، و«البنية الغائبة» ١٩٦٨م، و«دراسة في السيميوطيقا العامة» ١٩٧٥م، و«القارئ في حكاية» ١٩٧٩م، و«السيميوطيقا وفلسفة اللغة» ١٩٨٤م، و«حدود التأويل » ١٩٩٠م.

استقبلني جوفيال أمبرتو إيكو بسلسلة من دخان في مكتب مزدحم غير منظم ولكنه صغير مبهج في معهد دراسات الاتصالات بجامعة بولونيا. كانت هناك نافذة تفتح على شرفة تطلّ على حديقة الفيلا، حيث توجد مكاتب المعهد ومكتبته. غُطّيت الحوائط بصفوف من رفوف ممتلئة تماماً بالكتب. كما امتلأت كنبة على امتداد أحد الحوائط بأكوام من أوراق، وكتب، ومقالات، واختفت أيضا مائدة كتابة متواضعة تحت مزيد من الكتب والأوراق. ويوجد في أحد الأركان جهاز كمبيوتر وحيد IBM ٤٨٦ مع نظام تشغيله، وكان هناك على شاشته مقال أو كتاب في طور الإعداد. قدّم لي إيكو كرسياً في مواجهة مائدته كنت قد أعطيته مقدّما قائمة بالموضوعات التي كان من المفترض أن نتناقش فيها،


أمبرتو إيكو

حتى يمكنه أن يأخذ فكرة عمّا يدور في ذهني: تقنيات الكمبيوتر، ومجتمع الإنترنت وعمليات التغيّر الثقافية. بدأت سائلا:

*** أستاذ إيكو، أنت رجل أدب، وكاتب، وفيلسوف، ومؤرخ، يوجد كمبيوتر على المائدة إلى جوارك هل تقنيات الكمبيوتر الحديثة موظَفة فعلاً من أجلك بوصفك مؤلفًا وباحثًا أدبيًا؟**

«ألقى إيكو نظرة سريعة على الكمبيوتر، وابتسم، ثم أومأ مفكرًا» :

ـ نعم، لكن الكمبيوتر يستطيع، أحيانًا، أن يعطي نتائج تسبب الشلل. سأعطيك مثالاً: كنت قد دُعيت إلى جامعة القدس لندوة كان محورها صورة القدس والهيكل كصورة عبر العصور. لم أعرف ماذا أفعل في هذا الموضوع المحدد، ثم قلت لنفسي: حسنًا، لقد عملت مع هذه المادة منذ بداية العصور الوسطى؛ حين كانت أطروحتي حول توما الإكويني.

«أشار إلى صفوف ممتلئة بالكتب تمامًا إلى يساري ..»:

هنا كان لديّ كل الأعمال الخاصة بتوما الإكويني مع فهرس جيد بشكل معقول، ونظرت هناك كي أرى عدد المرات التي ذكرت فيها القدس، وحاولت أن أحدّد أيّ فائدة أدتها لصورة القدس. الآن، إذا كان لدي فقط هذه الكتب ـ حسنًا، يكون ذلك الفهرس فهرسًا معقولاً يركّز الضوء فقط بشكل أكبر وأكثر تكثيفًا في معالجات كلمة «القدس»ـ فقد وجدت ما يمكن أن يقال: إنه من ١٠ إلى ١٥ إشارة إلى «القدس» يمكن أن أتفحصها. لسوء الحظ فإن لديّ الآن أطروحة الإكويني نصًا متشعّب الحلقات...

«ألقى نظرة خاطفة ثانية على الكمبيوتر في الركن»

ـ وهنا وجدت أنه ـ حسنًا، فأنا لا أتذكر الرقم الصحيح ـ كان يوجد نحو ١١٠٠٠ إشارة أو ما يقاربها.

*** أوه، يا إلهي!**

ـ عند تلك النقطة توقفت.

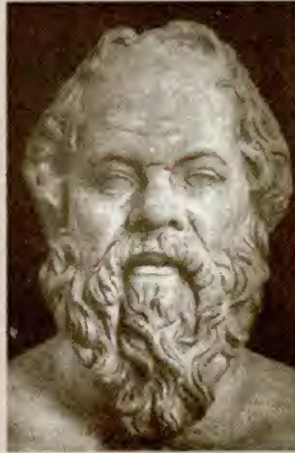
*** نعم، فهذه بجلاء مادة كثيرة جدًا، لموضوع واحد.**

ـ أن تعمل مع ١١٠٠٠ مرجع، أمر مستحيل تمامًا. إن ذلك كثير جدًا بما فيه الكفاية.

*** وهكذا، بكلمات أخرى، فإن النظام الذي استخدمته لم «يُصفّي» بما فيه الكفاية؟**

ـ لا أستطيع أن أتدبّر، أن أفحص بدقة عددًا كبيرًا مثل ١١٠٠٠ إشارة . والآن، إذا كان لديّ فقط حدودي التقليدية القديمة فمن المحتمل أن أفعل تقريبًا شيئًا معقولاً، على ذلك الموضوع الخاص.

*** هل يرجع ذلك إلى أن الإنسان الذي يبحث يقوم بذلك بأسلوب معقول ومُدْرَك، بينما يقوم به الكمبيوتر بأسلوب آلي جدًا، مستخرجًا فقط كل مثال مفرد؟**


سقراط

ـ نظريتي أنه لا يوجد فرق بين جريدة «نيويورك تايمز» ليوم الأحد وجريدة «البرافدا» القديمة. فقد يتضمن عدد الأحد من جريدة «نيويورك تايمز» ما بين ٦٠٠ و٧٠٠ صفحة، تحتوي فعلاً على أخبار قديمة مناسبة للنشر. لكنّ أسبوعًا ليس كافيا كي تقرأ عدد الأحد من جريدة نيويورك تايمز، وهكذا ومن أجل ذلك، تظلّ هناك حقيقة أن عناصر الأخبار التي توجد فيها غير متصلة بالموضوع، لأنك لا تستطيع أن تتذكرها من جديد، لذلك فما الفرق حينئذ بين البرافدا التي لا تعطي أي أخبار، ونيويورك تايمز التي تعطي أخبارًا كثيرة جدًا؟. وقد حدث ذات مرّة أن احتجت إلى ثبت مراجع عن النرويج والسيميوطيقا، فذهبت إلى مكتبة ووجدت نحو أربع مواد. أخذت ملاحظات، ووجدت ثبت مراجع آخر الآن، مع الإنترنت يمكن أن يكون لدي ١٠٠٠٠ مادة. عند هذه النقطة أصاب بالشلل، ويتحتم عليّ ببساطة أن أختار موضوعًا آخر.

*** وهكذا يبدو أن المعلومات المحملة، وهذا التيار المتدفق غير المدرك والمختار منها، هي المشكلة الرئيسة؟**

ـ نعم، فنحن لدينا إمكان استرداد عال للمعلومات

وهي ليست ساخرة ولا متعارضة، كما أعتقد، وهو ما حدث مع صور الزيروكس الضوئية.

«يلتقط إيكو كوماً من الأوراق من فوق المائدة التي أمامه، ملوّحًا بها».

ذات مرة، كنت قد اعتدت أن أذهب إلى المكتبة وأدوّن ملاحظات، فقد عملت كثيراً وفي نهاية العمل كان لديّ، قل: ٣٠ ملفاً حول موضوع معين. حالياً، حين أذهب إلى مكتبة - وهذا يحدث لي غالباً في المكتبات الأمريكية - أجد كثيراً من الأشياء التي آخذ صوراً ضوئية لها، وأصور، وأصور؛ حتى تكون عندي. وحين أعود بها جميعاً إلى البيت، فإنني لا أقرؤها أبداً. لم أقرأها أبداً !

*** الأمر نفسه هنا: يبدو أنه لا يتوافر لديك وقت أبداً، أليس كذلك ؟ وما دمت تعرف أن هناك شعوراً يعاودك بالاطمئنان؛ فلا تقرؤها.**

- تماماً ..

*** لذلك فان التصوير الضوئي قد يشلّ نشاط القراءة ؟ وتلك مخاطرة أخرى؟**

- بالتأكيد .. مخاطرة أخرى، تكون أحياناً واقعية جداً.

*** أجل، حسناً، ما رأيك في فكرة مصفيات المعلومات الشخصية: تلك الفكرة التي تمكنك أن تتخيّل مظهراً جانبياً لشخص، وسيبحث لك نظام الإنترنت على ذلك الأساس؟**

- هذا هو ما أسميه فن أخذ العُشر.

*** أخذ جزء من عشرة؟**

- فن أخذ. أي أن تسقط شخصاً واحداً فقط من عشرة.

«يومئ ثانية نحو أرفف الكتب الممتلئة تماماً».

- إن عدد الكتب التي ترتبط باهتمامي الخاص فقط، ولا أتحدث بالتأكيد عن تلك التي تصلني أسبوعياً، تقهر قراءتي بشكل بالغ.

*** تقصد مقدرتك، طاقتك ؟**

- أقصد مقدرتي، ووقتي. إذا كان لديك خبرة معينة فإنك ستكون قادراً على أن .. حسناً يمكنك أن تسحب واحداً من عشرة عشوائياً وللمثال، فقد لا يوجد حول هذا الموضوع أوذاك، أكثر من عشر أفكار جديدة ممكنة، إنه أمر نادر، لكن تلك هي الحالة.

*** وهل تعتمد فروض العمل التي تضعها على ذلك؟**

- وهكذا .. لوقرأت واحداً فقط من عشرة كتب، لكان من المحتمل أن تكون هناك فكرة يمكن أن أجدها، وإذا لم تكن هناك، فقد تكون في المجموعة التالية من الكتب العشرة التي التقطها ولكن هذا شيء جزافي جداً.

*** لكنك اعتمدت أساساً أيضاً وبشكل جلي على خبرتك السابقة؟**

- أوه، بالتأكيد، إنه فعل جزافي، ولكنه اعتمد على خبرة ماضية.

إن معظم قراصنة الكمبيوتر أفراد مرضى؛ لأنهم يجلسون بشكل سلبي، يلعبون، ويقتحمون الحاسبات؛ لأنه الأسلوب الوحيد الذي يُشعرهم بأنهم أحياء!

«تناول كتاباً من فوق مائدته، وبدأ يقلّب صفحاته بإبهامه»

حسناً، أنا قادر الآن على أن أفتح الصفحة الأولى من هذا الكتاب، كي أنظر إلى الملخص، كي أرى ثبت المراجع، وكي أفهم إذا كان ما يلي يعوّل عليه أم لا، وإذا كان هناك شيء جديد أم لا، ومادام أن لدي خبرة طويلة، فقد تم تكييف قدرتي على أخذ واحد من عشرة؛ وذلك حين أحسّ أن من الأفضل أن أقرأ هذا الكتاب وليس ذلك .. إلخ.

*** وهكذا، فأنت قادر بطريقة ما على أن تتعرّف الجدّة والتجديد؟**

- بطريقة ما، قد أرتكب أخطاءً طبعاً، لكنني إذا ارتكبت خطأ اليوم، فمن المحتمل ألاّ أرتكبه ثانية غداً. ومن الممكن إذا اخترت كتاباً أن أهمل كتاباً آخر، وقد يسبب ذلك خطأً، لكن في الأسبوع التالي سأتجاوز علاوة على ذلك كتاباً آخر، وهكذا دواليك. لكنّ الطالب ذا العشرين عاماً من العمر أو حتى ٣٠ لا يمتلك هذا النوع من قابلية التصفية، يجب أن نبتكر تطبيقاً عملياً، نظرية .. تمريناً أو تدريباً على فن أخذ جزء من عشرة.

* حسنًا، كيف نفعل ذلك حاليًا ؟

«ينحني إيكو بلهفة إلى الأمام في مقعده»

- حسنًا، إنه أمر يجب أن يُبتكر. يجب أن توضع بعض قواعد، وقد توجد بعض القواعد الأولية جداً - للمثال أن تحافظ على تواريخ ثبت المراجع. فإذا كنت تعمل في موضوع معين فقد تجد كثيراً من مراجع من عامي ١٩٩٣ و١٩٩٤م. لكن في علاقتها مع موضوعات أخرى قد تصبح مراجع عامي ١٩٩٣و١٩٩٤م، سلبية؛ لذلك ينبغي عليك أن تجد بعض المراجع ذات التواريخ القديمة.

* تمامًا.

- وهكذا، فإذا قرأت كتابًا عن الفيلسوف «كانت» وكان لديك فقط ثبت مراجع من ١٩٩٠م، فإن ذلك يكون مثيراً للشك؛ لأن المؤلف يعمل على مراجع ثانوية. وإذا قرأت كتاباً عن نص متشعب الحلقات ووجدت ثبتًا قديماً للمراجع، فإن ذلك يكون مثيراً للشك؛ لأنه في هذا الحقل المتميز يوجد شيء جديد كل يوم وهكذا قد توجد بعض قواعد أولية أساسية يمكن أن تستخدمها، كي تفرز أشياء معينة فوراً.



جاليليو

إذا قرأت كتاباً أمريكيًا حول موضوع معين، ستجد ثبت مراجع إنجليزياً أو أمريكياً فقط، وهو ما سيكون مثيراً للشك؛ لأنه يجب أن يكون للمؤلف نظرة واسعة ..

* نظرة عامة شاملة؟

- نعم، نظرة شاملة لكن إذا كانت كتاباتي فلسفية تحليلية، وهناك فقط ثبت مراجع إنجليزي، فمن المحتمل ألا يكون ضرورياً أن يكون لديك ثبت مراجع بولندي مع وجود مدرسة عظيمة من المنطقيين والفلاسفة المحليين في بولندا؛ لأن الأمر برمته يعتمد على الموضوع المعني، على مكانة الفن. قد يكون أمراً ملحًا بشكل تام بالنسبة إلينا أن نبتكر قواعد لأخذ واحد من عشرة، وربّما وفق قواعد مرنة، يمكن أن تتغير من حقل إلى آخر، وإلاّ فإن المستقبل سيكون أسوأ من الحاضر، إذ قد نصل إلى مستوى توجد فيه معلومات زائدة ومستهجنة بقدر متعادل.

* نعم ؟

- وهكذا ترى، أنه يمكنك أن تلغي عند الوفرة. يمكنك أن تلغي بالطرح، ويمكنك أن تلغي بالزيادة أو بالجمع.

* بالجمع، نعم لكنك تعرف أن هذا أمر معرفة ما وثيق الصلة بالموضوع. أعني - وهذا شيء أنا شديد الاهتمام به - نوعًا من مادة خام حصلت عليها عن طريق شبكة النت. أنت تعرف أنه في فضاء سبرناطيقي «الذي يعدَ محاكاة اصطناعية تعطي المستخدم الإحساس بالواقع من خلال توليد فراغ ثلاثي الأبعاد»، أو ما شئت أن تسميه، تتوافر المعلومات بأسرع أسلوب .. هذا رأي - ولا أدري ماذا تعتقد - لكن يوجد في تلك اللحظة عدد محدَد فقط من الناس، الذين لديهم مدخل كفء، وقدرات كافية؛ كي يكونوا قادرين على استخراج بيانات من هناك. لقد اختار هؤلاء الناس الرضا بالقراءة عن البقية. أليسوا كذلك؟

«صمت إيكو لحظة»

- نعم، لقد رأيت أن لديك كثيراً من الأسئلة في الأوراق، التي أعطيتها لي في ذلك اليوم، وتدور كلها حول تلك التقنية الجديدة. أشعر بالخجل حين أدلي ببيان رسمي هنا. أنا معني بشكل هائل بما يحدث. أحاول أن أؤسس كل الخدمات الممكنة على الإنترنت هنا في معهدي، وأن أدفع الشباب كي يعملوا في هذا الاتجاه، وأعتقد أن ذلك مهم بشكل هائل من أجل المستقبل، حتى من أجل السياسات، أريد أن أتوصل إلى بيان محتوى لدراسات الاتصال ببعض حلقات دراسية في تلك المنطقة. لكنني لا استخدم هذه التقنيات شخصياً، لسبب بسيط جداً بسبب من عمري، أولاً، ودعنا نقل أيضًا بسبب من «إدراك»، فإن مشكلتي هي أن أتفادى الرسائل.

* ماذا؟

- وإلاّ سيقضى عليّ بواسطة عدد من الرسائل،

مشكلتي هي ألاّ أجيب عن الهاتف. مشكلتي أن أدمّر الفاكس، وبمجرد أن يصل فاكس يصبح غير مطلوب. وفي المستقبل القريب، حتى لو أو بالأحرى، حين يصبح لدي عنوان بريدي إلكتروني e.mail، ستكون مشكلتي كيف لا أستقبل أي شيء؛ لأنه إذا وُجد ما يجب أن يصلني بأي شكل فسيصل، وسيكون هناك أسلوب ما سيتم إعلامي به.

هناك قليل من الأشخاص يمكنهم الوصول إليّ، وأن يقولوا لي : انظر يجب أن تولي اهتمامك بهذا الأمر أو ذاك .. حالياً، هذه مشكلة شخصية.

*** بسبب مركزك؟**

ـ نعم، حتى تبعاً لذلك ، دعنا نقل: إنه منهجي الفكري. حدث ذات مرّة، حين كنت أصغر، أن قلت: إنه يجب على الناقد أوالعالم بعد الخمسين، ألاّ يهتم كثيراً بالحركات الطليعية، لكن يجب أن يكتب فقط حول شعراء عصر إليزابيث.

*** كتابة حول الماضي؟**

ـ نعم، لماذا الآن؟ لأنه ما إن تظهر بدعة هذه الأيام حتى تنتشر سريعاً، لدرجة أن أي شاب سيكون قادراً على أن يبتلعها ويفهمها ويهضمها، بينما يكون شخص أكبر أبطأ فعلاً في ذلك .. لماذا؟ لأن الشخص الأكبر لديه كثير من الخبرة، يعرف كثيراً من الأشياء، ويستطيع أن يعمل بشكل جيد على مشكلات أكثر تعقيداً من الشباب الذين لا يعرفون بما فيه الكفاية كيف يفعلون ذلك.

*** حسناً، لأنه ليس بداخلهم ما فيه الكفاية طبعاً**

ـ هذه قاعدة عامة . ليس من قبيل المصادفة أن كتابي الدراسي الأخير كان عن البحث عن لغة كاملة، وليس عن آخر تطورات المعلوماتية والسيميوطيقا؛ وذلك لأن الشباب أكثر بكارة وقدرة على رؤية ما يحدث في هذه الحقول، ولدي شخصيًا خبرة أكثر تمكنني أن أعمل بشكل كبير على مواد قديمة. وأعتقد أنني بشكل ما، قد اتبعت بوضوح ذلك المبدأ، حتى أدع عينيّ مفتوحتين، وما أزال مشغوفًا بكل ذلك. ومع هذا، فإنني واقعيًا لم أحاول بأي شكل أن أفهم أو أكتب عما بعد موسيقي الراب. وقد أكون أكثر قدرة على أن أكتب قليلاً حول «البيتلز»، وإذا لم يكن، فعن جوهان سباستيان باخ. وهذا ما يحدث مع كل تلك التقنيات الجديدة إنه ما يحدث نفسه مع شاب رياضي، فقد يظل لاعب كرة حتى الثلاثين، وبعد الثلاثين يصبح مدرباً.

*** نعم تماماً، لكن يكون على المدرب بطبيعة الحال مسؤولية أن يحافظ على نفسه متكيفًا مع ما يجري؟**

ـ آه، أن يحافظ على معرفة ما يجري، لكنه ليس مجبراً على ركل الكرة كل صباح.

*** وأيضاً هناك فكرة أن يكون ميسّراً أكثر منه مستخدماً، بأسلوب متمسك بالعرف: أن يرى الفرد الإمكانات المتاحة، ويجعلها متاحة للآخرين، قائلاً فقط تمام ؟**

حين يُصبح الإنترنت مزوّدًا بأدوات تصل بين تجمعات اعتبارية وتجمعات حياة وجهًا لوجه، عندئذ سيكون ذلك تغيرًا اجتماعيًا مهمًا!

ـ نعم، لكن الشباب هم من يجب أن يقوموا بعمل التحليلات الجديدة؛ لأنهم أكثر مرونة وأكثر استقلالاً عن خبرات الماضي. إنهم لن يخاطروا بتكرار المشروعات التفسيرية نفسها. لذلك لماذا يجب عليّ أن أحلل بينما هم قادرون على أن يقوموا بها بشكل أفضل؟

*** أستاذ إيكو، أنت أستاذ أكاديمي وعالم أيضاً، وتكتب كتباً رائجة. أنت تكتب بنجاحٍ كبير لنوعين مختلفين تماماً من القراء هل خبرت أي صعوبة إزاء طباعة عملك، لأن وسيطي الطباعة والتلفاز يعملان وفق جنسين معينين وقواعد قد لا تميّز عملاً جديراً بعالم؟**

ـ هذه مشكلة ثلاثية، لأنه ليست هناك مشكلة واحدة، بل ثلاث مشكلات. أولاً: مقولة أنني أكتب مادة أكاديمية ـ كما أكتب في الجرائد ـ سمّها صحافة تابلويد أو صحافة شعبية. كما أكتب رواياتي التي بمصادفة غامضة تحقق نجاحاً جماهيرياً، وهي تلك التي أراها شخصياً روايات أكاديمية، وهي ليست روايات سهلة. إنها ليست قصص حب أو ما شابه ذلك من أشياء .. لذلك فإن هناك ثلاث

مـشكلات مـختلـفة. ثانيًا: مـا يمكن أن يعدّ مشكلة من وجهة نظر المنتج ومن وجهة نظر المستقبل. وأنا كمنتج لا أشعر أن لدي شخصية منشطرة. وخلال كل حياتي، كانت حقيقة دراسة أي شيء، تساعدني على أن أكتب مقالات جماهيرية أكثر وحتى أشرح ظاهرة وسائل الاعلام الجماهيرية، ولكوني مضطراً حقيقة إلى أن أفعل ذلك، رحت أكتب انطباعات أسبوعية يمكن أن أقول: إنها انطباعات غير مسؤولة ـ انعكاسًا لما يحدث يومًا بيوم حول الطعام والغذاء والغسيل والملبس، ساعدتني على تحصيل خبرات، وأن أولي اهتمامي بما يجري، ومن ثم أن أستخدم تلك المادة نفسها في كتبي الأكاديمية بشكل متناسق الأجزاء أكثر، وعمق أكثر، ومترابط باتساق أكثر، وبأسلوب نقدي أكثر.

وهكذا، فإنه بالنسبة إليَّ، كان نوعًا من مساعدة متبادلة: ساعدني النشاط الأكاديمي على أن أمتلك أدوات لفهم الأحداث اليومية، كما ساعد الاهتمام المستمر بالأحداث اليومية على أن يكون لدي مادة فكرية من أجل عملي الأكاديمي. أما حكاية الرواية فهي موضوع آخر، لكنني بشكل معادل لا أشعر أنني منشطر هنا حتى بالنسبة إلى شخصيتي، فأنا أشعر أن ما أفعله عن يساري يساعد ما أفعله عن يميني.

الاختلاف يكون في وجهة نظر الاستقبال. هنا مشكلة أخرى: حقيقة أنك تتحول إلى أيقونة حين يطلبون منك شيئًا لا تريد أن تعطيه ..

*** التحوّل إلى أيقونة: يعني بإحساس أن تُصبح وسيطًا للإلهام؟**

ـ نعم، وسيطًا للإلهام، لأنهم يسألونني طوال الوقت «ما رأيك في ...؟»

حاليًا، لماذا ينبغي علي أن أفكر في أي شيء حول ذلك السؤال؟ هذا لا يحدث لي فقط، بل يصل الأمر إلى أنه، في هذه اللحظة من الزمن، يستقبل كل عالم يوميًا مكالمة هاتفية من صحفي إيطالي سائلاً إيّاه أسئلة مثل: «ما رأيك في زواج الأمير كذا وكذا؟»، أو حتى أسئلة شديدة الغباء مثل: «ما رأيك في موت جريتا جاربو؟». لماذا يسألونني عن ذلك الآن؟ فإما أن تجيب بتفاهة مثل «حسنًا، نعم، كانت ممثلة عظيمة، وقد صدمني موتها»، وإما أن تكون مبتكراً «أوه، لقد أسعدني جداً موتها، تلك العاهرة القذرة، لقد كنت أكرهها ..» ولن تستطيع إجابتك بشكل جلّي أن تكون شيئًا آخر أكثر من إجراء من نوع شكلي. لذا، فان الأمر ليس فقط أمر خبرتي الشخصية بل هو موضوع خبرة كل شخص. وهكذا تستقبل ضغطًا مستمراً كي تفعل كل شيء، من أجل ذلك أخبرتك أنني لا أستلم رسائل، لا أقرأ فاكسات، ولا أرد على الهاتف.


هوميروس

*** إذًا فـأنت لا تـتـبـع أي منتـديات إلكترونية، ولا تشارك في تجمعات نقاشية للأخبار بالاتصال المباشر، أو في أي أنشطة أخرى لتجمع الإنترنت؟**

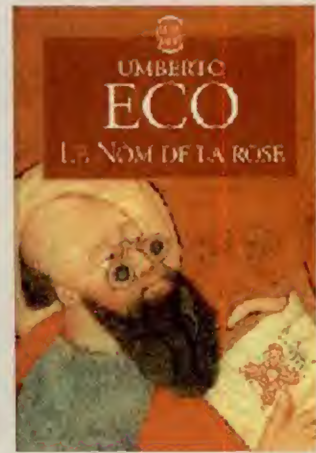
ـ لا حتى الآن، لكن تلك مشكلة أخرى، وهي لا ترجع إلى الضغط على الإطلاق وسأفعل ذلك خلال مجرى الأشهر القليلة القادمة، لكن فقط كي أصنع نوعًا من نظرة عامة، بادئًا بأن أضع بعض الأفكار معًا، وربّما يوجد شيء ما ينبغي أن أبدأ به، أعتقد أن لديَ هنا كتابًا قديمًا، كجامعة الكتب من خلال شبكة الإنترنت، والذي أعتقد أنه يمكن أن يكون مفيداً؛ وذلك حين يمكنك أن تسأل الآخرين حول أشياء مثل «لقد وجدت نسخة كتاب قديم من عام ١٦٤٣م، ولست متأكداً إذا كانت هناك نسخة سابقة» حسنًا، سأستخدم الإنترنت.

«يومئ إيكو بجدية»

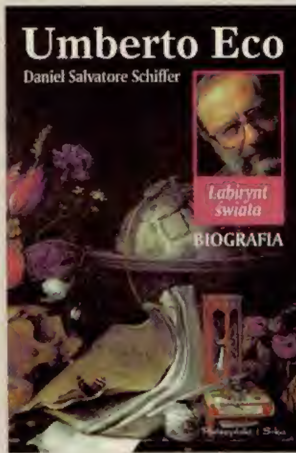
ـ أعتقد أن من أكثر الأشياء إثارة عن الإنترنت، هو أنك يمكنك أن تنظر إليه بارتياب، كـ«تجمّع». ألاحظ أنك ذكرت في الورقة التي أعطيتها لي في مؤتمر سان مارينو، أنك كنت غير متأكد قليلاً حول أيهما يمكننا فعلاً أن نبتكره: هذه القرية العالمية أو التجمّع، حسنًا لدي الآن

فعلاً بعض حجوزات ـ لكن لدي بالتأكيد أيضاً بعض خبرات جماعية. إذا وجدت التجمّع الصحيح، وللمثال تجمّع «بيرس ـ ل» قائمة النقاش، التي كنت عضواً فيها: لقد وجدت أن هذا جيد جداً؛ لأن لديك نوعاً من ضبط الجودة، ما دام أن هؤلاء الناس «يذهبون إلى هناك »فقط ليفعلوا ذلك، ذلك لأنهم مهتمون بشكل خاص ... الآن بمجرد أن نطوّر هذه النقطة قليلا: كنت تتحدث حول هذا العمل في أن تكون أيقونة ... إلخ ومايكل كرايتون...

حسناً، لقد نشرت في العام الماضي ثلاثة كتب، كما كنت مضطراً إلى أن أقرأ أطناناً وأطناناً من الرسائل



غلاف «اسم الوردة»



أحد الكتب عن إيكو

الجامعية والأوراق الخاصة بطلابي؛ لذلك لم يكن لدي وقت في هذه كي أعمل مع الإنترنت، وسأفعل ذلك حين أنتهي من أشياء كثيرة، ربّما خلال الأشهر الستة القادمة. إنها فقط مشكلة عملية، أمّا فيما يتصل بالشيء الأيقوني: الطريق الوحيد هو أن تحاول وأن تقاوم أن تتحول إلى أيقونة، وذلك بأن تجيب لا، لا، لا. لكن المشكلة وصلت إلى أبعاد لا يمكن التحكم فيها على مستوى مملكة وسائل الإعلام الجماهيرية، لأنه حالياً ليست مقولاتك هي التي تصنع سبقاً صحفياً بل هو أيضاً صمتك.

* **نعم، أتفهّم ذلك، ماذا؟**

ـ إنني استشهد دائما بمقطع أدبي معين، لأنه مطابق. لكن يوجد عشرات من تلك المقاطع الأدبية. وقد حدث ذات يوم كالمعتاد، بعد أن انتهيت من فصل في السابعة مساءً، أن ذهبنا ـ طلبتي ومساعدتي معاً ـ إلى مقهى للنقاش حتى الثامنة، ثم ذهبت إلى المنزل، يتبعني بعض منهم وكنا نتناقش. عبرنا منطقة بيزافيردي في بولونيا، حيث تقع دار الأوبرا. ما لم أكن أعلمه، أنه كان هناك عرض أول مهم في ذلك المساء المذكور. حسناً، لم أكن أعرف به، وبطبيعة الحال أنا لا أعرف كل شيء.

«يبتسم»

حسناً، عبرنا الميدان وذهبت إلى البيت كي أفعل شيئاً، نعم أشاهد التلفاز، نعم أفعل شيئاً آخر .. لا أدري أيّهما. وفي اليوم التالي، كان العنوان الرئيس في الجريدة «أمبرتو إيكو لم يحضر العرض الأول»، إنني لم أكن أبداً جزءاً من الأخبار؛ لأنني عادة لا أحضر تلك الأشياء، لذا لم أكن جزءاً من الأخبار. لكن ربّما لم يكن لديهم أي شيء أفضل للحديث عنه لذا أصبح غيابي ..

* **علامة؟**

ـ نعم علامة. حسناً، عند تلك النقطة لا تستطيع أن تفعل أي شيء، فقط أن تحاول وأن تحاول وأن تتجاهل مثل هذه الأنواع من الأحداث.

* **كي نعود إلى مايكل كرايتون ـ أعتقد أنني كتبت تلك الاسئلة في تلك الأوراق التي أعطيتها لك ـ الذي كان حديثاً لفكرة وسائط إعلامية عملاقة لأكبر بيوت النشر، هل تعتقد أن وسائل الإعلام العملاقة في خطر؛ لأن الناس سيكونون قادرين على أن يذهبوا مباشرة إلى منابع المعلومات، أعني هل تعتقد أن ذلك سيقلل الضغط على شكل الأيقونة، الخبير؟، أو هل تظن أن الأمر برمته خرافة، خرافة كاملة؟**

ـ كان انطباعي الأول: حسناً، أصبح لدينا أخيراً نظام Acephalous. Acephalous: أي من دون رأس.

* **من دون رأس، لا رأس له. نعم، لقد أعجبت بفكرتك، كأنه ساق أرضية شبيهة بالجذر.**

ـ هو نوع من شبكة مكوكية حديثة، نوع من شبكة محايدة.

* نظام متماسك ...؟

- نعم، دون نماذج بدائية، ودون - حسناً، أنت تعرف كل ذلك - وكل هذا من المحتمل أن يغيرّ بشكل هائل تصفية المعلومات. الآن، بأفكار أخرى فإن لدي مشكلتين: إلى أي مدى يمكن أن يظلّ هذا النظام دون رأس؟ لأن شدة التحميل على شبكة الإنترنت عند نقطة معينة تتطلب بعض التصفية والنظام، وفي تلك النقطة لن نعرف ما سيحدث؛ لذلك يعدّ الإنترنت إمكانية عظيمة لإلغاء أي أو كل أخ كبير.. **

* أخ كبير..؟

- أخ كبير. لكن قد يمكن لذلك في خطوة تالية أن يزيح الغطاء عن إخوة كبار آخرين؛ كي يحتلوا الخطوط الرئيسة والشبكة الأساسية. عند هذه النقطة، لا أعرف. ثانياً: إذا ظلّ النظام دون رأس، عندئذ سيكون هناك فيض من المعلومات. وهنا، إمّا أنك وصلت إلى مستوى من نضج يمكّنك أن تكون مصفّيا بنفسك، أو أنك ستحتاج بشكل يائس إلى مصفٍ..

* نوع من مصفٍ عملي؟

- نوع من مصف عملي، لذلك مرة ثانية، ستسأل شخصاً ما .. مستشار معلومات، كي يكون حارس بوابتك !، خذ للمثال محل بيع كتب. كان محل بيع الكتب في الثلاثينيات مكاناً صغيراً، يوجد به كتاب جديد أو اثنان كل أسبوع، وإذا ذهبت إليه فغالباً ستعرف بشكل جيد كيف تعزل الكتب المهمة الجديدة، وهكذا. الآن محل كتب مثل «فناك» في باريس أو الـ«فيلترنلي» هنا في بولونيا، هو إنترنت بنفسه، حيث لديك كل شيء. الآن بناءً على هذه الاعتبارات، ليس فقط للطالب الشاب، ولكن أيضاً لنفسي - إذا لم أقرأ الصفحات الثقافية في الجرائد كي أعرف ما يجري، أكون قد ضعت؛ لأنه يوجد هناك هذا الافراط في المعلومات. وهكذا مرّة أخرى، فإن ذلك ما يجعلك تحتاج إلى حارس بوابة ..

* مصفٍ؟

- مصف؛ ولذلك ستبقى عملية التصفية توجيهاً لمراكز معينة. خذ مثالا آخر، يحكى أنه حدث ذات مرة أن وُجدت هناك طبقة عالية كان لديها أفضل ترزية، كانوا يخبرون الرجال والسيدات أيضاً، كيف يرتدون ملابسهم بشكل لائق. أما الطبقة الدنيا فكان يمكنها فقط أن تشتري ملابس جاهزة الصنع من أمتعة معروضة؛ لذلك كان من السهل جداً أن تتعرّف على أي واحد منهم، ثم سهّل تطوّر التوزيع لأي فرد أن يبدأ في تجميع ملابسه، أو ملابسها. لقد جعلنا القماش القطني السميك شخصية، مثل الجينز الأزرق .. إلخ.


شكسبير

* تجميع أزياء شخصية، نعم

- مبدئياً، فإن زوجة السيد اجنللي روكفلر والخادمة الشابة من بورتوريكو يمكنهما أن يذهبا إلى محل الملابس نفسه - للمثال «بلومنجدالز»- وأن يشتريا العناصر نفسها، ليعدّا بالمزج زيّهما الشخصي. والآن بلغة الأزياء، هل تحدّد هذا الفارق الطبقي؟ لا، لأن السيدة الغنية لديها بعض القواعد للتجميع.

* شفرة؟

- نعم، شفرة ليست لدى الشابة البورتوريكية. ربّما استطاعا أن يشتريا الجينز الأزرق نفسه، لكن في نهاية التجميع سيستمر هناك خط تحت الفرق. أين يكمن الفرق؟ إنه يكمن في التصفية العظيمة لرأي القادة مثل «آرماني» أو «كريزيا»: إنهم ينصحون كيف يكون التجميع، والشخص الخُبر، المنتمي، يستخدمهم مستشارين، بينما الشخص غير المنتمي يبتكر أنماطاً بنفسه أو بنفسها. لذلك يكون لديك مرة أخرى نوع عام من أزياء الإنترنت - صعوداً حتى مستوى معين: أرض مزروعة بأزياء معينة لكليهما، يستطيع أي فرد أن يشتري زوجاً منها- الجينز الأزرق لكليهما، لكن لأحدهما مستشارين للنت الصغير الخاص.

*** مستشارون، نعم. لذا، ماذا ستقول أساساً عندئذ عن تلك الثقافة التي سوف تنتشر، حتّى لو ..**

- ثقافة أو لا ثقافة، لأن المصفيات أيضًا قد تكون مصفيات سلبية. لكن ستكون هناك مصفيات على أي حال. سيكون هناك على الأغلب ! شباع ووفرة للمصفيات السلبية. أحد مخرجي برامج تلفاز الحوارات، أو أحد أولئك الرجال المعتمدين هنا في إيطاليا، في هذه الفترة - فيوناري - يمدنا بنموذج للسلوك لكثير من شباب الطبقة الدنيا. إنه مصف: مصف سلبي، لكنه هناك.

*** لدينا هذا الحلم والرؤية للإنترنت كشيء منفتح جدًا، سيعمل على خلق مجتمع من دون مراكز، أو سيشارك في تطوير مجتمعات دون مراكز، وخلق ديمقراطية عالمية عامة: ألا تعتقد حقيقة أن ذلك ممكن؟**

«ينحني إيكو في مقعده إلى الأمام»

- نعم، لكن هانحن أولاء نعود مرة أخرى إلى مشكلة، أخذ جزء من عشرة. أحد طلبتي المتفرغين للإنترنت والمهتم به كذلك ليس ذلك فقط، ولكنه أيضا عضو في تجمع «بيرس»، فقد اكتشف شبكة البيرسيان؛ لذلك أرسل رسائل، وحصل على إجابات. لقد بدأ يتناقش مع شخص ما. وقال لي «أوه بعد رسالتي الأخيرة في الليلة الماضية، حصلت على إجابة من رفيق - دعنا نسميه «سميث» - بدا لي غبيًا وغريبًا». فقلت له عندئذ «لا، إن سميث هو واحد من أعظم العلماء في «بيرس». من المحتمل أنك لا تعرفه؛ لأنه نشر قليلاً .. وهو شخص متواضع يعمل بجدية في جامعته، لكنه عقل عظيم عظيم. وهكذا كان الطالب مستعدًا لأن يتجاهل رسالة سميث؛ ربّما لأنه لم يعجب بالأسطر العشرة الأولى، أو ربّما لأن سميث كان مخطئًا في هذه النقطة تحديدًا. أنا لا أعرف. بينما كان ينبغي عليه أن يأخذه بجدية تامة. لكنه لم يمكنه أن يعرف ذلك. لقد كان سميث مجرد فرد بين مئات يتناقشون في «بيرس» على النت في تلك الفترة. مرّة أخرى، ما المعايير التي سنتمكن بواسطتها أن نختار سميث؟، إنها لا يمكن أن تأتي من الإنترنت.

*** لا يمكن أن تأتي تلك المعايير من الإنترنت؟**

- لا. يجب أن نجد شيئًا ما، للمثال في «مقابل» الجريدة اليومية، التي قد يقول فيها شخص ما إن آراء سميث مهمة جدًا. وهكذا، مرّة أخرى إذا لم يكن لديك مصف، فلن تكون قادرًا على أن تفهم أساسيات رسالة واحدة بأن سميث يجب أن يؤخذ بجدية. وتلك هي المخاطرة.

*** لكن على الجانب الآخر، إذا كنت حاضرًا في أحد هذه التجمّعات الاعتبارية - دعنا نسميها تجمعات - مثل مجموعات النقاش، وإذا كان لديك بنفسك ذلك القدر من الحس النقدي، وإذا كنت تعرف قليلاً حول الحقل..؟**

- بالتأكيد تستطيع أن تكتشف أن «براون» غير المعروف، على الإطلاق، هو على أي حال لطيف جداً لدرجة أنه يستحق أن تظل على اتصال به. حسنًا، نعم، هناك أيضًا تلك العناصر الإيجابية.

سيكون الواقع الاعتباري مهماً بشكل ضخم لكثير من الخبرات العلمية، إن لم يصبح تسلية فقط للأشخاص المعتزلين!

نعم، نعم، لكن لا تزال هناك مخاطرة، إنه إذا كان هناك في أي وقت مئة شخص يتناقشون في «بيرس». فإن اكتشافك لبراون سيكون عشوائيًا، تمامًا مثل تجاهلك لسميث.

*** أتظن ذلك؟**

- لن يمكنك أن تقرأ مئة رسالة في ليلة واحدة وأن تفحصها انتقاديًا؛ كي تقرّر أن براون هو الأصل. براون ذلك الشخص الذي قابلته. وهكذا فإذا لم تكن لديك شفرة خلفية، على الأقل كمصف أول، فإن حقيقة معرفة أن سميت مشهور لا يجب أن تثنيك عن قراءة براون. حسنًا، هذا يحدث كل يوم. أنت تفتح جريدة حيث يوجد مقال لشخص ما لا تعرفه، تبدأ القراءة وتقول نعم، ذلك حسن. لقد حققت اكتشافات في حياتي الخاصة بقراءة مقالات لعلماء غير معروفين، واكتشفت أنهم كانوا عظماء، وربّما اكتشفت مؤخرًا أنهم كانوا مشهورين. وقد يرجع الأمر إلى جهل الخاص؛ لأني لم أعرف أسماءهم، وهكذا فإن من الممكن دائمًا أن تحقق اكتشافات عشوائية، لكن المصفي يكون عادة أسلوبًا مهمًا.

* **حسنًا، مرّة أخرى، إنه شأن هذا التجمّع ..؟**

ـ يمكن أن توجد أيضًا مصافي إنترنت. يمكنك أن تنظر إلى مئة رسالة في «بيرس» وتجد أن كل منها مأخوذة عن سميث عند نقطة معينة، ستشعر أن سميث من المحتمل أن له أهمية خاصة، أو أن لديه شيئًا يقال، آخذًا في الحسبان أن كل فرد يأخذ عنه لكن حسنًا إنه مرة أخرى فن تصفية واختيار ما سيصبح فنًا شديد التعقيد.

* **لكن يجب أن يتم ذلك مع شيئين، أليس كذلك؟ حسّ التجمّع: تجمع متخصص، أناس لها قيم عادية وأهداف محددة ،كما يجب أن يتم ذلك مع حسٍ بالثقة: حس الحديث بين أولئك الناس في ذلك الفضاء. وسيكون هناك تقنيات آلية للتشغيل تتخلص من المواد الدخيلة. وأعتقد أن ذلك أحد أعظم الأشياء المثيرة للدهشة، لكنه أيضًا أحد أكثر الأشياء صعوبة وهو: كيف يمكنك أن تجد التجَمع الصحيح؟ لأنه عند استخدام النت، وحدك، فإنه يوجد ما يربو على ٣٠٠٠ مجموعات أخبار ..**

ـ أنصت، أنا لا أقول: إن الإنترنت هو، أو سيكون، خبرة سلبية بل أقول، على الجانب المقابل: إنه فرصة عظيمة، وإلى أن يتأكد ذلك، فإنني أحاول أن أعزل الفخاخ المكنة، العناصر السلبية الممكنة. أحاول أن أركز في العناصر الحرجة للخبرة الايجابية. وأعتقد أيضًا أن دوري بصفتي ناقدًا لوسائل الإعلا م يحتم علي أن أفعل ذلك. وأعتقد أنه بمجرد أن نتطور تمامًا ونزوّد بالأدوات، فإن الواقع الاعتباري سيكون مهمًا بشكل كبير لكثير من الخبرات العلمية، لكن لدي أيضا ملاحظة أنه إذا ما أصبح الواقع الاعتباري مجرد تسلية للأشخاص المعتزلين، فإنه سيصبح نوعًا جديدًا من تقنية اللهو لذا يجب أن نضع كليهما في الحسبان.

* **نعم، نعم. أظن أنّ تلك مشكلة حقيقية. لكن مرة أخرى فهذا سؤال تجمّع. أليس كذلك؟**

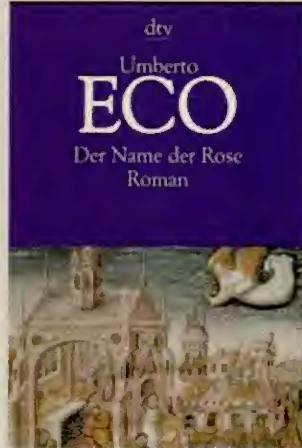
ـ مشكلة العزلة تعدّ مشكلة هائلة..

«توقف إيكو وهلة، وانحنى إلى الوراء بكرسيه»

إنه تجمع، لكنه تجمّع اعتباري فقط. كما إنه من الحقيقي حاليًا أن هناك فنانين عظماء يقضون حياتهم يعيشون في قرى منعزلة، ويكتبون رسائل إلى أنحاء العالم، ويؤسسون أنواعًا من تلك التجمّعات الاعتبارية.

* **وقد فعل «كانت» مثل ذلك ـ كان كاتب رسائل عظيمًا ..؟**

ـ نعم، كان هناك «كانت». لكني أفكر في شاعر عظيم كليو باردي. كان مريضًا، أحدب، مكبوحًا. عاش في قرية، وذهب مرّة أو مرتين إلى روما، غالبا لا أتذكر كم مرة، على الرغم من أنه سافر قليلاً، كان معروفًا جيداً، وعلى صلة بكل مثقفي عصره، حسن كان ذلك ممكنًا دائمًا. لكن لديك كثيراً من أناس آخرين يعيشون في عزلة مع أشكال معقدة من أمراض عقلية، إن إحدى



غلاف «اسم الوردة» باللغة الإيطالية



غلاف كتاب آخر عن إيكو

أعظم مشكلات عصرنا هي قلة تجمعات البشر وجهًا لوجه أو الافتقار الكامل لها.

وأنا أحب دائمًا أن أحكي حكاية بوسكو ـ سان جيوفاني بوسكو. هذا القس الساليزياني من منتصف القرن التاسع عشر، والذي جاءته فكرة أن كل الجيل الجديد من الشباب، الذين كانوا يعملون من عمر مبكر في المصانع، كانوا مشتتين ومنفصلين عن أسرهم، لذلك ابتكر «مكلمة»، كانت عبارة عن تجمع يمكن لأولئك الذين عملوا أن يذهبوا إلى هناك؛ كي يلعبوا ويتناقشوا، ولهؤلاء الذين لم يستطيعوا العمل، أسس أساليب طباعية، وأنشطة يمكنهم أن يشاركوا فيها، وهكذا كان

نداً لمشكلة اليأس والعزلة في المجتمع الصناعي، كما أتاح للناس إمكانية أن يقابل بعضهم بعضاً، وبوضوح فقد كان ذلك أيضاً من أجل تحقيق هدف ديني لقد كان ذلك ابتكاراً اجتماعياً عظيماً.

إن ما أقاربه اليوم، مع كل من الكاثوليك ومنظمي الشيوعية أو التقدميين، هو أنهم يفتقدون دون بوسكوا الجديد. لا يوجد سان جيوفاني بوسكو جديد لعصرنا قادر على أن يبتكر إمكانية جديدة لتأسيس تجمعات؛ ولذلك تجد شبابا ذكوراً ساخطين ببنادق يقتلون بها الناس في حديقة مركزية؛ فهناك توجد كل مشكلات الشباب..

*** المَرْضية، نعم ..**

ـ وأيضاً من الناضجين والمسنين، الذين يشعرون العزلة. هل يكون التلفاز هو أسلوب التغلب على العزلة؟ . لا، لقد كان أسلوباً لزيادتها ، حين تسترخي على الكنبة .. إذن، لم يكن التلفاز هو الحل بشكل واضح، خاصة مع بشر معينين ـ كان لي خالة لم تكن قادرة على أن تمشي، فاضطرت أن تعيش طوال يومها في البيت، وبالنسبة إليها كان التلفاز هبة من السماء، فقد كان حقيقة هو الإمكانية الوحيدة بالنسبة إليها كي تكون بطريقة ما على صلة بالعالم، لكن الأمر ليس كذلك بالنسبة إلى شخص طبيعي .. فهل تستطيع التجمّعات الاعتبارية الجديدة مثل التي لدينا في الإنترنت أن تؤدي الغرض نفسه؟، بالتأكيد ! لأنها تعطي الشخص الذي يعيش في منتصف الغرب إمكانية أن يتصل بآخرين من هناك. أليس ذلك بديلا لاتصال البشر وجهاً لوجه وتجمعاً أيضاً ؟ لا، إنه ليس كذلك. وهكذا فإن الوظيفة الاجتماعية الحقيقية لذلك، أو دعنا نقل، إن الإنترنت يجب أن يكون نقطة بداية لتأسيس اتصالات، ومن ثم يؤسس أماكن ..

*** أماكن للقاء البشر وجهاً لوجه ..**

ـ نعم، تجمعات محلية. حين يصبح الإنترنت أسلوباً حقيقياً مزوّداً بالأدوات ـ بين تجمعات اعتبارية وتجمعات حياة وجهاً لوجه، عندئذ سيكون ذلك تغيراً اجتماعياً مهماً. لقد كنت أتحدث مع الأستاذ برودي (لاحظ أن رومانو برودي هو أستاذ الاقتصاديات في جامعة بولونيا، وله علاقة زمالة برئيس وزراء الائتلاف لحزب اليسار المعتدل في الانتخابات العامة القادمة) وأخبرته أن الإمكانية الوحيدة التي لديه كي يصنع معسكراً انتخابياً حقيقياً، هو أن يقيم في كل مدينة جماعة، نادياً، دائرة؛ لأن إحدى القوى الحقيقية من مبتكرات بير لسكوني ليس فقط أنه استخدم التلفاز في الدعاية الانتخابية، لكن لأنه امتلك أيضاً منظمة صناعية كبيرة، أنشأ من خلالها أندية في كل مكان، يفخر أعضاء كل منها بارتداء شارة خاصة، وأن يعرّفوا أنفسهم بأنهم منتمون إلى مجموعة معينة. لقد رأيتهم في القرية حيث أمتلك منزلاً ريفياً. كان أمراً اصطناعياً، أقيم كله خلال شهرين؛ ولذا لم يكن ذلك كافياً كي يؤسس شعوراً فعلياً عميقاً بالانتماء إلى تجمّع، لكنه كان فكرة.

ساعدني النشاط الأكاديمي على أن أمتلك أدوات لفهم الأحداث اليومية. كما ساعدني الاهتمام المستمر بالأحداث اليومية على أن يكون لدي مادة انطباعية من أجل عملي الأكاديمي

هكذا، أخبرت برودي أنه يجب أن يفعل الشيء نفسه، وإحدى طرائق تنفيذ ذلك هي أن يستخدم الإنترنت؛ لأنه من خلال الإنترنت يمكنه أن يصل، لنقل إلى شخصين في كل مدينة، وإعطائهما مواد ومستندات، وسيتشجع الناس على أن يصوروا نسخاً ضوئية من كل تلك المواد، كي يكّونوا جماعات محلية، وشبكات وهكذا ينشأ نوع من تعاون بين تجمعات اعتبارية.

*** تجمعات حقيقية؟**

ـ وتجمعات حقيقية إذا نجحنا في فعل ذلك فسيكون الإنترنت عنصرا هائلاً أو فاعلاً في تغيّر اجتماعي. أمّا إذا ظلّ فقط تجمعاً اعتبارياً، فقد يقود بعض البشر إلى عزلة تامة. بهذا الحس، فإن معظم قراصنة الكمبيوتر أفراد مرضى؛ لأنهم يجلسون بشكل سلبي، يلعبون، ويقتحمون الحاسبات الآلية للبنوك والبنتاجون «وزارة

الدفاع الأمريكية»؛ لأنه الأسلوب الوحيد الذي يشعرهم بأنهم أحياء.

*** لقد أنجزت موسوعة نص مفتوح جديدة. في مقال نشرته حديثًا في جريدة محلية في بولونيا «لاربيليكا»، كتبت: إن ذلك العمل سيحتوي على معلومات أكثر مما في الموسوعة البريطانية، وكتبت أيضًا: إن الميزة الرئيسة للموسوعة هي في استرجاع غير خطي ونظام مرجعي متقاطع وأنا دائما ما يثير عجبي تأثير أنظمة النص المفتوح بشكل عام؛ لأن على الفرد أن يصنع قنوات اتصال. وهكذا، وعلى الرغم من أنك تسميه استرجاعًا غير خطي، أو مهما يكن أفلم يتقرَر ذلك جميعه مقدَمًا بواسطة شخص ما؟**

ـ حسنًا، أول كل شيء ... إذا كان في إمكانك أن تصنع غدًا نصًا مفتوحًا، ليمكّن بواسطته لكل فكرة، كل كلمة، كل صفة، كل مقال، أن تكون أداة اتصال مع كل شيء. حسنًا، عند هذه النقطة، من الواضح أنه حتى هناك، يوجد مصف يؤسس أدوات ربط.

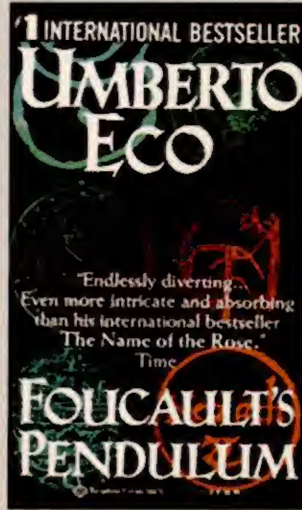
بهذا الحسّ سيكون من الصعب جدًا أن تصنع نصًا فلسفيًا مفتوحًا؛ لأنه سيكون عليك أن تقرّر إذا ما كنت ستصل ملاحظة هوى لسقراط مع ملاحظة هوى لأرسطو، اللتين هما ملاحظتان مختلفتان ..

*** نعم، مختلفتان تمامًا ..**

ـ بالنسبة إلى أرسطو يكون الهوى حدثًا بسيطًا متشابهًا، أما بالنسبة إلى سقراط وإلى هوى القرن السابع عشر فيجب أن يتمّ بإحساس ورقة شعور ..إلخ. لكن في حالة موسوعتنا، التي ارتكزت على بيانات تاريخية، فإن لديك ضمانًا معينًا سيوصل اسم مدينة إلى مواقع أخرى، واسم معطى لشخص سيوصل إلى أشخاص يرتبطون بعلاقات معه، وأنت أيضًا يمكنك أن توجد أدوات وصل غير مرئية ..

*** ويستطيع المستخدمون أن يصنعوا أيضًا أدوات وصلهم الخاصة؟**

ـ نعم؛ لأن لديك، دعنا نقل، كتبًا معروفة وملفات. يوجد للمثال كتاب عند سقراط ومن الجليّ أنه في هذا الكتاب سيذكر تحديداً، دعنا نفترض، باسكال أو جاليليو. كما أن هناك بعض أدوات الربط الحالية؛ لأن جاليليو وباسكال كانا مشهورين، ولذلك نستطيع أن نتعرّف فوراً إمكانية وجود قنوات ربط بينهما، فليس هناك قناة ربط سابقة التأسيس بين سقراط وكارافاجيو. لماذا؟ لأنه ليس هناك شيء مشترك بينهما عدا حقيقية أنهما عاشا في العصر نفسه. لكنني أريد أن أحلّ أو أن أجيب عن هذا السؤال «هل كان ممكنًا لسقراط أن يقابل كارافاجيو؟». لقد سافر سقراط كثيراً جداً، لذا فإن لديّ معادلة تسمح لي أن أسأل عن سقراط «و/ أو»، كارافاجيو، كما وجدت أن لديّ إمكانية أن أستبين أن ذلك اللقاء كان مستحيلاً؛ لأن كارافاجيو مات حين كان سقراط في الرابعة عشرة من عمره. وهكذا أؤسس قنوات ربطي الخاصة.



«بندول فوكو» أكثر الكتب مبيعًا

*** حسنًا، إنني أرى ، وعندئذ تكون قادرًا على أن تصل إلى هناك وأن تسجل صفة ذلك الشيء، لقد رأيت أسطوانات ممغنطة منشورة حديثًا بواسطة عالم وسائط متعددة، كانت مثيرة تمامًا للاهتمام. إنها نوع من أقراص مدمجة لترجمة نصَ مفتوح لمجلة، ولديها أيضًا ـ أنت تعرف عالم بيت العنكبوت الواسع ـ حيث يصنع خادم موقعًا تضع صفحات فيه، وتبتكر قنوات ربط مع أماكن أخرى من هذه الصفحات.**

«يومىء إيكو»

*** حسنًا، لقد وضعوا صفحة من النسيج العالمي الانتشار على الأقراص المدمجة، كي يمكنك ليس فقط أن تنظر إلى ما يوجد على القرص ـ ذلك النوع من عالم مغلق ـ لكن كي تمتلك أيضًا محورًا إلى النسيج العالمي الانتشار. وبطبيعة الحال، بمجرد أن تستطيع أن تدخل إلى النسيج العالمي الانتشار، حينئذ يمكنك أن تذهب إلى أي مكان ..**

ـ أنا لا أعرف عن الحالة الحالية للنت، لكني أعتقد أنني يمكنني أن أوجد على شاشتي كل مقالة طُبعت في كل جريدة في رواندا وبورندا، أو على الأقل، إذا لم يكن ذلك هو الحال الآن، فسيكون ذلك ممكناً في المستقبل.

* **في وقت معين، نعم، أنا متأكد من ذلك**

ـ غداً، عند هذه النقطة، حسناً، ستوجد عناصر سلبية أخرى. ستحصل على كثير جداً عن رواندا ـ وبورندا.

* **نعم ويكون ذلك هو الوقت المناسب كي تمضي خلال كل ذلك، وتلك هي المشكلة ..؟**

ـ وأنا لا أعرف ماذا كان أفضل مقال في «بوسطون جلوب» أو في «لوس أنجلوس تايمز»؛ فليس لديّ وقت كي أقرأها جميعاً. تلك هي المشكلة التي نواجهها إنها موجودة ..

* **لكن مرّة أخرى، لن يمكنك أن تمضي بعيداً عن فكرة الثقة والتجمّع، لأنه، من الواضح، أنك إذا كنت تريد أن تكتشف أشياء، فإنه من الطبيعي في الحياة اليومية، أن تذهب إلى الناس الذين تثق بهم، الذين تعتقد أن لديهم نظرة عامة واسعة، حرّة وجيدة، وأن تسألهم «حسناً، أنصت إليَّ، يوجد هنا الكثير، ألا تستطيع أن تعطيني مؤشراً»؟**

ـ نعم، تلك إمكانية. لكنك تعرف أن أحد أوائل الأحداث العظيمة في شبكات النت المبكرة كان قصة جورج لاكوف، الذي كتب ذلك المقال الجميل عن حرب الخليج. لقد فهم أن الأمر متأخر جداً كي يُطبع مقاله قبل الحرب. لم يكن يعرف شيئاً حينذاك عن شبكة النت، لكنه أعطى المقال لصديق لديه «صلات» وفي اليوم التالي كان الناس يصدرون نسخاً ضوئية من هذا المقال في بولونيا، أمستردام، سيدني، وعلى مدار أنحاء العالم ! لقد تمّ عمل دعاية للمقال بسبب شبكة الإنترنت، ولكن الأكثر أهمية من ذلك كان بسبب أن رأي الرجل الذي يدعى جورج لاكوف كان..

* **يستحق أن يقرأ، نعم، تماماً!**

ـ حينئذ يصبح لديك مشكلة أخرى، وهي أن النشر يحدث بسرعة شديدة، حيث يمكنك أن تطبع في اللحظة ذاتها وبسرعة متتبعاً إيجازاً في الكلام أو الكتابة. لقد لاحظت أن أجيالا جديدة من مستخدمي الحاسبات يتعلمون أن يتصلوا بشفرات مختصرة جداً؟

* **لقد اكتشفت حديثاً صيغة جديدة يستخدمونها؟**

«يستخرج إيكو دفتر مذكراته من المائدة ويبدأ في الكتابة»

ـ ما يسمع بالإيطالية فاحش Obscene جداً: CUI8R «آراك لاحقاً» وهكذا يمكنك أن تكتب رسالة حب بهذا الأسلوب بكثافته القلبية نفسها.

* **هذا النوع من ظاهرة التجمّعات الاعتبارية، لأنه يكون لحظياً شكلاً من اتصال، ونرى أيضاً اندماجاً فيه بين لغة شفاهية ومكتوبة في كثير من مجموعات النقاش تلك. هناك اندماج كبير جداً بين تلك الأنواع من الأشياء. هل تعتقد أن هذا سيكون له تأثير في نشر نوع بذاته؛ على نماذج أدبية، على الأدب؟**

ـ أظن أن ذلك محتمل على المدى الطويل، نعم.

«يستمر إيكو في الكتابة»

أنت تعرف أنه مكتوب تحت لوحة موناليزا دافنشي، حيث توجد كلمات مركبة من أوائل حروف كلمات أخرى وتُقرأ «L. H. O. D. O. Q» وتكون بالفرنسية «إن مؤخرتها تحترق». ومن الجلي أن دافنشي قد رسمها في مرحلته «الدادية» وظلّت شعاراً للقلة السعيدة.لكنني أعتقد أن Cul 8R يمكن أن تصبح شكلا أيضاً.

* **لذا، فأنت تتوقع أن تتغير نماذج الكتابة؟**

ـ لم لا ؟ فبمجرد أن اكتشفت ذلك، وبمجرد أن أخبرت به بعض الاصدقاء، فإنني سرعان ما سأستخدمه في رسائلي. لم لا؟ وهذا يمكنه أيضاً أن يُغيرّ الشكل الرسائلي لعدد من البشر لكن بالنسبة إليّ، فإن ذلك يعدّ مشكلة رئيسة؛ لأن هناك تجديدات تقنية كثيرة ستغيّر الأشياء. وللمثال في كتب القرن ١٦، حاولوا أن يطوروا أول حماية لحقوق النشر سموها حقوق ملكية. كانت هناك صفحة تقول: إن الملك قرّر أنه لا يمكن لأي فرد أن

> أمام فيض معلومات الإنترنت، إما أنك وصلت إلى مستوى نضج يمكنك أن تكون مصفياً نفسك، وإما أنك ستحتاج بشكل يائس إلى مصفٍ!

يستخدم ما هو موجود في هذا الكتاب دون تصريح، وحاليًا لدينا مايأتي:

«يخربش إيكو علامة على الورق، ويريها لي»

* **نعم، حقوق نشر «C» بالتأكيد**

- هذا كاف في أيامنا الحالية. حسنًا، لقد لاحظنا أنه من غير المفيد أن تكون لديك صفحة حقوق ملكية حين يكون لدينا هذا الذي يعني تمامًا الشيء نفسه. لذا، فإنه شيء جديد بشكل مطلق؛ لأن كل تقنية جديدة تقدم مصطلحات جديدة.

* **أو حتى نماذج ؟**

- نماذج يمكنها في البداية أن تُرهب قدامى الأكاديميين الذين يقولون «أوه، لقد فسدت لغتنا !»، حين تصبح ..

* **مقبولة وموظفة بأسلوب جديد ..؟**

- ومستقلة، لقد كانت كل الرسائل التي وصلتني في الستينيات من الولايات المتحدة تنتهي بكلمة «حب»، التي فقدت مضموناتها، حتى إنه يمكن أن أكتب، كما تعرف، «حب»، لم لا؟

* **سلام وحب ؟**

- نعم، لأنه بمجرد أن تقبل العادة الجديدة تصبح مألوفة. حاليًا أرى أنها اختفت. لكن حين وصلتني أول مرة من صديق، قلت «أوه، هل أصبح شاذًا؟». لا، لم يكن كذلك بطبيعة الحال.

* **من مقال لك في فصل دراسي بسان مورينو حول مستقبل الكتاب، ذكرت روب جولدبرج**

- حسنًا، لقد ذكرت روب جولدبرج لأن شخصًا هناك ذكره، لذا فهي لم تكن فكرتي، لكنني تناولته بإيحاء من شخص آخر.

* **لكنك قلت: إن نموذج روب جولدبرج يبدو بالنسبة إليك رافدة أفقية قصيرة لما وراء المعالجة الطبيعية لمستقبلنا الإلكتروني وهذا يبدو عظيم الأهمية. رافدة أفقية قصيرة لما وراء المعالجة الطبيعية هي نوع من ..؟**

- بقدر ما أتذكر، فإن ذلك الشخص قد استرشد بجولدبرج كنموذج. وقد تناولته منعزلاً في ورقتي البحثية دون الإشارة إلى النموذج الذي كان بالأحرى غير قابل للفهم. لا، إن ما أردت أن أركز فيه، وما قد يكون ربّما مهمًا لنوع من مثل هذا المستودع هو أنه يوجد نوع واحد من عنصر نقاش أعدّه بشكل مطلق غير مناسب للموضوع، ونوع من عنصر آخر أعدّه مؤذيًا، إن ما أعدّه غير مناسب للموضوع هو مناقشة ما إذا كانت الأقراص المدمجة ستلغي الكتاب. الآن، يعدّ هذا غباء وسذاجة.

* **كان هذا مرتبطا بفكرة «هذا سيقتل ذاك»**

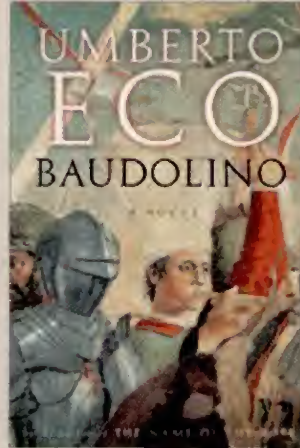
- نعم ؛ لأنني كررت القول، بأنه يمكنك أن تحضر كتابًا على جمل في الصحراء وليس حاسبًا آليًا.

* **حسنًا، حاليًا يمكنك**

- بالتأكيد، تستطيع اليوم أن تفعل ذلك لكن أليس من الأسهل دائمًا أن تكون مستلقيًا في خيمة مع كتاب، يمكنك أن تفعل هذا وذاك.

«يأخذ إيكو جريدة من مكتبه. ينحني إلى الوراء على كرسيه، ساحبًا الجريدة المفتوحة أمام وجهه»

- أنت لا تحتاج إلى قابس موصل للتيار الكهربائي، ولا تحتاج حتى إلى بطارية دائمة الصلاحية. ثانيًا؛ لأن هناك أنواعًا من خبرات قراءة يمكن أن تتم فقط مع الكتاب. أنا لا أعتقد أنه يمكن قراءة «هوميروس» في الكمبيوتر، لأن الكتب تنقسم إلى طبقتين: كتب كي تُقرأ، وكتب كي يُرجع إليها. كل الكتب التي يمكن أن يرجع إليها يمكن إبدالها بالأقراص المدمجة. مائدة كتابة الغد يجب أن تعدّ من حاسبين: واحد صغير للكتابة، وآخر كبير له ذاكرة ضخمة، كي يخزن معجمات ودوائر معارف وكتبًا تحتاج أن يُرجع إليها. لا يمكنك أن تفعل كل ذلك بكمبيوتر واحد. إذا كنت تكتب فأنت لا تستطيع أن تتوقف طوال الوقت كي تفتح قاعدة البيانات لتبحث في القاموس: لأن كل عملية تتطلب كثيراً من الوقت والتحركات. كمبيوترات أو أن كل تلك الأرفف يمكن أن تختفي.



غلاف كتاب «بودولينو»

«يشير بشكل حاسم إلى كل أرفف الكتب المصفوفة على الجدار»..

* كل الكتب المرجعية؟

- نعم، كل الكتب المرجعية، وذلك أقل تكلفة. لقد حسبت ثمن فراغ الحائط، عاداً أنه سعر فراغ الأرضية - الذي ليس في مركز ميلانو ولا حتى في محيطها - ثمن تلك الأرفف بمواد متواضعة وليس من خشب ثمين، واكتشفت أن كل كتاب غبي يصلني يكلفني ١٠٠ دولار.

* في الفراغ؟

- في الفراغ.

* دون أن تذكر عامل البيئة وبطبيعة الحال الحراج .. إلخ

- نعم، الحراج أيضاً، فأنا أستلم في المتوسط عشرة كتب يومياً. إنها تكلفني كثيراً، كثيراً جداً. وحين تكون لدي شقة من ٥٠٠متر مربع، ولا أستطيع أن أستمر في تغيير منزلي كل خمس سنوات؛ كي أخزن ما يصلني من كتب، فإذا أمكنني أن أتخلص من كل الموسوعات والمعجمات .. إلخ، عندئذ سيكون حالي أفضل. إذا أمكن ذلك، سيكون ميزة لي، وهي ميزة هائلة لشخص يعيش في شقة صغيرة. وهكذا يمكن التخلص من كل كتب المراجع، ولكن يجب أن يحافظ على الباقي جميعاً.

وستكون وظيفة كتاب المرجع الكمبيوتري أحد عوامل التشجيع لي؛ كي أجد الكتاب الورقي، وأن استعمله ككتاب من ورق. أنا متفائل بالنسبة إلى هذه النقطة، ولا أعتقد أنك سوف تشتري قرصاً مدمجاً لقصائد جديدة، إذا لم يكن ذلك لأسباب معلوماتية تحتاج إلى الحصول عليها بسرعة. فالكتاب حتى بأسوأ ورق في العالم يدوم أكثر من أنظمة المساعدة المغناطيسية، على الأقل حتى الآن.

المشكلة الثانية، هذه المدينة الفاضلة للنص المفتوح «نص متشعب الحلقات»، وقد شرحت في مقالي في سان مورينو الفوضى بين أنظمة حلقات التشعب، ونص متشعب الحلقات؛ لأن أنظمة حلقات التشعب ذات تجدّد عظيم. فالأقراص المدمجة الخاصة بي هي نظام حلقات تشعب لكن بالنظر إلى نص متشعب الحلقات: لا أحتاج دعماً مغناطيسياً؛ كي أعيد تنسيق رواية «عوليس» تماماً كما أريد، فأنا أؤدي ذلك بكتاب. لا أفعل شيئاً حين أقرأ جويس، إلا أن أغيّر، أتحرك، أرجع إلى الوراء. لذا فإن فكرة نص متشعب الحلقات التي يمكن أن استخدمها كي أعيد تنسيق ١٠ روايات مختلفة، هي فكرة غبية، غبية مثل «دون جوانات وتنانين»، أو مثل هذا النوع من المواد التي يمكنها أن تكون لعبة.

حدث أن اخترع رجل في فرنسا سابورتا، في نهاية الخمسينيات الكتاب المتحرك، كانت الفكرة قد عُرضت فعلاً عند ما لارميه. كانت فكرة الكتاب المتحرك نوعاً من مجاز عظيم لقراءة غير محدودة. إذا أردت فقد كانت مجازاً من أجل الهدم. حسناً، بالنسبة إلى سابورتا، على الجانب المقابل، كان قد صنع كتاباً يمكنك أن تخلطه ..

مع الإنترنت يمكن أن يكون لدي ١٠ آلاف عنصر لموضوع أبحث فيه، عند هذه النقطة أصاب بالشلل

* تقصد أنه يمكنك أن تضع أشياء فيه؟

- اخلط الصفحات، وستتغير القصة.

* نوع من كتاب مفكوك الأوراق..

- نعم، حسناً. إذا تشككت أنه حتى الأقراص المدمجة فيها قنوات اتصال سابقة التجهيز بواسطة المؤلف، فإنه حتى سابورتا سبق أن قام بتجهيز إمكانات القصة.

* إنه كله كون محدود، نعم.

- إنه ليس أفضل من أن تقرأ شكسبير، ثم تحلم نهاراً بهاملت يتزوج جولييت، ولذا فإن النص متشعب الحلقات كنص يمكن فقط أن يكون لعبة. وسيكون لنظام التشعب مستقبل له أغراض تعليمية: حين يحاول أن يخلط أشياء ويبحث عن إمكانات جديدة. حسناً، لكنه ليس ثورة في الأدب أو الشعر.

* أنت لا تعتقد ذلك؟

- لا، أنا لا أعتقد ذلك حينما يكون لديك ما كان لدينا من كتب ورقية، فلن تحتاج مع جوليس أو مالارميه إلى نص متشعب الحلقات؛ كي تحصل على نهايات مفتوحة لقراءة الأدب.

*** لقد ذكرت «دون جوانات وتنانين»، هذا المستخدم لفضاءات اعتبارية متعددة، يمكن للبشر أن ينشغلوا معًا في وقت واحد في حوار مكتوب، كما يمكنهم ابتكار غرف، افتراض قواعد شخصية، وأن يتفاعل كل منهم مع الآخر بطرائق لا يسمح بها الفضاء الطبيعي. زميل لي، هو «فن يوستاد» أخبرني أن بعض طلبته يقضون عدة ساعات في هذه البيئة وهو ما يشبه للبعض أن تمثل دورًا في رواية، في الوقت نفسه الذي تكتبها فيه.**

- حسنًا، إنها لعبة لطيفة.

*** هل تعتقد أن هذا سيؤدي إلى أشكال جديدة في الأدب؟**

- لقد استخدمت غرائبية النص المتشعب الحلقات للثلاثين عاماً الماضية، وهو ما يسمى خربشة. لكنه ليس صحيحاً أنه بخربشة، يمكنك أن تؤلف من كل تقاطع قنوات اتصالاً محتملاً، ومن كل امتزاج جملاً، إنها لعبة جميلة يمكن أن يكون لها أغراض تعليمية. وقد تعلمت زوجتي الألمانية جزءاً من لغتها الإنجليزية المعجمية أحياناً بممارسة خربشة، وأحياناً تمارس الكلمات المتقاطعة بالإنجليزية أو بالفرنسية. حسناً، ولكن إذا كنت شاعراً يجب أن تكون خربشتك ذهنية. ولا تحتاج إلى سبورة كي تفعل ذلك، إنه الأمر نفسه كما أعتقد لكل تلك الأنواع من الألعاب. وقد يكون جميلاً جداً أن تلعب. لذا، أكرر: يمكن أن يستخدم النص المتشعب الحلقات في تدريب البشر على الابتكار والتأليف لكن ليس هناك شيء يمكنه عمله، طبقاً لما أرى بالنسبة إلى مستقبل الأدب.

لكن ربما كنت ديناصوراً منقرضاً، فما زلت أعيش بشكل جيد من بيع كتب لها طراز عتيق، ومن المحتمل أن أموت قبل أن يتغير هذا المشهد كلياً. وهكذا، أظل منفتحاً على تطورات محتملة لكل عناصر الرسم المنظور تلك بالنسبة إلى حالة الفن الراهنة. وإذا كان علي أن أراهن بكل ما معي من نقود فسأراهن أكثر على نظم حلقات أكثر من النص المتشعب الحلقات، وذلك رهان شخصي.

*** هل نظرت إلى أي من تلك الكتب المتشعبة الحلقات، مثل تلك الخاصة بجاي بولتر ومايكل جويس؟ لقد صنعا بعض تلك الأشياء، التي تعدّ أساسية في نظم حلقات التشعب، حيث يمكنك أن تدخل، وهناك الكثير من النص، الذي يمكنك أن تكتشفه بوسائط من قنوات اتصال مختلفة.**

- نعم، لقد قرأت عنها. ولم أحاول أن أقرأ تلك الكتب، لأنني أعرف أن مركزي يمكن أن يكون هو مركز «كرمونيني»، نفسه الذي كان أستاذاً كبيراً لمنطق ما وراء المعالجة الطبيعية، والتنجيم في زمن جاليليو. حين أحضروا إليه تلسكوب جاليليو ثنائي العينين، قال: «لا أريد أن أنظر في داخله، لأنه قد يشوش أفكاري». هكذا ظل كرمونيني المسكين رمزاً للمتعصب الأكاديمي، الذي رفض أن يجرّب تجارب جديدة. لذا، حين تقرأ كتاباً جاداً عن كرمونيني، تكتشف أولاً أنه كان عقلاً عظيماً في زمنه، على الرغم من أنه لم يكن مجدداً مثل جاليليو، ولم يكن صحيحاً أنه رفض أن ينظر في تلسكوب ثنائي العينين، لقد قال فقط «في حالة التقنية الحالية، هاتان عدستان بدائيتان جداً، لذلك لا أظن أنهما يمكن أن تساعداني على أن أرى شيئاً أكثر».

كان اعتراضاً على الحالة البدائية الراهنة للفن. لذا، فإن ما أصنعه الآن ربّما يكون بياناً حول أننا لانزال في حال بدائية بالنسبة إلى الفن. وأنا لم أكن مهتماً حتى الآن أن أجرب الواقع الاعتباري للإنترنت.

*** حسنًا، أظن أنني أميل إلى أن أوافقك هنا. لكن تظلّ تلك المشكلة الرئيسة، التي تُعدّ فريدة من نوعها: نوع الخبرة الذي ما زال محدودًا، وهل التقنية هي التي تحدده..؟**

- مع أن ذلك لا يهم، إلا انني أقول إننا يجب أن نمضي معها. ومن أجل ذلك أقول عن هذه النقطة: إن لدي انطباعاً أنه أكثر أهمية للأغراض التعليمية والتدريبية، أكثر من الإمداد بتجارب جمالية فعلية جديدة. ومع ذلك، فإن صديقي «ناني بالستريني»، أحد الشعراء والروائيين الطليعيين الجدد للستينيات، كتب قصيدة بالكمبيوتر مازجاً إيّاها.

* **أهي نوع من شكل فني ـ فن كمبيوتر؟**

ـ نعم، شيء مثل ميلياردي بويم أوف كويني. وهكذا فإن هذه التجارب موجودة فعلا. ولدي الطبعة الأولى من «تشينو شيرا لوسنزيز»، وهي لراهب من القرن السابع عشر، ابتكر نوعًا من عجلة لوليان مضاعفة بوسائل مساعدة تمكنه من أن يؤلف منها مليون قصيدة عن السيدة العذراء. إنها فكرة قديمة، مدينة فاضلة قديمة، قد تمدّ أحيانا بمساعدة حقيقية للتجديد. لذا، فليس هناك خطأ في ذلك، لكن من المحتمل أن التأثير النهائي يجب أن يكون موضوعًا يمكنني أن أتحرك فيه بعقلي وليس بأصابعي وإلاّ سأخسر شيئا ما.

* **تمامًا. وهذا ما يعيدنا ثانية إلى السؤال نفسه حول المواجهة، وكيف يتم التفاعل معه ؟ أعتقد أنها مشكلة مع حاسبات حالية لذلك تعرض نمطًا آخر من الخبرة. حسنَ الكتابة على سبيل المثال، أنت تكتب بقلم، وتحرك يدك بطريقة معينة، ولديك نوع معين من التغذية الاسترجاعية طوال الوقت في أثناء الكتابة. وعليك أن تفعل ذلك كله على الكمبيوتر بأنواع معينة من الأزرار.**

ـ لقد اكتشفت بوصفي كاتبًا أن هناك أسبابًا معينة تسوغ استمرار حاجتي إلى القلم، وأن هناك أشياء احتاج من أجلها إلى الكمبيوتر، وأشياء معينة أحتاج من أجلها إلى قلم ينساب بخفة. كما أن الأداة التي استخدمها تؤثر بشكل هائل في كتابتي.

* **تقصد طبيعة المادة التي تعمل بها؟**

ـ نعم، حين أفكر بذلك هذا نوع من نشاط

«يلتقط إيكو ورقة ملاحظاته، ويخربش عليها»

.. يكون مهمًا جدًا، وهو جديد تمامًا لدرجة أن الناس لم تفهم حقيقة تلك الفروق. أنا لا أدري ..

* **هل لدينا الآن ترتيبات لهذه الأقلام الأساسية الجديدة؟**

ـ لقد رأيت روايتي «بندول فوكو»، يتحدث «بلبو»، في أحد الملفات الأولى حول كم هو ملهم أن تبتكر. وهكذا، وُجدت أسطورية تقول: إن روايات قد كُتبت بواسطة الكمبيوتر، ولا يأخذون في حسبانهم أن رواية «اسم الوردة»، قد نشرت عام ١٩٨٠م، بينما لم يبدأ فعلاً ابتكار مفتاح التشغيل بشكل جيد أول مرّة إلاّ في عام ١٩٨٢ـ ١٩٨٣م، لذا، لم يكن ممكنًا أن تكون نتاج كتابة كمبيوتر.

* **إذن، فقد كُتبت على آلة كاتبة، أو ..؟**

ـ كتابة آلة أو كتابة يدوية. لكن بالنسبة إلى البندول، فمنذ أن تكلم البندول عن الكمبيوتر، جادل الصحفيون الأغبياء في ذلك، حسنًا، «كان كتابك متصلا بالكمبيوتر»، وما زالوا يؤمنون أنه بوضع بعض الكلمات هناك، و ز ز ز ا ا ب ب: ستعطيك الآلة الكتاب. وقد قال أحدهم «حسنًا، من الواضح أن هذه كتابة كمبيوتر، ما عدا فصلاً واحداً. ذلك الفصل الذي يلعب فيه الولد بالطبلة في الجبانة «الفصل الأخير»، فمن الواضح أنه كتابة يدوية. ولقد كان ذلك هو الفصل الوحيد الذي كتبته فوراً، دون تصحيحات على الكمبيوتر ! وكانت كل الفصول الأخرى بخط اليد !.

الشباب هم من يجب أن يقوموا بعمل التحليلات الجديدة؛ لأنهم أكثر مرونة، وأكثر استقلالاً عن خبرات الماضي

* **لكنها وُضعت معًا؟**

ـ وُضعت معًا بطرق مركبة. لماذا ؟ لأن ذلك الفصل الأخير كان في ذهني منذ البداية وشغلني مدة ثماني سنوات بشكل مكثف جداً لدرجة أنني وصلت إلى هذه النقطة ـ أتذكر جيداً جداً، أنها كانت في شقتي في بولونيا في تمام السادسة ـ كانت مثل عزف البيانو، مثل موسيقى الجاز: وضعتها كلها بيسر شديد، لأنه كان هناك إلهام شديد هكذا يكون الكلام.

مازال لدى الناس مثل تلك الرؤى الأسطورية حول الآلة. ومن ثم ظهر إنتاج مثل تلك الأساطير المغرضة. أولئك الذين يسألونك أكثر الأسئلة سذاجة حول الكمبيوتر، والذين يرونه فقط كما لو

أنه نوع من آلة غامضة تبتكر نيابة عنك، هم الصحفيون الذين يستخدمونه كل يوم. لذا، فهم يعرفون أن ذلك ليس صحيحاً. لكن حين يسألون أسئلة، يحاولون أن يجعلوها أكثر الأسئلة، التي يمكن أن يصنعها قارئ، سذاجة. وهكذا يوجد نوع من لعب، من إيمان خاطئ، حين يُدس شيء غير مرغوب فيه. وهكذا فإن الصحفيين الذين يعرفون جيداً أنه ليس الكمبيوتر الذي يبتكر له أو لها، هم الذين يتعاونون على ترويج أسطورة حضرية، دعاية حضرية حول الذكاء غير العادي للكمبيوتر.

*** كنت أفكر في الكتاب الذي نشرته حديثاً: ست نزهات في غابات خيالية، كان المقال الأخير الذي وضعته هناك أكثر من لطيف. خلاصة أخيرة أويت فيها إلى ذلك النموذج الذي يمثل نظاماً شمسياً «بلانيتاريوم».**

ـ آه، نعم، البلانيتاريوم ..

*** حيث خبرت لحظة ميلادك. نعم، إنها تعدّ الآن نوعاً من خبرة واقع اعتباري، أليس كذلك؟**

ـ نعم، بالتأكيد، وكانت حقيقة إعداداً كمبيوترياً؛ لأن الكمبيوتر فقط هو الذي يمكنه أن يصنع مجدداً مناخ ذلك المساء

*** لكنها كانت فعلا تجربة عويصة، فكرت فيها من أجل نفسك؟**

ـ نعم، من أجلي. وكانت فعلا مؤثرة، ربّما فيها قليل من النرجسية.

*** وربما بشكل خاص وذلك لكونها نوعاً تعبيرياً عن حب كذلك، لذلك الجزء من حياة البشر، الذي تتعادل فيه كل المتاعب.**

ـ نعم، كانت تعبيراً عن حب لذلك الجزء، لكن كان هناك أيضا الجوّ؛ لأن زوجتي التي كانت معي ـ ولم تكن تلك ليلتها ـ انفعلت وتأثرت بشكل مساوٍ بسحر التجربة. لذلك فبالنسبة إليَّ، قد يكون فيها نرجسية، لكن بالنسبة إليها كان فعلاً انفعالاً؛ كي تسترجع انطباعاً لشيء حدث منذ ستين عاماً.

*** نوعاً من كينونة الماضي؟**

من أعمال أمبرتو إيكو المترجمة إلى اللغة العربية

- **رواية «اسم الوردة» ترجمة أحمد الصمعي، دار التركي للنشر، تونس ١٩٩١م.**
- **رواية «جزيرة اليوم السابق» ترجمة أحمد الصمعي، دار أويا للطباعة والنشر، ليبيا ٢٠٠٠م.**
- **كتاب «القارئ في الحكاية»، ترجمة أنطون أبوزيد، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٦م.**
- **كتاب «المؤلف ومفسروه»، ترجمة ياسر شعبان، دار سندباد للنشر، القاهرة ٢٠٠١م.**

ـ نعم، وكانت فعلا جميلة.

*** هكذا، أصبحت حقيقة ممكنة، أن نقوم بمحاكاة تكون واقعية، بوسائل تقنية، لدرجة أن يكون لها تأثير عميق؟**

ـ بالتأكيد، يمكنك أن تتمتع ببتهوفن على أسطوانة مدمجة أفضل من ديسك ٧٨، وأحياناً أفضل من مسرح صغير مزوّد بأوركسترا «متوسط». وهكذا، فأنا بشكل مطلق .. حسناً، أنا لاعب على جهاز التسجيل، وحالياً فان إنتاج اليابانيين من أجهزة تسجيل بلاستيكية قد وصل إلى ذلك المستوى من التعقيد، لدرجة أنك ـ ثم تستطيع طبعاً أن يكون لديك قمة المسجلات من نوع أرفع مقاماً يكلف ٥٠٠٠دولار، صُنع بيد فنان ضليع ـ إذا وازنت بين المسجل البلاستيكي الجيد العادي والخشبي القديم، ستجد أن البلاستيكي يحافظ على نوعية الصوت ولا يعاني الحرارة والرطوبة، وربما قد لا يكون ذلك لعازف منفرد لكنه سيكون بالتأكيد لمجموعة أو أوركسترا يمكنها من أن تعمل معاً بشكل جيد دون اعتراضات.

---

* هذا حوار حول المعلومات أجراه باتريك كوبوك، وهو مأخوذ من موقع أمبرتو إيكو على الإنترنت.

* الأخ الكبير كناية عن شخص أو نظام مستبد يسيطر ويفرض وصايته على الآخرين، ولقد اشتهر هذا المصطلح عندما استخدمه الروائي الإنجليزي جورج اورويل في روايته المسماة ١٩٨٤ [الفيصل].

صدر عن مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات في تونس



من تأليف الأستاذ الدكتور عبدالجليل التميمي
ومن الملتقيات العلمية للمؤسسة:

- دراسات جديدة في التاريخ الموريسكي.
- مقاربة جديدة للعلاقات الإسلامية المسيحية في عصر النهضة الأوروبية.
- علم الموريسكولوجيا: التوجهات والمنهجية.

تطلب من المؤسسة على العنوان الآتي :
ص ب ٥٠ زغوان ١١١٥ الجمهورية التونسية.
الهاتف من تونس: ٧٢٦٧٦٧١٠
من خارج تونس: ٢١٦٧٢٦٧٦٧١٠..
البريد الإلكتروني: temimi. fond@gent. tn
الموقع على الإنترنت باللغة العربية:
www.temimi.org
الموقع باللغة الفرنسية:
www.refer.orgl/fondation temimi





الملف الثقافي

الجنادرية تكرّم المبارك

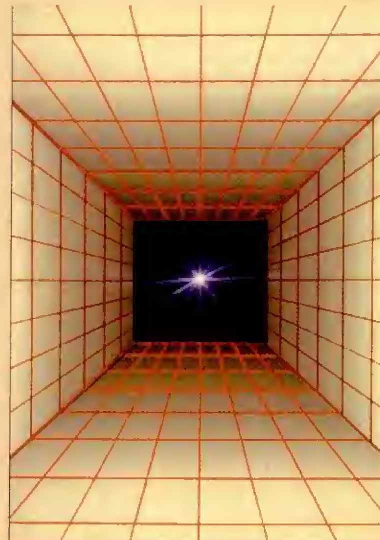
الإعلام السعودي في المنتدى الإعلامي الأول

مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية

ندوة مستقبل الصحافة المكتوبة

هاري بوتر تغزو العالم

رحيل آن ماري شيمل، ورفيق شرف، وإيبش، وراجي



خاتمة المطاف

العواصم الثقافية: واقع اليوم ... خيار المستقبل

الجنادرية
تكرم أحمد المبارك

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، رعى صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني في الخامس من ذي القعدة الماضي انطلاقة المهرجان الوطني الثامن عشر للتراث والثقافة الذي ينظمه الحرس الوطني سنوياً في الجنادرية.

وجاءت فعاليات مهرجان هذا العام، ومحورها الرئيس «هذا هو الإسلام»، موجهة إلى العالم غربه وشرقه، لشرح الإسلام للآخرين وتوضيح صورته الحقيقية، رداً ودفعاً للأباطيل التي يبثها الإعلام الغربي المعادي للإسلام وأهله، وقد تم خلال المهرجان استعراض أبرز القضايا الثقافية العربية والإسلامية والعالمية.

وبدأت فعاليات المهرجان، الذي حضره الملك حمد بن عيسى آل خليفة ملك البحرين، وعدد من الأمراء والشيوخ والشخصيات الخليجية والعربية والمفكرين والمثقفين العرب والأجانب - بانطلاق سباق الهجن السنوي الكبير التاسع والعشرين، ثم أعقب ذلك الحفل الخطابي والفني الذي شهد تكريم عدد من رجال الأعمال المتميزين وهم : صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل آل سعود، والأستاذ محمد بن صالح بن سلطان، والأستاذ سعد بن محمد المعجل.

وفي الجانب الفكري والثقافي شهدت أيام المهرجان عدداً من المحاضرات عن الإسلام، والموقف من الجهاد، والمرأة، والإرهاب، إضافة إلى دور هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بناء المجتمع، وقد قدمت المحاضرات بواسطة عدد من الأسماء المعروفة منهم : عطا الله مهاجراني، وبول فندلي، وجون إسبزيتو، ومراد هوفمان، ومحمد تسخيري، وغيرهم، كما شهدت أيام المهرجان عدداً من الليالي الشعرية شارك فيها عدد من الشعراء السعوديين والعرب منهم: غازي


الأمير عبدالله بن عبدالعزيز وأحمد المبارك

القصيبي، وقاسم حداد، وأحمد سويلم، وعلي الصقلي، ود.عبدالرحمن العشماوي وغيرهم.

وكرم المهرجان الدبلوماسي والأديب السعودي أحمد بن علي المبارك الذي عرف بسعة الاطلاع، والتأثير في مسيرة الحركة الأدبية على مستوى المملكة، وهو الشخصية السابعة التي يكرمها المهرجان.

ولد الأديب أحمد بن علي آل مبارك في الهفوف بالأحساء (شرق السعودية) سنة ١٣٣٧هـ/ ١٩١٦م، ونشأ في بيئة علمية فيها عدد من العلماء والأدباء والشعراء هيأت له كل وسائل المعرفة التي بدأت بالقرآن الكريم الذي ختمه في عمر مبكر، ثم سافر إلى بغداد وعمره لم يتجاوز الخامسة عشرة، ودرس في دار العلوم العربية والدينية، لكنه لم يستقر نفسياً، فعاد إلى مسقط رأسه، ثم سافر إلى مصر، والتحق بالأزهر الشريف، ودرس في كلية اللغة العربية، وحصل منها على ليسانس في اللغة العربية وآدابها، ثم التحق بجامعة عين شمس، وحصل منها على دبلوم في التربية وعلم النفس، ثم عاد بعدها إلى المملكة مرة أخرى سنة ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

وبعد عودته إلى المملكة التحق في عام ١٩٥٢م بمديرية المعارف العامة في وظيفة مفتش عام للمدارس الابتدائية والثانوية، ثم عين بعد عام من هذا التاريخ معتمداً للمعارف في منطقة جدة ورابغ.

وفي عام ١٩٥٤م، نقل إلى وزارة الخارجية، وعُيِّن مديراً للإدارة الثقافية والصحية، ثم انتقل إلى العمل في سفارة المملكة لدى الأردن في عام ١٩٥٥م، ثم في سفارة المملكة لدى الكويت، ثم أعيد للعمل في وزارة الخارجية برتبة مستشار ومديراً لإدارة الصحافة والنشر، وواصل العمل في وزارة الخارجية ليعمل ممثلاً للمملكة في مدينة البصرة العراقية عام ١٩٦٢م، وقائماً بالأعمال في أكرا عاصمة غانا عام ١٩٦٥م،

ثم سفيراً في دولة قطر بعد أن نالت استقلالها عام ١٩٧٠م، ثم عاد للعمل بالوزارة، وظل يعمل فيها حتى نهاية خدماته عام ١٩٩٤م.

وللمبارك عدد من المؤلفات والإصدارات منها: «رسائل في المودة والعتاب والاعتذار»، و«علماء الأحساء ومكانتهم العلمية والأدبية»، و«عبقرية الملك الراحل عبدالعزيز»، و«سوانح الفكر .. مقالات في الفكر والحياة والمجتمع»، و«في بداية الطريق»، وكتاب عن رحلته في طلب العلم، وكتاب آخر عن حياته العلمية سماه «في منتصف الطريق»، و«تأملات في الحياة والناس»، وهي مجموعة خواطر نُشر بعضها في الصحف والمجلات، و«الدولة العثمانية: معطياتها وأسباب سقوطها»، بالإضافة إلى ديوان شعر.

وقد صدر مؤخراً كتاب عن حياة الشيخ أحمد المبارك بعنوان: «الشيخ أحمد بن علي آل الشيخ مبارك .. رائد الأدب الأحسائي الحديث - حياته وأدبه»، تناول فيه المؤلفان خالد بن قاسم الجريان، وعبدالله بن عيسى الذرمان «اسمه وولادته، وتعليمه، وصفته الخلقية، ووظائفه، وحياته العلمية، ومؤلفاته، ومكتبته، ونشاطه الثقافي».

الأمير نايف يرعى المنتدى الإعلامي الأول


الأمير نايف بن عبد العزيز

تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية رئيس المجلس الأعلى للإعلام، تقيم الجمعية السعودية لعلوم الاتصال المنتدى الإعلامي السنوي الأول تحت عنوان «الإعلام السعودي .. سمات الواقع واتجاهات المستقبل»، في المحرم ١٤٢٤هـ - مارس/آذار ٢٠٠٣م ولمدة ثلاثة أيام، في مدينة الرياض في جامعة الملك سعود.

ويهدف المنتدى إلى دراسة واقع الإعلام في المملكة العربية السعودية، واستشراف أهم اتجاهاته المستقبلية من وجهتي نظر الباحثين والمهنيين، في ظل التطورات الإعلامية الراهنة، ويجيء ذلك في محورين: يتناول المحور الأول «واقع الإعلام السعودي»، ويشتمل على الموضوعات الآتية:

- السياسة الإعلامية السعودية بين الواقع والتطبيق.
- الإعلام السعودي بين الحرية والمسؤولية.
- التأهيل والتدريب الإعلامي في المملكة العربية السعودية، وعلاقته بمتطلبات سوق العمل.
- الممارسة الإعلامية في مجال الصحافة والنشر المطبوع والإلكتروني في المملكة العربية السعودية.
- الممارسة الإعلامية في مجال الإعلام المسموع والمرئي في المملكة العربية السعودية.
- الممارسة الإعلامية في مجال العلاقات العامة والإعلان في المملكة العربية السعودية.
- الممارسة الإعلامية في الإنتاج الإعلامي في المملكة العربية السعودية.
- ممارسات الإعلام السعودي الخارجي.
- استجابة الإعلام السعودي للتغيرات في مجال العمل الإعلامي.

ويتناول المحور الثاني «اتجاهات المستقبل في العمل الإعلامي السعودي»، ويشتمل على الموضوعات الآتية:

- التطورات المستقبلية في مجال التأهيل الإعلامي في المملكة العربية السعودية.
- التطورات المستقبلية في مجال:
  أ/الصحافة والنشر المطبوع والإلكتروني.
  ب/الإعلام المسموع والمرئي.
  ج/العلاقات العامة والإعلان.
  د/الإنتاج الإعلامي.

وتجيء الجلسات العامة عن: «الإعلام السعودي: رؤية عربية»، و«الإعلام السعودي: رؤية عالمية».

وتقبل الأبحاث وأوراق العمل وفقًا للشروط الآتية:

- أن يكون موضوع البحث أو ورقة العمل ذات صلة بمحاور المنتدى وموضوعاته.
- أن ينتهج الكاتب الدقة والأسلوب الموضوعي في الكتابة والتوثيق.
- أن يكون التوثيق داخل المتن باتباع أسلوب جمعية علم النفس الأمريكي(APA)،مع وضع قائمة المراجع والمصادر

التي اعتمد عليها الكاتب في آخر البحث/الورقة.

- أن يكون البحث/الورقة مطبوعاً على الحاسب الآلي ومرفقاً بالقرص تجنباً للأخطاء المطبعية.

- أن يرفق مع البحث/الورقة تعريف موجز عن الكاتب وعمله الحالي.

- ألاّيزيد حجم البحث/الورقة على ٢٠ صفحة شاملة العنوان وقائمة المصادر.

- إرفاق ملخص للبحث/الورقة لا يزيد على (٢٠٠) كلمة.

- أن يستخدم الكاتب الخط العربي التقليدي Traditional Arabic بنط ١٦.

توجه المراسلات لعضو مجلس الإدارة رئيس اللجنة العلمية للمنتدى: د.حمزة بن أحمد بيت المال، الجمعية السعودية لعلوم الاتصال

ص.ب: ٢٤٥٦ الرياض: ١١٤٥١ جامعة الملك سعود

هاتف: ٤٦٧٥٥١١ - ٤٦٧٥٣٧٨

ناسوخ: ٤٦٧٩٧١٧

مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية

أوضحت الرئاسة العامة لرعاية الشباب السعودية أن قرار وزراء الثقافة بالدول الإسلامية خلال اجتماعهم الذي عقد في بداية العام الهجري الحالي نصّ على أن مكة المكرمة ستكون عاصمة الثقافة الإسلامية، وتقام البرامج الخاصة بهذه المناسبة الاحتفالية عام ١٤٢٥هـ الموافق ٢٠٠٤م، وليس عام ٢٠٠٣م، حسب ما جاء في قرارات الوزراء، وإعلان المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة. وقالت الرئاسة: إن البرامج الاحتفالية في هذه المناسبة بمكة المكرمة ستكون مدة عام كامل، وستكون هي البداية، ثم تليها بعد ذلك في الأعوام التالية عواصم إسلامية، بحيث يتم الاحتفال بثلاث عواصم كل عام، وذلك حسب القرار نفسه. وأشارت إلى أن مسؤولية تنفيذ هذه البرامج منوطة بالرئاسة العامة لرعاية الشباب، وإمارة منطقة مكة المكرمة، وبمشاركة عدد من الوزارات والأجهزة الحكومية ذات العلاقة، بالتنسيق مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.


الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز

وقد تقرر أن يكون صاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز أمير منطقة مكة المكرمة رئيساً للجنة المنظمة العليا، وسمو الأمير سلطان بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب نائباً له، وسمو الأمير نواف بن فيصل بن فهد بن عبدالعزيز عضواً في هذه اللجنة، والدكتور صالح أحمد بن ناصر وكيل الرئيس العام لشؤون الشباب أميناً عاماً.

مستقبل الصحافة المكتوبة


تركي السديري

تحت رعاية صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة أُقيمت في (١٦ ذي القعدة ١٤٢٣هـ) الموافق ١٩ يناير/كانون الثاني الماضي في العاصمة الإماراتية «أبوظبي» ندوة عن «مستقبل الصحافة المكتوبة في عصر الوسائط المتعددة»، حيث قام سمو الشيخ عبدالله بن زايد آل نهيان وزير الإعلام والثقافة رئيس مجلس إدارة مؤسسة الإمارات للإعلام بافتتاح هذه الندوة التي تأتي بمناسبة صدور العدد (١٠٠٠٠) من صحيفة الاتحاد الإماراتية.

وقد ناقشت الندوة عدداً من المحاور التي تتعلق بمستقبل الصحافة المكتوبة، والتحديات التقنية التي تواجهها، وكيفية الاستفادة من هذه التقنيات في رسم مسيرة العمل الصحفي، والنهوض به في القرن الحادي والعشرين.

وعقدت الجلسة العلمية حول «تجربة الصحافة الخليجية: السمات الخاصة وعوامل التميز»، وترأسها الأستاذ تركي بن عبدالله السديري رئيس تحرير صحيفة «الرياض» السعودية، فأكد أن دول الخليج شهدت نمواً في كثير من المجالات في وقت متأخر، ولكنها استطاعت أن تحقق قفزات في شتى المجالات،

رافقت ذلك المستوى نفسه للتطور، مشيراً إلى أن الصحافة الخليجية استطاعت أن تمثل مجتمعاتها خير تمثيل، ولم تدخل في حالات استعداء لمناطق النزاعات الأخرى.

ورأست الدكتورة حصة لوتاه رئيسة قسم الاتصال الجماهيري بجامعة الإمارات جلسة «آليات بقاء الصحافة الورقية في مواجهة الإلكترونية»، التي قدم خلالها الكاتب الإعلامي خالد الحروب ورقة عمل حاول من خلالها الإجابة عن السؤالين الأساسيين اللذين تطرحهما الندوة، وهي: هل ستندثر الصحافة الورقية في عصر الوسائط المتعددة؟ وهل سيتحول القارئ إلى صحافة الإنترنت لتصبح المصدر الوحيد للخبر والمعلومة في المستقبل؟ وأكد الحروب أن الصحافة الورقية لن تندثر في المستقبل، وستحافظ على ارتباط القرّاء بها، ولكن هناك شروطاً ومتطلبات يجب أن تتوافر فيها لكي تضمن البقاء في مواجهة الصحافة الإلكترونية، وأضاف أن رفع سقف الحرية يمثل الضمانة الأكيدة للحفاظ على ارتباط القارئ بالصحيفة في المستقبل.

ويرى الدكتور عباس مصطفى صادق الباحث في قناة أبوظبي الفضائية في ورقته حول عناصر تميز الصحافة الإلكترونية من الورقية أن «إمبراطورية الورق» قد شارفت على الانهيار، فالصحافة المكتوبة فاجأتها ثورة الفضائيات في أواخر الثمانينيات، وتحول الخبر، (مما حدث إلى ما يحدث في اللحظة نفسها) من خلال البث المباشر من موقع الحدث، وقال المحاضر إن مزايا الصحافة الإلكترونية تتزايد مع تقدم التقنيات الإعلامية والوسائط المتعددة، وهو ما يبشر بانتصار الصحافة الإلكترونية واختفاء المكتوبة أو اندثارها، وتحول عدد منها إلى مواكبة التطور الجديد من خلال تدشين مواقع على الإنترنت.

وفي جلسة أخرى بعنوان «وظائف وأدوار الصحافة العربية في المنظور الغربي» ترأسها الدكتور جمال سند السويدي مدير مركز الإمارات للدراسات، ناقش المشاركون كيفية تعريف الغرب بالقضايا العربية، والدور المطلوب من الأجهزة الإعلامية.

وقد حضر هذه الندوة عدد من الشخصيات الإعلامية من مختلف أنحاء العالم على رأسهم صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود رئيس مجلس إدارة المجموعة السعودية للأبحاث والتسويق، وعلي فخرو رئيس مجلس أمناء مركز البحرين للدراسات والبحوث، والسفير الأمريكي السابق وليام رو، والأستاذ جميل مروة، وآخرون.

علوم المكتبات والإبداع العلمي في مركز الملك فيصل

في إطار نشاطه الثقافي لهذا العام، أقام مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية عدداً من المحاضرات العلمية والأدبية والتاريخية، فقدم الدكتور هشام بن عبدالله العباس أستاذ المكتبات في جامعة الملك عبدالعزيز محاضرة بعنوان «مخرجات التعليم في مجال المكتبات والمعلومات وانعكاسها على سوق العمل السعودي»، وقدم للمحاضرة وأدارها الدكتور راشد الزهراني.

وذكر المحاضر أن التطور المستمر في التعليم ضرورة تحكمها التغيرات المستمرة في المعرفة العلمية والتقنية التي لها علاقة وطيدة بتخصص المكتبات والمعلومات، ومادام المجتمع يتغير فلابد لمخرجات أقسام المكتبات والمعلومات أن تواكب هذا التغير من خلال تطور المعرفة التخصصية في أثناء التعليم الجامعي، حتى تكون مخرجاتها قادرة على مواجهة المشكلات المعاصرة، ومتطلبات سوق العمل، ومن ثم الحصول على فرص وظيفية تتلاءم مع مؤهلاتهم العلمية.


هشام العباس

وعن سوق العمل السعودي في مجال المكتبات والمعلومات تناول المحاضر الجهود التي تبذلها المملكة في مجال إعداد القوى البشرية المدربة والمؤهلة، وتحدث عن قطاع المعلومات في المملكة العربية السعودية..

ثم تناول العوامل أو الصعوبات التي تؤدي إلى عدم التوافق (المواءمة) بين مخرجات التعليم وسوق العمل، وعدّد العوامل التي أدت إلى انتشار البطالة بين المتخرجين، ثم ذكر الإجراءات التي يجب اتباعها لمواجهة هذه التحديات والصعوبات التي يواجهها سوق العمل في المملكة. وأورد المحاضر في آخر المحاضرة جدولاً بأبرز الكفاءات التي أكدتها منظمة اليونسكو والتي من خلالها يمكن قياس كفاءة خريجي التعليم العالي، ومدى ملاءمتهم لسوق العمل في سوق العولمة، وما يصحبه من تغيرات.

وختمت المحاضرة بعدد من الأسئلة والمداخلات.

وكانت المحاضرة الثانية بعنوان «الإبداع العلمي للمسلمين في القرون المتأخرة» ألقاها المهندس لطف الله قاري، المهندس في الهيئة الملكية للجبيل، والباحث في العلوم عند المسلمين، وقدم للمحاضرة وأدارها الدكتور عبدالله إبراهيم العمير.

وسأل المحاضر في بداية المحاضرة: هل توقف العطاء العلمي عند العرب والمسلمين في القرون المتأخرة (أي القرون ٧ ـ ١٢هـ/١٣ ـ ١٨م)؟ أم هل استمر العطاء؟ وبأي درجة كان الاستمرار؟، وأجاب المحاضر أن الأبحاث الحديثة أظهرت أن العطاء استمر في أكثر من مجال، وأن التطور في بعض العلوم ازداد على ذي قبل، عكس الفكرة السائدة التي تصور هذه الفترة على أنها فترة خمول وانحطاط علمي.


لطف الله قاري

ثم تناول المهندس قاري الإنتاج العلمي للعرب والمسلمين في مجالات الفلك الرياضي، أو النماذج الرياضية حول حركة الكواكب والأجرام السماوية، والآلات الفلكية والميكانيكية، والعمارة، وعلوم البحار والملاحة، والاقتباس من الغرب. وأوضح أن البحث أظهر أن العرب اعتمدوا في دراساتهم في مجال صياغة المعادلات الرياضية لحركة الأجرام السماوية أول مرة على كتابات بطليموس، ولكن منذ القرن الثالث الهجري (٩م) بدأت تظهر كتب عن الشكوك في نظريات بطليموس، واستمرت هذه الشكوك مدة قرنين، ثم بدأت مرحلة طرح بدائل لهذه النظرية، فاعتمد فلاسفة الأندلس في القرن السادس الهجري (١٢م) على نظرية أرسطو في كتابه «الكون والفساد» لنقد نظرية بطليموس، أي أن نقدهم كان فلسفياً، وليس رياضياً، ثم تناول منهج علماء الفلك المشارقة الذين يطلق عليهم الآن «فلكيو مدرسة مراغة» الذين اعتمدوا المنهج التجريبي والرياضي، ولم يتطرقوا إلى آراء أرسطو.

وخلص المحاضر من كل هذا إلى أن الإنتاج العلمي لم يتوقف عند العرب والمسلمين، وإنما كان يتبع الظروف التي تساعد على ازدهاره، مثل الاستقرار السياسي، والرخاء الاقتصادي، وتشجيع الدولة

اكتشافات أثرية جديدة في مصر

عثر عامل في وزارة الزراعة المصرية مصادفة على بقايا أثرية تعود إلى عصر الفرعون رمسيس الثاني في أثناء قيامه بتطهير قناة مصرف زراعي بالقرب من مدينة بني سويف على بعد نحو ١٧٠ كيلو متراً جنوب القاهرة.

وصرح المدير العام لقطاع الآثار الفرعونية صبري عبدالعزيز أن «بعثة أثرية مصرية توجهت إلى قرية قاي بالقرب من مدينة أهناسيا في محافظة بني سويف حيث عثرت على لوحة نقش بارز للملك رمسيس الثاني «١٢٩٠-١٢٢٠قبل الميلاد».

وأضاف: أن اللوحة «تصور الملك محاطًا بأجنحة الإله الصقر حورس، إضافة إلى نقش آخر بارز على جانبي اللوحة للملك على هيئة أبي الهول»، ويبلغ عرض اللوحة المكتشفة ٩٥ سم، وطولها ٢٢٦ سم.

وأشار عبدالعزيز إلى أن: «البعثة عثرت أيضًا على لوحتين مكتوبتين بالهيروغليفية في المنطقة نفسها تعودان إلى الفترة الزمنية نفسها»، وقال :«إن «هناك بقايا تشير إليها الحفريات المستمرة قد تكشف عن معبد جنائزي يعود إلى العصر نفسه».

وكانت هذه المنطقة تحتضن عاصمة الدولة الوسطى في عصر الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة. ومن أبرز ملوكهما سونسرت الأول والثاني، وأمنمحات الأول (٢٢٠٠ ـ ٢٠٠٠ قبل الميلاد)، وفيها الكثير من المقابر والشواهد الأثرية الفرعونية.

وفاة رفيق شرف

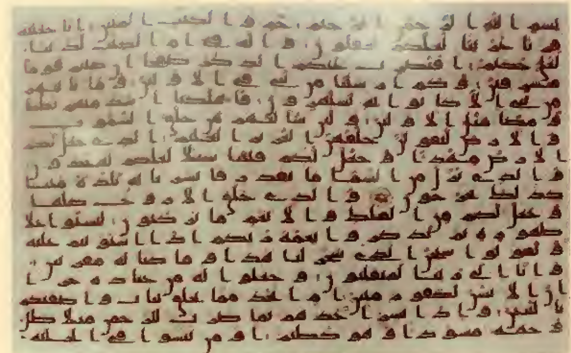

رفيق شرف

توفي في بيروت في الرابع والعشرين من يناير/كانون الثاني الماضي الرسام اللبناني رفيق شرف عن عمر يناهز ٧١ عاماً بعد معاناة طويلة مع مرض السرطان. ويعدّ الرسام الراحل من الرعيل الأول المؤسس للمرحلة الثانية من الحركة التشكيلية اللبنانية، أو ما عرف «بمدرسة الحداثة» التي كانت سائدة في الستينيات من القرن الماضي.

ولد رفيق شرف في مدينة بعلبك اللبنانية في عام ١٩٣٢م، وتخرج في الأكاديمية اللبنانية، وواصل دراسته العليا في فن الرسم في بعض الدول الغربية، مثل أبناء جيله الذين عاصروه، وعمل مدرساً للرسم تخرجت على يديه أجيال كثيرة من الرسامين.

و صنع الفنان الراحل خلال تجربته الفنية التي قاربت خمسين عاماً مراحل سميت بحسب موضوعاتها، مثل مرحلة «السهول» التي استوحاها من سهول البقاع وبعلبك مسقط رأسه، ثم مرحلة «الأيقونة» التي دمج فيها بين الحروفية العربية والفن البيزنطي، ومرحلة «عنتر وعبلة»، ومرحلة التجريدية الغنائية التي ارتكزت على منجزات المختبرات الأوربية الحديثة، كما أقام عدداً من المعارض في لبنان وبعض العواصم العربية، واقتنت بعض المتاحف الحديثة لوحاته للعرض.

إنشاء مركز للمخطوطات الإسلامية



مخطوطة إسلامية

أوصت الندوة التي عقدتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو- في القاهرة تحت عنوان «قضايا المخطوطات: تراث العرب والمسلمين في العلاقات الخارجية» بإنشاء مركز للمخطوطات الإسلامية على غرار معهد المخطوطات العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، يتكامل معه في العمل، ويركز في حصر التراث الإسلامي وحفظه وتصنيفه، مستفيداً في ذلك من التقنيات العلمية الحديثة.

ودعت الندوة إلى وضع التراث الإسلامي في إطار العلوم المتقدمة من حيث العناية به وتحليله ودراسته واستخلاص النتائج منه، وفق منهج ينطلق من عمق الفهم والاستيعاب الكافي لجمل التصنيفات التي قدمها العلماء المسلمون، والإسهامات التي أثروا بها العلوم الإنسانية والطبيعية، كما أكدت ضرورة الاستفادة من الوثائق الإسلامية إلى جانب المخطوطات العلمية، لما لها من أهمية في التأريخ لمختلف نواحي حياة المسلمين، وعلى الأخص وثائق العلاقات الخارجية لدول العالم الإسلامي.

كذلك أوصت الندوة بدراسة مصادر التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، وكتب الرحلات والفقه والنوازل، والفتاوى، وذلك لمعرفة الوقائع والدوافع التي كانت وراء حركة الاجتهاد في الحضارة الإسلامية، واستلهام مناهج البحث وطرائق التفكير والاستنباط المتبعة في استخلاص تلك الفتاوى والاجتهادات، والاستفادة منها في إحياء حركة الاجتهاد في قضايا الواقع المعاصر.

وقد تركزت موضوعات الندوة التي عقدت بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - أليكسو - حول محورين رئيسين هما: الرؤية والحضور والمشروع والإشكاليات، والصورة والحضور واشتباك المصادر.

وقد تضمن المحوران موضوعات تتناول أربع قضايا تفرعت عنها عناوين البحوث، وتشمل رؤية الإسلام للعلاقة مع الآخر وأسسها، وكيف تعاملت البلدان الإسلامية مع الآخر من خلال أمثلة ونماذج تاريخية موثقة، وإشكاليات التعرف إلى تراث العلاقات الخارجية والتعريف به، وما يتصل بذلك من توصيف و توظيف، وصورة تراث العرب والمسلمين في العلاقات الخارجية، وحضوره في الدراسات العربية المعاصرة، وفي عقل الآخر.

من جهة أخرى أقامت المنظمة ندوة أخرى في مسقط حول تطوير صناعة وسائل الاتصال الإلكترونية في العالم الإسلامي، وطالبت بإنشاء مركز إسلامي للإنتاج السمعي البصري، والاستفادة من الإمكانات المادية والبشرية والفنية المتوافرة لدى بعض البلدان الإسلامية لتطوير وسائل هذه الصناعة.

كما أوصت الندوة بتأسيس جائزة سنوية لأحسن المواقع الإسلامية في الشبكة الدولية للمعلومات - الإنترنت - التي تساهم في التعريف بالإسلام وحضارته.

مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية

أطلق مركز الدراسات النفسية اللبناني أول شبكة نفسية عربية على الإنترنت، وتتضمن الشبكة مجموعة من المواقع النفسية المهمة التي تستجيب لحاجات الجمهور العربي إلى المعارف النفسية على مختلف المستويات وفي شتى التطبيقات، ومن هذه المواقع:

- مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية:
www.filnafs.com

ويتضمن هذا الموقع عروضاً مختصرة، تليها عروض موسعة لمنشورات المركز من الكتب والبحوث النفسية. كما يحوي قائمة بالإصدارات النفسية العربية، وعروضاً مختصرة لبعض هذه الإصدارات، ويتضمن الموقع أيضاً باب «مشاكل وحلول»، وهو مزدوج التوجه، إذ يتوجه للمتصفح العادي بعرضه للمشكلات النفسية الشائعة وسبل مقاربة حلولها. كما يتوجه للمتخصص عبر مساعدته على تكوين خلفية تساعد على تحديد خطة مواجهة هذه المشكلات المترددة في العيادة العربية وذلك عبر رسم خطوط الموقف الإشكالي المتمثل بالتعاطف مع صاحب المشكلة دون موافقته كلياً على أسلوب رؤيته وطرحه للمشكلة.

ويجد الباحثون وطلاب الدراسات العليا في هذا الموقع الخدمات الآتية:

وصلات مع أهم الجمعيات، والمجلات، والمستشفيات العربية والأجنبية، وذلك بعدة لغات، وبمستويات مختلفة باختلاف درجة التخصص ومستوى البحث موضوع الإعداد، وقائمة بالكتب والمراجع العربية والأجنبية، وقاموس نفسي باللغات الثلاث: عربي، وفرنسي، وإنجليزي، وقاموس مترجم للمصطلحات النفسية فرنسي، إنجليزي، ومعجم مفصّل لأهم المصطلحات المستخدمة في مجال العلوم النفسية، وقائمة من البحوث باللغات الثلاث الموزعة على أبواب التخصص، وقائمة من الكتب المجانية المتوافرة مجاناً على الموقع، ووصلات مع المواقع الشخصية لأعضاء المركز ومستشاريه. بما يتيح للمتصفح فرصة طلب الاستشارات والتوجيهات منهم، ومنتدى الاختصاصيين الذي يتيح مجال تبادل المعلومات والأفكار، ويشكل نوعاً من أنواع التعليم المستمر للضيوف المراقبين، وحوار الاختصاصيين، فيطرح الموقع مجموعة قضايا حيوية للمناقشة، وينشر آراء المتخصصين فيها، وتعليقاتهم عليها.

الجاسر على الإنترنت


حمد الجاسر

أعلن الأمين العام المساعد لمركز حمد الجاسر الثقافي أن المركز أطلق موقعاً للجاسر على الإنترنت، وذلك توفيراً لوقت وجهد الدارسين والمتخصصين في دراسة الجزيرة العربية.

والمعروف أن علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر قد قام بجهد ضخم باحثاً وجغرافياً ومحققاً وبلدانياً ومؤرخاً في تاريخ الجزيرة العربية، مما يعني اهتمام الباحثين ودارسي الجزيرة العربية بجغرافيتها وقبائلها وتاريخها بكتابات الشيخ الجاسر، فكان لا بد من موقع على الشبكة العالمية يلجأ إليه هؤلاء الدارسون توفيراً لجهدهم ووقتهم، وهو ماتم بالفعل تحت عنوان:

www.hamadaljasser.com

رحيل يوسف إيبش


يوسف إيبش

غيّب الموت خلال الأسابيع الماضية الدكتور يوسف حسين إيبش، أستاذ الفكر السياسي والدراسات الإسلامية، وصاحب أكثر من ٣٠ كتاباً وأكثر من ١٠٠ دراسة في مختلف جوانب الدراسات الإسلامية.

ولد إيبش في مدينة بيروت من أسرة كردية عريقة، ونشأ في دمشق وبيروت، إذ تلقى علومه الجامعية في الجامعة الأمريكية في بيروت، ودرّس فيها معيداً بين عامي ١٩٥٣و ١٩٥٦م، ثم انتقل إلى جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية حيث حصل

على درجة دكتوراه الفلسفة في العلوم السياسية والدراسات الإسلامية عام ١٩٦٠م.

ثم عمل أستاذاً في الجامعة الأمريكية في بيروت بين عامي ١٩٦٠ و ١٩٦٤م، وأستاذ كرسي هنري لوس للدراسات الدينية والأخلاق في كلية أمهرست في الولايات المتحدة الأمريكية بين عامي ١٩٨٢ و ١٩٨٥م، وأستاذاً للدراسات الإسلامية في الجامعة الأمريكية بواشنطن بين عامي ١٩٨٥ و١٩٨٦م، وأستاذاً زائراً في جامعة كمبريدج ببريطانيا بين عامي ١٩٩٠ و١٩٩١م.

ويوسف إيبش هو مؤسس ورئيس المركز الثقافي الإسلامي في بيروت، وعضو مجلس أمناء مؤسسة فون كرامر في بازل بسويسرا، وعضو مجلس الخبراء والمدير التنفيذي لمؤسسة الفرقان في لندن.

وداعًا آن ماري شيمل


آن ماري شيمل

توفيت في يوم الثلاثاء (٢٨ يناير/كانون الثاني الماضي) في بون عميدة الاستشراق الألمانية آن ماري شيمل عن عمر يناهز ٨٠ عاماً، وهي من أهم المستشرقين الألمان خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وأكثرهم إنتاجاً وحضوراً من حيث الدراسات التي أعدتها خلال مسيرتها الطويلة في البحث والتأليف حول جوانب مختلفة في الثقافة الإسلامية، وبخاصة التصوف والمتصوفين.

وقد نالت عدداً من الجوائز منها: جائزة السلام الألمانية التي تمنح سنوياً لكل باحث مشهور على هامش معرض الكتاب الدولي بفرانكفورت، وحصلت على ثلاث شهادات دكتوراه فخرية من الجامعات الباكستانية، وعملت أستاذة زائرة في عدة جامعات عالمية آخرها جامعة هارفرد عام ١٩٦٧م، وترأست المعهد العالمي لدراسة تاريخ الأديان، وكان لها دور بارز في التقريب بين الثقافتين الألمانية والعربية، إذ أصدرت مجلة «فكر وفن» التي تصدر بالعربية منذ عام ١٩٦٣م.

تعلمت شيمل اللغة العربية في السنة الخامسة عشرة، وتخصصت في الأدب العربي والعلوم الإسلامية، وحصلت على الدكتوراه عام ١٩٤١م من برلين، ثم درست عام ١٩٥٤م تاريخ الأديان في الكلية الإسلامية بجامعة أنقرة، ولها ترجمات كثيرة عن ست لغات شرقية إضافة إلى أعمال مختلفة باللغات العربية والتركية والإنجليزية، وتجيد شيمل اثنتي عشرة لغة وألفت نحو ٨٢ كتاباً عن الحضارة العربية الإسلامية أشهرها «مختارات من مقدمة ابن خلدون» بالألمانية ١٩٥١م، و«كتاب محمد رسول الله» بالألمانية ١٩٨١م، و«فن الخط الإسلامي»، وكتاب «الآداب الإسلامية في الهند»، كتاب بالإنجليزية عنوانه: «الأبعاد الروحية في الإسلام» عام ١٩٧٥م، إضافة إلى كتاب عن الحلاج، وعن الإسلام في شبه القارة الهندية. وقد حاضرت المستشرقة الراحلة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية عن الأدب العربي في الهند في شهر نوفمبر ٢٠٠١م.

آثار غارقة

وضع المجلس الأعلى المصري للآثار ضوابط جديدة تنظم عمل البعثات العلمية التي تعمل في مجال التنقيب عن الآثار المصرية الغارقة بشواطئ البحرين: الأبيض المتوسط والأحمر، خاصة في سواحل مدينة الإسكندرية التي تحوز على كمية كبيرة من هذه الآثار الغارقة، ويعود السبب في ذلك إلى غرق سفن الأسطول الفرنسي على يد الإنجليز إبان الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٩م، وكان الأسطول الغارق يحمل كميات هائلة من القطع الأثرية المصرية التي نهبها الفرنسيون من مصر.

وتتمثل الضوابط التي وضعها المجلس: تحديد موقع واحد لعمل كل بعثة، وتسجيل الآثار الغارقة وترميمها فور انتشالها من الماء، وتحديد ساعات الغطس لعمال الآثار بنحو ثماني ساعات فقط يومياً، بالإضافة إلى فرض رسوم خاصة لتصوير هذه الآثار، وتوقيع الكشف الطبي على علماء الآثار المصريين كل ستة أشهر لضمان سلامتهم عند العمل تحت الماء.

ومن ناحية أخرى، أوضح المدير العام للآثار في الوجه البحري محمد عبدالمقصود أن المجلس الأعلى للآثار المصرية والمعهد الأوربي للآثار الغارقة بالإسكندرية

يدرسان إقامة متحف أثري تحت مياه الميناء، وأشار عبدالمقصود إلى وجود أكثر من أربعة آلاف قطعة أثرية تحت الماء في هذا الموقع بالإسكندرية تتضمن جزءاً من الحي الملكي والميناء الذي شيده الإسكندر الأكبر، وجزءاً من قصر كليوباترا، علاوة على بقايا أعمدة وتماثيل ولوحات تعود جميعها إلى العصرين البطلمي والروماني.

لوحات مسروقة



مدير المتحف يتوسط اللوحتين

عادت لوحتان من أبرز أعمال الرسام البريطاني جوزيف مالورد وليام تيرنر يعود تاريخهما إلى القرن التاسع عشر إلى مكانهما في متحف تايت البريطاني بعد أن سرقتا قبل ثماني سنوات من معرض في ألمانيا في عملية سطو جريئة. واللوحتان هما: «الظل والظلام» و«الضوء واللون» اللتان تأثر فيهما تيرنر بنظرية غوته عن الألوان.

ويعد تيرنر من أوائل الرسامين الانطباعيين، وقد حازت أعماله إعجاباً شعبياً كبيراً، إلا أنه كان رجلاً يحب العزلة، وليس له أصدقاء، وكان غالباً ما يرفض بيع لوحاته حتى انتهى به الحال إلى الاكتئاب الشديد قبل موته في ١٩ ديسمبر/كانون الأول ١٨٥١م.

وقد رسم تيرنر هاتين اللوحتين في أوائل الأربعينيات من القرن التاسع عشر في العقد الأخير من حياته الفنية، وعرضتا عام ١٨٤٣م، وهما تظهران قوة إبداعه، وتعدان من أهم أعماله.

وكان متحف تايت الذي يملك اللوحتين قد أعارهما للعرض في ألمانيا، وأمّن على كل منهما بمبلغ ١٢مليون جنيه إسترليني. وعندما سرقتا دفعت شركة التأمين المبلغ كاملاً (٢٤ مليون جنيه إسترليني) لكنها احتفظت بحق ملكيتهما في حال العثور عليهما.

وقال ساندي نايرون المدير السابق للبرامج في متحف تايت: «كانت مأساة مروعة. وهذا العمل الإجرامي كان يعني أن اللوحتين قد لا تعودان أبداً، وقد تتعرضان للتلف. لذا فقد كان هناك تصميم قوي جداً من معرض تايت، ومني أنا، وكذلك من السلطات في بريطانيا وألمانيا على إعادتهما مرة أخرى، وهو ما استغرق منا وقتاً طويلاً».

وواجه الجهود التي بذلت لاقتفاء أثرهما عدد من الانتكاسات، كتقديم معلومات مضللة، ومحاولة ابتزاز أصحاب المعرض، وتزوير لوحتين شبيهتين، وترويج أنهما أصليتان.

وقد رفض المعرض كشف الكيفية التي تمت بها استعادة هاتين اللوحتين حتى لا يؤثر ذلك في الجهود التي يقوم بها المعرض لاستعادة لوحة أخرى من أعمال الفنان الألماني كاسبر ديفيد فردريغ كانت قد سُرقت خلال هذه الفترة.

الأعمال الكاملة لنازك الملائكة



نازك الملائكة

صدرت مؤخراً عن المجلس الأعلى للثقافة في مصر الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة للشاعرة العراقية نازك الملائكة في أربعة مجلدات.

وقد ضم المجلدان الأولان دواوين نازك الملائكة الشعرية وهي «مأساة حياة» و«عاشقة الليل» و«أغنية الإنسان» و«شظايا ورماد» و«قرارة الموجة» و«شجرة القمر» و«للصلاة والثورة» و«ويغير ألوانه البحر» و«الوردة الحمراء».

وضم المجلدان الثالث والرابع أعمال نازك الملائكة النثرية مثل «قضايا الشعر المعاصر»، و«سيكولوجية الشعر»، و«الصومعة والشرفة الحمراء»، و«التجزيئية في المجتمع العربي»، و«الشمس التي وراء القمة».

وفاة الإعلامي السوري حسين راجي

غيّب الموت الأديب والإعلامي السوري حسين راجي صباح الأحد ٢٢ من شعبان الموافق ٢٧ أكتوبر/تشرين الأول الماضي

عن عمر ناهز الحادي والسبعين عاماً.


حسين راجي

وراجي واحد من أعلام الصحافة السورية وروادها، وهو من مواليد حلب عام ١٩٣١م، وفيها تلقى تعليمه حتى الشهادة الثانوية، ثم نال الإجازة في الأدب الروسي واللغة البلغارية من بلغاريا.

وعمل في حقل التربية والتعليم في مدينة حلب في الفترة من ١٩٥١ إلى ١٩٥٨م، ومدرساً في الجزائر بدءاً من عام ١٩٥٩م، وانتقل إلى وزارة الإعلام - الهيئة العامة للإذاعة والتلفاز عام ١٩٦٧م، وشغل فيها عدة وظائف منها: مدير النصوص، ورئيس تحرير مجلة «هنا دمشق». وكتب حسين راجي الشعر والدراسات الأدبية، كما ترجم عدداً من الكتب عن اللغة البلغارية.

ومن أعمال الفقيد: مذكرات شاعر جوّال: عمل شعري عام ١٩٧٢م، وترجمة لقصائد مختارة لأبرز أدباء وشعراء من بلغاريا، منهم: ليوبومير يفتسيف، وجورجي غاروف، وبيبو بنيسيف، وليليانا ستيف نوفار، فاليري بيتروف، ومسرحية «الزواج» لغوغول.

كما قام بترجمة كثير من الأعمال الأدبية الخاصة بالأطفال من الأدب البلغاري، وألّف مجموعة قصصية مشتركة مع الفنان الراحل فاتح المدرس، بالإضافة إلى الكثير من المقالات في صحيفة تشرين السورية.

مسلات فرعونية سودانية


آثار سودانية

أعلنت بعثة أثرية فرنسية سويسرية مشتركة مؤخراً اكتشاف مسلات فرعونية من الرخام تعود إلى الحقبة النوبية - السودانية. وأوضح بيان للسفارة الفرنسية أن المسلات التي «تثير اهتماماً استثنائياً» اكتشفت في موقع كرمة من قبل بعثة جامعة جنيف بقيادة شارل بونيه. والمسلات هي ست: للملوك تهارقا وتانوتامون، وآخر «فرعونين أسودي اللون»، و«سينكامانيسكن وأسبيلتا» «نحو ٦٠٠ قبل الميلاد» كانت قد جمعت في حفرة تحت معبد، ووضعت ضمن مجموعة تعود إلى ثوتموسيس الرابع «١٤٢٥-١٤٠٨ قبل الميلاد». وتشكل عاملا مهماً في تاريخ السودان القديم، وتعدّ - دون شك - من أبرز أعمال النحت في العالم.

تراث طه حسين في مجلدات


طه حسين

صدر مؤخراً عن دار الكتب والوثائق القومية المصرية المجلد الأول من تراث الأديب المصري الراحل الدكتور طه حسين، ويحوي المجلد، الذي جاء تحت عنوان «التعليم»، عدداً من المقالات التي كتبها الدكتور طه حسين خلال الفترة من ١٩٢٣م إلى ١٩٦٧م، في عدد من الصحف والمجلات المصرية، منها « من باريس العلم والثروة هنا وهناك» الذي جاء في جريدة «السياسية»، و«الجامعة المصرية ودراسة آداب اللغة العربية» في جريدة كوكب الشرق، و«ما أحوج ثقافتنا إلى التنظيم» في مجلة «المصور»، و«الأدب اللبناني بمصر»، في جريدة «الوفد المصري».

وقد تم إعداد هذا المجلد بمشاركة عدد من الباحثين منهم: حنان جمعة، وإيزيس راغب، وسامية ثابت، وقدرية إسماعيل، ونادية محمد، وملكة محمد، ونجوى عبدالرحمن، وعفاف خيري.

وستوالي دار الكتب المصرية إصدار هذه المجلدات، إذ سيصدر المجلد الثاني في هذه السلسلة من مقالات الأديب الراحل الصحفية تحت عنوان «الإسلاميات والنقد الأدبي». وقد صرح صلاح فضل رئيس مجلس إدارة دار الكتب

والوثائق المصرية أن هذا المجلد يضم كل ما كتبه طه حسين من مقالات إسلامية لم يسبق نشرها من قبل، منها: «الإسلام والغرب»، و«الإصلاح والعمران»، «حق الخطأ». كما يحتوي هذا المجلد على أشعار طه حسين، ومجموعته القصصية «مصادفة»، بالإضافة إلى عدة مقالات نقدية منها: «الأدب المستورد»، و«الأدب المكشوف»، و«أدب الثورة»، و«أحلام الأدباء»، و«حياتنا الأدبية والعقلية».

وأضاف فضل أن الاستعدادات تجري حالياً لإصدار كتابات طه حسين السياسية في أربعة مجلدات هي: «أزمة النظام السياسي المصري»، و«مصر في الأربعينيات والخمسينيات»، و«ثورة يوليو»، و«متفرقات». ويشرف على هذا المشروع المؤرخ المصري رؤوف عباس.

هاري بوتر وطائفة العنقاء


كاثلين رولينغ

سيتمكن الملايين من عشاق سلسلة «هاري بوتر» أن يحصلوا على نسخهم من الكتاب الخامس من السلسلة للكاتبة جوان كاثلين رولينغ في ٢١يونيو/حزيران المقبل، كما ذكرت دار بلومزبري اللندنية الناشرة لسلسلة روايات «هاري بوتر».

وبيع من آخر كتاب لهاري بوتر«كأس النار» نحو نصف مليون نسخة في أول يوم من صدوره في يوليو/تموز ٢٠٠٠م، وأصبح أكثر الكتب مبيعاً في أول يومين من صدوره إذ بيع منه أكثر من ١٩٢ مليون نسخة في العالم.

ويتكون الكتاب الخامس، وهو بعنوان «هاري بوتر وطائفة العنقاء»، من ٣٨ جزءاً من ٢٥٥ ألف كلمة، وهو أكبر من آخر كتاب في السلسلة، وسيطرح الكتاب الجديد للبيع في ٢١يونيو/حزيران المقبل في بريطانيا والولايات المتحدة وكندا وأستراليا باللغة الإنجليزية، وفي دول أخرى كثيرة في العالم. وما زالت الكتب الأربعة السابقة من سلسلة «هاري بوتر» على قائمة أكثر الكتب مبيعاً في العالم.

والكتب الثلاثة الأولى هي «هاري بوتر وحجر الفيلسوف»، و«هاري بوتر وغرفة الأسرار» و«هاري بوتر وسجين أزكبان».

وتحظى سلسلة مغامرات «هاري بوتر» بشعبية كبيرة في أوربا وأمريكا الشمالية لدى الأطفال والكبار في آن واحد.

ودفعت هيمنة كتب «هاري بوتر» على سوق القصة في الولايات المتحدة صحيفة «نيويورك تايمز» إلى وضع قائمة لأكثر كتب الأطفال مبيعاً.

ومن ناحية أخرى دعا عدد من أساقفة الكنيسة الأرثوذكسية في قبرص إلى منع عرض الجزء الثاني من مغامرات هاري بوتر في صالات السينما القبرصية، حاملين على النزعة الشيطانية التي تسكن بنظرهم أعمال الكاتبة جوان كاثلين رولينغ.

وعد أسقف بافوس في تصريح لصحيفة «اليثيا» أن فيلم «هاري بوتر وغرفة الأسرار» يشجع «السحر والشعوذة»، وأضاف أن هذا الفيلم حول مغامرات التلميذ الصغير في مدرسة السحر«يجعل الأطفال يعتادون الشر والشعوذة والغيب والنزعة الشيطانية ويزرع فيهم الخوف».

بابا سارتر

منحت وزارة الثقافة التونسية الروائي العراقي الشاب علي بدر جائزة «أبوالقاسم الشابي» عن روايته «بابا سارتر» التي صدرت عن دار رياض الريس في بيروت عام ٢٠٠١م. وهذه الجائزة الأدبية تمنحها تونس في مجالي الفنون والآداب، وقد خُصصت هذا العام للرواية.

ولد الروائي علي بدر في عام ١٩٦٤م، وحصل على بكالوريوس في الأدب الإنجليزي، وبكالوريوس في الأدب الفرنسي، وعمل عضواً في هيئة تحرير مجلة «الطليعة الأدبية»، وهو عضو مؤسس في ملتقى النقد الأدبي الذي أصدر مجلة «نقد»، وله عدد من الدراسات الأدبية والنقدية في المجلات والصحف العراقية والعربية، كما أصدر كتاب «رحلة إلى الشرق، رحلات الأدباء الفرنسيين إلى البلاد الإسلامية»، وأصدر ترجمة لعدد من القصائد المختارة للشاعر أبولنير جاءت بعنوان «أبولنير - قصائد مختارة» عن المشروع القومي للترجمة في القاهرة عام ٢٠٠٢م، وستصدر للروائي الشاب قريباً روايتان، الأولى: «الطريق إلى تل مطران» عن دار الريس ببيروت، والثانية: «شتاء العائلة» عن دار الشؤون الثقافية في العراق.

النابلسي، محمد أحمد/ يهود يكرهون أنفسهم، محاكم التفتيش الصهيونية بين معاداة السامية ولا سامية الأنا.. بيروت: دمشق: دار الفكر، ٣٠٠ص.



يستعرض الكتاب قائمة اليهود المتهمين بالعداء لإسرائيل من نعوم تشومسكي إلى حنة أراندت مروراً بمدريس جوكوبي والحاخام هيرتش دنورمان فنكلشاتين.

ويتطرق الكتاب إلى حركة المؤرخين الجدد فيخصّها بثلاثة فصول يشرح فيها خلفية الحركة ويعرض لأعمالها ولمواقف المثقفين العرب منها. ويخلص المؤلف إلى أن هذه الحركة مجرد محاولة لإنقاذ الصهيونية من تطرفها وتمهيداً لمرحلة علمنة الانتماء اليهودي الذي ينقذ إسرائيل من خطر نفاذ الخزان اليهودي عن هجرة ستمئة وخمسين ألف روسي إلى إسرائيل، وهم يدعون اليهودية دون أن يكونوا يهوداً.

الهويمل، حسن بن فهد / العولمة والثقافة والتعليم - تصالح أم تصادم - بريدة: الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالقصيم، ١٤٢٣هـ، ١٨٢ص.



يقول المؤلف «إن بناء الإنسان في عصر العلم والتواصل والتحدي وتعارض المصالح وصدام الحضارات أهم وأصعب من بناء الحياة، بل هو بناء الحياة والإنسان البدائي الذي تيسر له تكييف نفسه مع الطبيعة حيث لم يتناقض مع نفسه ولم يختلف مع غيره، وحين تحقق التآخي مع الطبيعة والقبول بفطريتها، بدأت محاولة تشكيل الحياة لا تشكيل الذات لتكون مستجيبة لحاجاته المتنامية. في البدء كان الهم مقتصراً على الأمن والغذاء والسكن، وحين نمت الحاجات، وتعقدت مطالب الحياة، وتفرق الأناسي في فجاج الأرض، وتغيرت أشكالهم وألوانهم ولغاتهم، وتفرقت رؤاهم وعقائدهم، وأنماط حياتهم، فكر الإنسان في التواصل أولاً، ثم في التصالح أو السيطرة ثانياً. ويلقي المؤلف الضوء على محاولات الإنسان اختصار الزمن والمسافات ،حتى تحول مع مرور الزمن الى جهاز تحكمه وتتحكم به آليات مادية.

يشتمل الكتاب على أربعة فصول رئيسة: «تعليمنا والبعد الثقافي» و«الثقافة وتحديات العولمة» و« قضايا العولمة في الفكر المعاصر» و«ثقافة التقنية وتقنية الثقافة».

فرويد، سيجموند/ التحليل النفسي للرئيس الأمريكي وودرو ولسون، ترجمة: محمد أحمد النابلسي.- بيروت: مركز الدراسات النفسية، ١٤٠ص..



يعد تحليل فرويد لشخصية الرئيس الأمريكي ولسون من النصوص الفرويدية المحدودة الانتشار. فقد تم الحجز على هذا النص حتى وفاة زوجة ولسون، ثم أحيط النص بالتكتم بعد نشره لعدة أسباب. مما جعل هذا النص معروفاً على نطاق محدود وضيق.

يرى المترجم أن التشابه بين شخصية ولسون وشخصية جورج ووكر بوش يعطي هذا النص أهمية إضافية. ويصرح بأن هذا التشابه كان دافعاً «رئيساً» للاهتمام بهذا النص الكلاسيكي الفرويدي.

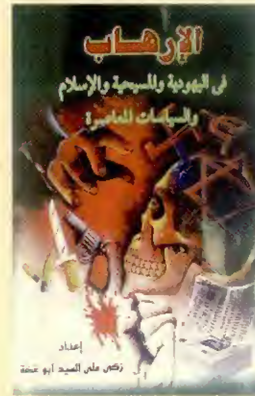
ويورد بعض نقاط التشابه بين الرئيسين في هوامش الترجمة:

- ادعاء ولسون بأن الشباب الأمريكيين المقاتلين في فرنسا عشية الحرب العالمية الأولى هم طليعة حرب صليبية. وهو ادعاء مطابق لإطلاق بوش تسمية الحرب

الصليبية على حربه الأفغانية.

- ادعاء ولسون بأن التدخل الأمريكي في الحرب العالمية الأولى لم يهدف إلى خدمة المصالح الامريكية، بل هدف إلى تحقيق العدالة المسيحية. وهو ما يطابق مصطلح العدالة المطلقة الصادر عن ووكر بوش لوصف حربه في أفغانستان.

عبر هاتين النقطتين تبين لنا هذه الترجمة أن هذه العبارات لم تكن هفوات صادرة عفوا أو حماسة عن بوش، بل هي تقليد سياسي أمريكي شائع لدى الطائفة المشيخية والمسيحية الصهيونية عامة. حيث لم يصدر عن الأوربيين، على اختلاف مذاهبهم المسيحية، مثل هذه الادعاءات التي تغلف مصالحهم السياسية والاقتصادية بحرير الدين، مما يستوقف القارىء كي يراجع جذور السلوك الأمريكي الراهن في العقل السياسي الأمريكي، وبهذا يبدو تحليل فرويد لولسون وكأنه تشريح للعقل السياسي الجمعي (المسيحي/ الصهيوني خصوصاً) في أمريكا وهذا ما حاول النابلسي توضيحه عبر تقديمه لهذه الترجمة وعبر الهوامش المذيلة لها.



أبوغضة، زكي علي السيد/ الإرهاب: في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة.- المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٣٥٩ص.

يبين هذا الكتاب أن الإرهاب ليس بفكر جديد مستحدث، ولكنه فكر قديم بدأ ببداية الحياة الإنسانية على ظهر الأرض ولن ينتهي إلا بنهايتها، ولا يركز في الإرهاب الفردي الذي يزاوله بعض الأفراد والمجموعات القليلة الشأن والعديمة الأثر والتأثير، وإنما يركز في الإرهاب العالمي الحديث الذي يذهب ضحيته عشرات ومئات الألوف من البشر بل والملايين، ومرجعه - بالأسف - تحقيق نبوءات دين، أو مصالح مختلفة لدول قوية غنية، ويرمي الكتاب - حسب رأي المؤلف - إلى إظهار حقائق: بعضها أساسه الدين والعقيدة، والآخر الفكر والسياسة، كما يهدف إلى إعلام البشر وإخبارهم في كل مكان بما يجهلونه عن حقيقة الإرهاب الديني، وبيان ارتباط الإسلام والمسلمين بالإرهاب من عدمه، وكذلك العلاقة بين المسيحية والإرهاب، ومدى ارتباطها بالفكر اليهودي قديماً وحديثاً، وأثر ذلك في السياسات العالمية.

ويتناول الكتاب هذه الموضوعات في أربعة أبواب رئيسة هي: «الإرهاب وتعريفه»، و«الإرهاب في الكتب والأديان السماوية السابقة»، و«الإرهاب في المفهوم الإسلامي»، و«الإرهاب لأسباب دينية».



العيني، محسن/خمسون عامًا في الرمال المتحركة: قصتي مع بناء الدولة الحديثة في اليمن.- القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠١م، ٣٥٤ص.

يقول المؤلف «هذه ليست قصة الحركة الوطنية اليمنية، ولا قصة الثورة والجمهورية، ولا قصة الوحدة، ولا قصة القديم والجديد في اليمن، ولا قصة العلاقات بين جنوب اليمن وشماله، ولا قصة الشباب والمشايخ والضباط، ولا قصة العلاقات اليمنية - السعودية أو المصرية، ولا قصة علاقات اليمن بدول الشرق أو الغرب أو المنظمات الدولية، ولا شأن لها بقضية الوحدة العربية، أو حرب الخليج وما أسفر عنها، إنها قصة نصف قرن من حياة مواطن في عهد الإمامة والنور، والحرب الأهلية والمصالحة، والانقلابات العسكرية والأحداث في العواصم العربية التي كانت ملتهبة. ويضيف المؤلف انها قصة مواطن عادي، وجد نفسه في قلب أحداث، ولا خيار له في خوضها، أو البعد عنها وتجنبها، مشيراً إلى أنه حاول أن يكون صادقًا.. وأن يقدم خير ما في نفسه».



التازي، عبدالهادي/ التحليق إلى البيت العتيق.- الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ١٤٤ص.(كتاب الدارة).

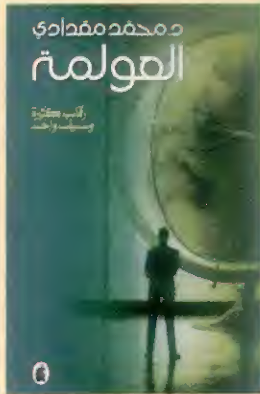
هذا هو الكتاب الأول من سلسلة دورية تعتزم دارة الملك عبدالعزيز إصدارها على هيئة كتاب ينشر كل ثلاثة أشهر، بحيث تختلف في شكله ومضمونه عن مجلة الدارة.

وتأتي هذه الرحلة المكية للدكتور عبدالهادي التازي أولى حلقات هذه السلسلة المتخصصة. وترجع أحداث هذه الرحلة إلى موسم حج سنة ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م، وقد كتبها المؤلف وهو آنذاك رئيس للقسم الثقافي بوزارة التهذيب الوطني في المملكة المغربية، وتتميز هذه الرحلة بثراء معلوماتها ، ودقة الملاحظة، وشمولية في العرض لمختلف شؤون الحياة. كما أنها حوت أحداثًا مهمة جديرة بالتوثيق، ورؤى صادقة تمس واقع تلك الحقبة من الزمن.

ويعد المؤلف من أبرز الشخصيات الثقافية بالمغرب العربي، ونال عددًا من الشهادات العلمية، ومارس الأستاذية في عدد من الكليات والمعاهد داخل المغرب وخارجه، وشارك في عدد من المؤتمرات واللقاءات الدولية، كما عين سفيراً لبلاده في كل من العراق، وليبيا، والإمارات، وإيران. صدر له أكثر من ٣٥ دراسة وتحقيقًا، أشهرها «تحقيق رحلة ابن بطوطة» من خمسة مجلدات سنة ١٤١٧هـ.

مقدادي، محمد/ العولمة: رقاب كثيرة وسيف واحد.- بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢م، ٣١٦ص.

يرى المؤلف «أن التكنولوجيا، التي لا تحتكم إلى جملة من الشروط الإنسانية وفي طليعتها شروط العدل والمساواة، والتعاون المؤسس على الاحترام المتبادل بين الشعوب والحوار البريء بين حضاراتها. ستملأ العالم رعبًا، وتلحق به من الأضرار أضعاف ما كان بمقدور أدوات القتل والدمار البدائية أن تتسبب به، ذلك أنها تفتح للعالم أبوابًا من جهنم التي بها يوعدون. فالدول النووية تمتلك عدداً من القنابل يكفي لتدمير الكرة الأرضية أربعين مرة ولنا أن نتصور كيف يمكن لجزء واحد من أربعين جزءاً أن يفتك بهذه الكرة المنكوبة بساكنيها الذي أراد لهم الله الخالق أن يعمروها بالخير والصلاح»



ويتناول المؤلف تراجع معدلات النمو الاقتصادي الحقيقية، وارتفاع معدلات البطالة وتقلص الخدمات الاجتماعية كماً وكيفًا، وانهيار بعض المؤسسات المالية والأنظمة النقدية، وتدفق القروض الأجنبية التي تثقل كاهل الدول والشعوب، وتبدد الحلم الذي راود الحالمين بعالم تسوده العدالة، ويخفت فيه أنين المرضى والجياع.

شليم، آفي/ الحائط الحديدي، تقديم :محمد عبدالمنعم، ترجمة ناصر عفيفي .- القاهرة: مؤسسة روز اليوسف، ٢٠٠١م، ٥٨١ص(الكتاب الذهبي).



يسلط هذا الكتاب الضوء على مؤرخي الحركة الجديدة، وهم مؤرخون يقومون بكشف الكثير من الحقائق حول الأكاذيب والأساطير الإسرائيلية، وخاصة أنها تجاوزت ما يمكن أن نقوله نحن العرب فهي شهادة تخرج من مؤرخين إسرائيليين أيقنوا فساد كل الأساطير والأفكار التي ابتدعها الرواد الأوائل. وترجع أهمية تسليط الأضواء

على مـثل هذه الـكتب والأفكار ــ حسب رأي المؤلف ــ ليست فقط من أجل أن تعرف هذه الحقائق، ولكن في المقام الأول لكي تكون هذه الأفكار نواة لجهود إعلامي ودبلوماسي متقن من الجانب العربي يقدم فيه للرأي العام العالمي الصورةالحقيقية عن طبيعة الصراع العربي الإسرائيلي الذي مازال دائراً حتى يومنا هذا بصورة مختلفة، والذي أخفقنا طوال أكثر من نصف قرن من الزمان في تقديم صورة واقعية عنه تستقطب الرأي العام العالمي إلى جانب الحق العربي،وتنسف زيف الأساطير والادعاءت الإسرائيلية.

و يشير المؤلف إلى أن حركة المؤرخين الجدد تعد من أخطر الحركات الثقافية في تاريخ الدولة العبرية إلى الدرجة التي يضعها بعض الناس في الترتيب التالي مباشرة بعد حركة «الهسكلاة» التنويرية التي بدأت أواخر القرن التاسع عشر، وضمت بين جنباتها فكرة قيام دولة إسرائيل، ويأتي هذا الترتيب على الرغم من التباين الشديد بين الحركتين، فالأولى تعد من أبرز الحركات الصهيونية والثقافية، أما الحركة الثانية «المؤرخون الجدد» فهي تعمل على تكذيب فكرة الصهيونية بصورة أو بأخرى.



السعدون ، حميد حمد/ فوضوية النظام العالمي الجديد وآثاره على النظام الإقليمي العربي.- عمان: دار الطليعة العربية للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م، ١٨٩ص.

بعد انهيار الاتحاد السوفييتي وسقوط كتلته السياسية والاجتماعية، روجت الولايات المتحدة الأمريكية لمفهوم (النظام العالمي الجديد) فتعددت التنظيرات لهذا المفهوم، وقد استندت المنظومة الفكرية لهذا النظام إلى مبدأين أساسيين الأول: امتلاك أقصى حقائق القوة والسلاح وأمضاها أو المعرفة أو الثروة أو العلوم. والثاني: إطاعة المجتمع الدولي لما يريده هذا النظام وقواه المتنفذة.

ويتساءل المؤلف: ترى هل يحترم هذا النظام إنسانية البشر وخياراتهم ؟ وهل حقًا أن هذا النظام وليد مخاض المجتمع الدولي عبر مسيرته الطويلة؟ هل حقًا أن كل تطبيقاته ومفهوماته جديدة؟ وكلها لمصلحة الإنسان؟ أم أن كل ذلك مجرد لغو لا يراد به غير تمرير حالة الهيمنة والتسلط التي انفردت بها الولايات المتحدة الأمريكية في عالم أحادي القطبية؟ وإذا كان المجتمع الدولي بحاجة حقيقية إلى نظام عالمي جديد، فهل تصدى هذا النظام لمعالجة الآثار الحقيقية لكل مفردات العنف والقسوة التي شهدها العالم، والمتلخصة أساساً بالفقر، وقمع الحريات، وإشاعة النموذج الديكتاتوري؟

يحاول الكتاب الإجابة عن كل هذه الأسئلة من خلال التعريف بحقيقة ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، ودوافع نشأته، وظروف التشكل، ومكامن قوته وضعفه، ثم انعكاسات هذا النظام على الوضع العربي.



المطوع، إقبال عبدالعزيز / مشروع قانون الوقف الكويتي في إطار استثمار وتنمية الموارد الوقفية، إشراف.- الكويت: الأمانة العامة للأوقاف، ٢٠٠١م، ٧٤٠ص.

اختارت المؤلفة موضوع البحث لدواع كثيرة أهمها : أن للوقف مكانة كبيرة في الدولة الإسلامية، فالدول الكبرى اتخذت من هذا النظام منهجًا لها في الحياة كإنجلترا، وفرنسا، وأمريكا، فمثلاً جامعة أكسفورد في إنجلترا أنشئت من أموال وقفية. وأنه عندما وضع مشروع قانون الوقف الكويتي لم يكتب حول هذا الموضوع ومضمونه بشكل موسع. وأن موضوع الوقف يتعرض لبعض الانتقادات، منها: أن الوقف يمنع التصرف في الأموال، ويخرج الثروة من التعامل، ويؤدي إلى الركود الاقتصادي، وقد حاولت المؤلفة الرد

على هذه الأقوال والانتقادات.

وقد واجهت المؤلفة ـ كما تقول ـ صعوبات في إعداد هذه الرسالة فهي كثيرة المراجع، مما اضطرها إلى البحث عن أمهات الكتب، فقامت بزيارة مصر، والسعودية، وقامت بمراسلات للاردن وبغداد، واليمن، ولبنان، إضافة إلى مراسلة البنوك الإسلامية، وبعد عام من البحث جمعت قرابة مئة مؤلف عن الأوقاف.

وقد قسمت المؤلفة البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب رئيسة وخاتمة: فالباب الأول يشتمل على دراسة وتوثيق لمشروع قانون الوقف الكويتي، والباب الثاني: عن استثمار الأموال من المنطلق الإسلامي، والباب الثالث: عن دور أموال الأوقاف في تنمية المجتمع.

وأوصت الباحثة في نهاية بحثها إلى ضرورة المحافظة على الأوقاف بنوعيها الأهلي والخيري، ووضع العقوبات الرادعة للمتلاعبين بأموال الوقف، وضرورة إنشاء مركز ثقافي يشتمل على مؤلفات الوقف القديمة والحديثة، وضرورة تسليط الإعلام على دور الواقفين، ووضع برامج على الإنترنت توضح أهمية الوقف في بناء المجتمع.



انتفاضة الأقصى (٢٠٠٠) قصص دامية وحكايات الشهداء.ـ عمان: دار الجيل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ٢٠٠١م، ٢٨٥ص.

يتضمن هذا الكتاب أكثر من ٢٠٠ قصة عن الانتفاضة معظمها تتحدث عن شهداء رووا بدمائهم الطاهرة أرض فلسطين من أجل أن تبقى عربية طاهرة من كل دنس أو رجس. كما يشتمل الكتاب على قائمة مفصلة بأسماء الشهداء مع حالتهم الاجتماعية، وحكايات استشهادهم البطولية، إضافة إلى صور الغالبية العظمى ممن وفرت الظروف صوراً لهم.

فهناك قصص مؤثرة ومنها: قصة محمد الدرة، والفتى الذي قتل وهو يصلي، والذي أعدم بعد اعتقاله، وقصة الضرير المسن الذي ألقى عليه جيش الاحتلال قنبلة صوتية، وشهادات رجال الإسعاف على المذابح المروعة التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني المناضل، وغيرها من القصص التي توضح الجرائم الصهيونية في فلسطين، وتوثقها، وهي جرائم تقشعر لها الأبدان لفرط بشاعتها.



الطعيمات، هاني سليمان / حقوق الإنسان وحرياته الاساسية.ـ عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م، ٤١٦ص.

يعد موضوع حقوق الإنسان من أهم الموضوعات ذات الأولوية على الصعيدين المحلي والدولي، وقد عقدت بشأنه مئات المؤتمرات، ووقعت عشرات المعاهدات، وقد شغل هذا الموضوع أذهان رجال الفكر والقانون. ولا يزالون منشغلين به. فانبرت أقلامهم في سبيل توضيحه أو المطالبة به.

ولأهميته أصبح من المقررات الدراسية في كثير من الجامعات، وخاصة في الكليات ذات العلاقة، ككليات الشريعة، والقانون، والعلوم السياسية، ويقول المؤلف لا نجانب الصواب إذا قلنا: إن تدريس هذه الحقوق، وتحليل مضمونها، وتبيان حدودها، وعرض موضوعها القانوني أصبح واجباً ملقى على عاتق الجامعات، وذلك من أجل تعميق فكرة حقوق الإنسان وترسيخها في وجدان الطلبة، وتعميق الوعي لديهم بأن هذه الحقوق هي مبادئ عالمية جاء النص عليها في الكثير من الوثائق والاتفاقات الدولية، ومن ثم يجب الدفاع عنها بوصفها من المكاسب الحضارية. مع أن مناهج الدراسة في عدد من الكليات لا تخلو من الإشارة إلى الكثير من موضوعات حقوق الإنسان، إلا أن تخصيص مادة مستقلة لتدريس تلك الحقوق أصبح ضرورة ملحة على أن تكون هذه المادة ذات نظرة

شمولية عامة بحيث تنأى عن التكرار لتتحقق لها الذاتية العلمية الخاصة.

يتضمن هذا الكتاب ثلاثة أبواب رئيسة: الأول تعريفاً بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية وتطورها، والأساس الفكري الذي تقوم عليه، والباب الثاني: دراسة أهم حقوق الإنسان وحرياته الأساسية. والباب الثالث: ضمانات حقوق الإنسان على المستوى الدولي والاقليمي، ودور الوكالات الدولية المتخصصة والمنظمات غير الحكومية في حماية حقوق الإنسان.



القاسمي، علي / مرافئ على الشاطئ الآخر: روائع القصص الأمريكية المعاصرة.ـ الدار البيضاء: أفريقيا الشرق،٢٠٠٣م، ٢٥٠ص.

يشتمل هذا الكتاب على اثنتين وعشرين قصة قصيرة اختارها وترجمها وقدمها المؤلف. وتمثل هذه القصص مختلف الاتجاهات الأدبية، والأساليب السردية في أمريكا، من الأدب الواقعي إلى أدب ما بعد الحداثة، كما تتناول أبرز مشكلات المجتمع الأمريكي، كالتمييز العنصري، والعنف والجريمة المنظَّمة، واختلال القيم الخلقية، والمخلَّفات النفسية للحرب الفيتنامية، ومرض نقص المناعة، وإهمال كبار السن ومعاناتهم.

وقد اختار القاسمي الذي تلقى تعليمه العالي في الولايات المتحدة الأمريكية ودرّس الترجمة في عدد من الجامعات العربية، هذه القصص القصيرة من أعمال عمالقة الأدب الأمريكي المعاصر، مثل شيروود أندرسون، وجون شيفر، وإرنست همنغواي، وجوان كارول أوتس، وجون أبدايك،وتيمم أوبرين، ودونالد بارتلم، وسوزان سونتاغ، وتوبياز وولف، وغيرهم.

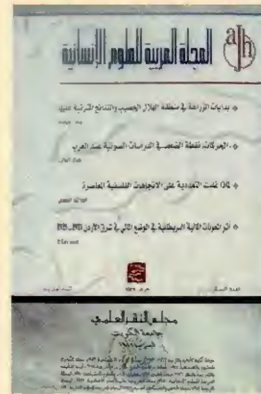
وقد كتب المؤلف الذي سبق له أن ترجم عدداً من الأعمال الأدبية العالمية، مثل: «الوليمة المتنقله» لهمنغواي، مقدمة للكتاب الجديد تناول فيها القصة الأمريكية المعاصرة بالدرس والتحليل، كما تضمّن الكتاب نبذة مختصرة من حياة كل واحد من أصحاب القصص المترجمة، وأعماله الرئيسة، وتوجهاته الأدبية. ولاحظ الكاتب في مقدمته أن القصة القصيرة في أمريكا تحولت تدريجياً من وصف الشخوص والحوادث إلى تحليل المشاعر والانفعالات، ومن اللغة النثرية المنمّقة إلى لغة سردية سلسة ذات حمولة رمزية وشاعرية.



الكمالي، شفيق عبدالجبار / الشعر عند البدو. (ط٢)، تقديم: عبدالرحمن منيف.ـ بيروت: كتب، ٢٠٠٢م، ٢٩٢ص.

يشتمل هذا الكتاب على سبعة أبواب رئيسة تبدأ بالحديث عن البدو وأقسامهم، مثل: البدو الرحل، والبدو نصف الرحل، والعشائر المستقرة، ثم يورد المؤلف أسماء بعض القبائل في الجزيرة العربية، ويتطرق إلى التكوين الاجتماعي عند البدو بدءاً بالأسرة والعائلة وطبقات الأنساب، والرئاسة (المشيخة) عند البدو، ثم يتناول المؤلف حياتهم الدينية والعقلية، وحالاتهم الاجتماعية من خلال شعرهم، ويتناول في الباب الثاني الشعر عند البدو من حيث نشأته وظهوره، ثم يتطرق في الباب الثالث إلى أنواعه، مثل: القصيد، والحداء، والسامري، والهجيني، وأنواع أخرى، ويذكر في الباب الرابع خصائص الشعر البدوي من حيث لهجته، وخصائص القصيدة والأوزان والقوافي. ويعرض في الباب الخامس لأغراض الشعر البدوي، مثل: الغزل، والمدح، والرثاء، والفخر، والحماسة، والهجاء، والوصف. ويوازن المؤلف في الباب السادس بين الشعرين البدوي والجاهلي، وفي الباب الآخير يورد نماذج من الشعر البدوي، لأشعر شعرائهم، وتراجم موجزة لهم مع شرح قصائدهم.

المجلة العربية للعلوم الإنسانية (س٢٠،ع٨٠، خريف ٢٠٠٢م)



مجلة فصلية محكمة تقدم البحوث الأصيلة، والدراسات الميدانية في شتى فروع العلوم الإنسانية، وتصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت. حفل هذا العدد من المجلة بعدد من البحوث والدراسات ومراجعات الكتب باللغتين العربية والانجليزية، ففي باب البحوث والدراسات نقرأ البحوث الآتية: «دراسة إنثربولوجية عن الإنسان والزراعة في الهلال الخصيب والنتائج المترتبة عليها»، للدكتور سعد بن عبدالله الصويان، و«الحركات: نقطة الضعف في الدراسات الصوتية عند العرب» للدكتور فوزي حسن الشايب، و«لماذا غلبت التعددية على الاتجاهات الفلسفية المعاصرة؟» للدكتور عبدالله محمد الجسمي، و«أثر المعونات المالية البريطانية في الوضع المالي في شرق الاردن ١٩٢١ـ ١٩٢٥م» للدكتور محمد أحمد صلاح.

وفي باب مراجعات وعرض الكتب مناقشة مهمة لكتاب المستشرق برنادر لويس شارك فيها المفكر إدوارد سعيد، وبيتر سيلكليت، وقدم أحمد البغدادي قراءة في كتاب «الإسلام والسياسة: دور الحركة الإسلامية في صوغ المجال السياسي» للدكتور عبدالاله بلقزيز، وراجع صفوت علي نورالدين كتاب «الفخار والخزف: دراسة تاريخية آثارية» للدكتور عبدالرزاق القيسي، وراجع محمد الشريف كتاب «التواصل الحضاري بين عمان وبلاد المغرب» للدكتور إبراهيم القادري بوتشيش.

وختم العدد بتقرير عن اللقاء الأول لرؤساء أقسام الإعلام بجامعات دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية (الكويت من ٢٤ـ ٢٦مارس/ ذار ٢٠٠٢م) قدمه محمد المنصف الشنوفي.

العنوان:

ص.ب:٢٦٥٨٥ ـ الكويت: الرمز البريدي: ١٣١٢٦ ـ هاتف:٤٨١٧٦٨٩ ـ ٤٨١٥٤٥٣
ناسوخ:٤٨١٢٥١٤

أحوال المعرفة (س٧،ع٢٧، ـ شوال ١٤٢٣ـ ديسمبر ٢٠٠٢م)



فصلية ثقافية جامعة تصدر عن مكتبة الملك عبدالعزيز العامة.

تناول هذا العدد كثيراً من الموضوعات الثقافية والعلمية، وكذلك الأنشطة الثقافية التي قدمتها المكتبة خلال الموسم الثقافي الحالي. كما يحتوي العدد على تقرير يشير إلى بعض الخدمات والأنشطة التي تستعد المكتبة لتدشينها خلال الفترة القادمة . ومن أبرز تلك الأنشطة كتاب وثائقي جديد تحت مسمى «الموحد» وهو كتاب مخطوط يعتمد بشكل كبير على الصورة في رصد مسيرة الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ في مختلف مراحل كفاحه من أجل تأسيس المملكة العربية السعودية، وقد تناولته المجلة تحت مسمى كتاب العدد. كما اشتمل العدد على الجزء الأول من دراسة قدمها الباحث محمد

محمود التوبة تحت عنوان «المعرفة: اقتصادياتها وإنتاجيتها»، وهي ترجمة لفصل من كتاب «المجتمع ما بعد الرأسمالي» لمؤلفه «دركر»، وقد سجل في هذا الفصل كل الإرهاصات والاستبصارات الخاصة بالطبيعة الجديدة للمعرفة.

ومن الموضوعات التي ضمها العدد: «مجتمع المعلومات والعولمة وتحديات المستقبل» لحمد الحافظ، و«كتب التراجم والطبقات في الأندلس» للدكتور خالد عبدالكريم البكر، وتناول الدكتور سعيد بن الأحرش من المملكة المغربية أخبار المخطوطات العربية في مكتبات غرناطة، أما الأستاذ سعيد أبو ملحة رئيس التحرير فتحدث في زاويته «صهيل اليراع»، عن واقع الإعلام المرئي وحاجة القنوات الدينية إلى دعم رجال الأعمال لكونها منابر مهمة في توجيه الجيل والمحافظة على عقيدته الإسلامية الصافية، بالإضافة إلى بعض الأبواب الثابتة والأخبار الثقافية المتنوعة.

العنوان: ص.ب:٨٦٤٨٦ الرياض ١١٦٢٢
هاتف:٤٩١١٣٠٠
ناسوخ:٤٩١١٩٤٩

الثقافة النفسية المتخصصة (مج١٣،ع٥٢ ـ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٢م)



مجلة متخصصة تعنى بالثقافة النفسية، وتصدر عن مركز الدراسات النفسية والنفسية ـ الجسدية في لبنان.

احتوى هذا العدد على عدد من الدراسات والمقالات، منها: «الديمقراطية بين شارون والانتفاضة» للدكتور عبدالعليم محمد، و«جولة على علم النفس حول العالم»، و«نقاط التحول في حياتنا ـ عندما تأخذ الحياة اتجاهاً جديداً» للباحث الألماني هايكو ايرنست، ترجمها الدكتور سامر رضوان.

وخصص ملف هذا العدد لموضوع «المعلوماتية والعلوم النفسية»، وتضمن مقابلة مع رائد المعلوماتية العربي الدكتور نبيل علي، قدمها الدكتور جمال التركي، كما تضمن الملف عرضاً للمعجم المعلوماتي النفسي العربي بقلم الدكتور جمال التركي، ثم مقالة حول البرمجية العربية لمقياس التوافق النفسي بقلم الدكتورنبيل سفيان، ومقالة «الإنترنت والطبيب النفسي »، للدكتور سفيان الزريبي، كما تضمنت مكتبة العدد كتاب «الإسقاط في دراسة الشخصية» الصادر عن مركز الدراسات النفسية، ومجلة «النفس المطمئنة»، لمجموعة باحثين، وكتاب «العودة إلى الانحراف في ضوء العوامل الاجتماعية»، للدكتور صالح بن محمد العمري.

العنوان:
ص.ب: ٣٠٦٢ ـ طرابلس ـ لبنان ـ شارع عزمي ـ بناية قاديشا ـ هاتف: ٤٤١٨٠٥ ـ ٦ـ٩٦١
ناسوخ: ٤٣٨٩٢٥ ـ ٦ـ٩٦١

الثقافة العالمية (س٢١،ع١١٥ـ نوفمبرـ ديسمبر ٢٠٠٢م)

مجلة ثقافية تترجم الجديد في الثقافة العالمية، وتصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت.

جاء في هذا العدد ترجمات لعدد من المقالات الأجنبية، فقد ترجم محمد علي ثابت مقالاً



بعنوان «تأملات في أبعاد القوة الأمريكية الراهنة» لستيفن ج. بروكس، وترجم تراجي فتحي مقال «العفة والجمال» بقلم ماري أونيل، وترجم د. محمد السيد عبدالغني مقال «العولمة وأعمال الشغب المحلي» بقلم آخافيير أوييرو، وترجم محمد يونس مقال «التطرف الوطني في اليابان» بقلم ستيفن س. لارج.

كما ضم العدد عدداً من المقالات: «الموهبة، والفضيلة، والأمة» بقلم جوان جادج وترجمة د. شهرت العالم، ومقال «التعامل مع الأدب العالمي» بقلم كروستوفر برندرغاست، وترجمة د. سميح أبو فارس، وتسأل إدوارد ش. جو في مقال بعنوان «من هو السيد ديمقراطية ؟» ترجمة أحمد محمود.

وختم العدد بمقال «الموضعيون وفن العمارة» بقلم بيتر ولن، وترجمة محمد الأسعد.

العنوان:

ص.ب: ٢٣٩٩٦ ـ الصفاة ـ الرمز البريدي: ١٣١٠٠ دولة الكويت.

هاتف: ٢٤٣١٨٦٩/ ٢٤٢١٥٧٣

ناسوخ: ٢٤٣١٨٦٠

الدراسات الإسلامية

(مج٣٧، ع٤ ـ الشتاء، أكتوبر ـ ديسمبر ٢٠٠٢م)

فصلية محكمة تبحث في الدين والثقافة والتاريخ والآداب، وتصدر عن مجمع البحوث الإسلامية في الجامعة الإسلامية العالمية في باكستان.



تنوعت موضوعات هذا العدد، وبدأت بمقال لأحمد ضياء الدين حسين عن العقل في فكر الحارث المحاسبي، وكتب عبد الحفيظ رواس قلعة جي عن التعزير بإتلاف المال في الفقه الإسلامي، وكتب إسماعيل حسانين أحمد عن غرس القيم الإسلامية في نفوس النشء، وللسيد محمد يوسف المعداوي مقال عن التنظيم الإداري للزكاة في الدولة الإسلامية، وعرض حسين علي حسين الجبوري الوسائل التعليمية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، واستعرض عطاء الله صديقي الحوار مع الأديان الأخرى نقاشات ومداولات البروتستانتية والكاثوليكية الرومانية حول الموضوع في القرن العشرين، وقدم عمر يوسف عكاشة دراسة عن قواعد التعبير عن أوجه الزمن الماضي في اللغة العربية: محاولة توصيف منهجي مقدم لمتعلمي العربية من الناطقين بغيرها، وبين روسني بن سامة أثر الإسلام في الحروف واللغة في الأدب الملايوي، واستعرض محمد شفقت الله الألفاظ القرآنية الدالة على القرابات نسباً وصهراً ورضاعة وما إليها، واختتم العدد ببحث عن طبيعة عمل المصرف الإسلامي قدمه الدكتور سلطان بن خالد بن حثلين.

العنوان:

مجمع البحوث الإسلامية ـ

ص.ب: ١٠٣٥

الجامعة الإسلامية العالمية

ـ إسلام أباد ـ باكستان

العواصم الثقافية: واقع اليوم ... خيار المستقبل

عبدالغني عبدالهادي
عمان - الأردن

العواصم الثقافية عرس ثقافي حصل على شهادة الميلاد من تحت الخيمة الدولية، وانطلاقاً من المؤتمر الخاص لليونسكو في المكسيك في أغسطس/ آب عام ١٩٨٢م، لتعريف الثقافة تعريفاً محموداً مؤدياً إلى الغرض المنشود مضمونه: «أن الثقافة بمعناها الواسع، يمكن أن ينظر إليها على أنها جماع السمات الروحية والمادية والفكرية التي تميز مجتمعاً ما بعينها، أو فئة اجتماعية بعينها وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان، ونُظُم القيم والتقاليد والعادات».

وبمعناها الإجرائي: « هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته، وهي التي تجعل منه كائناً يتميز بالعقلانية والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي، وعن طريقها - أي الثقافة - نهتدي للقيم ونمارس الاختيار، وهي وسيلة الإنسان للتعبير عن نفسه، والتعرف إلى ذاته كمشروع غير مكتمل، وإعادة النظر في إنجازاته والبحث عن مدلولات جديدة وإبداع أعمال يتفوّق بها على نفسه».

ومنه يتبين لنا أن الثقافة غير التعليم، فالأخير يشكل الوسيلة والطريق المعبدة، بينما الأول هو الغاية المنشودة الموصلة إلى مرتبة تعلو كل المراتب التي يوصلنا التعليم إليها مهما بلغ في مردوده الأمين! إنها عزيزتنا وسفيرتنا الأمينة، التي توصلنا إلى ما نبغي، فتحقق لنا إنسانيتنا الطموح المتوثبة على أشواك واخزة مدمية !!.

خصوصية

ومن التعريف الدولي المتفق عليه، يمكننا الانطلاق (لإحياء الثقافة كمفهوم فحسب! بل لتفعيل حيثياتها المطلوبة والواجبة والملحّة كإطار مميّز، أجل إنّها الخصوصية والسّمة، وهما مطلب ملح، في مواجهة أعاصير العولمة وبراكينها التي تهب، وتضرب، في الزمان والمكان دون رحمة أو هوادة!.

فلكل أمة خصوصيتها التي لا يجرفها تيار العولمة، ومَوَجُها الطاغي، وهو ما بدأ يحدث فعلاً اليوم، يذكر أن وزير الثقافة الفرنسي جاك لانج، ممثل بلاده في ذلك الاجتماع للمؤتمر المنوه عنه آنفاً، حذّر من الغزو الثقافي الأمريكي الذي يجتاح العالم ممثلاً في موسيقى الجاز، والراب، وأفلام العنف، ومطاعم الوجبات السريعة، كالماكدونالدز، والكنتاكي، والبيتزا، كما طالبت وزيرة الثقافة اليونانية الممثلة المشهورة ميلينا ميركوري بريطانيا بإرجاع فسيفساء أحد المعابد الإغريقية التي سبق لبريطانيا أن سرقتها من اليونان؛ لأن آثار أي بلد تشكل جزءاً من ثقافته، وهي التي تسهم في تشكيل خصوصيّته، وهو ما حدا بوزير الثقافة المصري إلى مطالبة بريطانيا بإرجاع أنف أبي الهول الموجود في المتحف البريطاني !!

إنّ العالم اليوم أصبح يحارب سرقة الآثار تماماً، كما يحارب الإرهاب، وحسبما قضت الاتفاقيات الدولية، على الدول إعادة الآثار المسروقة فور العثور عليها والتأكد منها!.

وعودة بنا للتعريف المتفق عليه دوليًا، فالمطلوب إذن هو إحياء أو المحافظة على السمات الروحية والمادية والفكرية التي تميز مجتمعنا، وأولى سماتنا المميزة لنا بالطبع الإيمان والكرم والرعاية للضيف، وهذه من سمات ديننا الحنيف ونهجنا الفطري السليم والتي نباهي بها ونفخر أمام أنفسنا وأمام الآخرين على السواء. إن مما دفعني اليوم إلى تقليب صفحات الموضوع الثقافي هو - بلا شك - هبوب رياح خماسينية العولمة على وجودنا الفكرى والمادي والخلقي في محاولة لتقزيمنا حضارياً وقيمياً ومن ثم اقتلاعنا من تربتنا وتسفيتنا برياح مسلحة برمال غرانيتية صمّاء تتشظى كلما حلا لها وطاب.

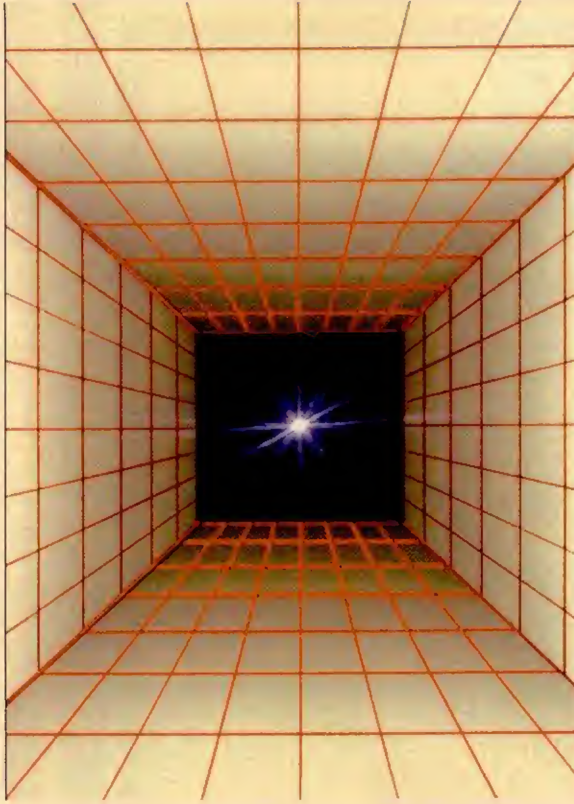
أهمية المبادرة

إن العقد الحالي المرسّخ لأعراس الثقافة العربية في عواصمها هو فرصة مغرية لتلك العواصم للأخذ بزمام المبادرة قُدُمًا في سبيل ترسيخ الوعي الثقافي، والارتقاء بمستوى إنسانية إنساننا العربي المغلوب على أمره، بعيدًا عن المؤثرات والمكايد الدولية المتربصة.

ولنا في برنامج النشاط الثقافي الأخير، والذي أحيته العاصمة السعودية بوصفها عاصمة ثقافية عالمية للعام ٢٠٠٠م، ومن بعدها الكويت (٢٠٠١م)، وعمان (٢٠٠٢)، ثم الرباط العاصمة الثقافية الحالية خير مثالٍ يحتذى «إذ تضافرت الخبرات من برامج العواصم الثقافية الشقيقة السابقة القاهرة ٩٦، تونس٩٧، الشارقة ٩٨، بيروت ٩٩».

ويقوم البرنامج الثقافي المشترك لهذه العواصم بإيجاز على:

- إحياء البنية الثقافية التحتية.
- المشروعات الثقافية - الآثار والمتاحف.
- الأنشطة الثقافية: كالمهرجانات المختلفة المحلية والعربية الشقيقة.



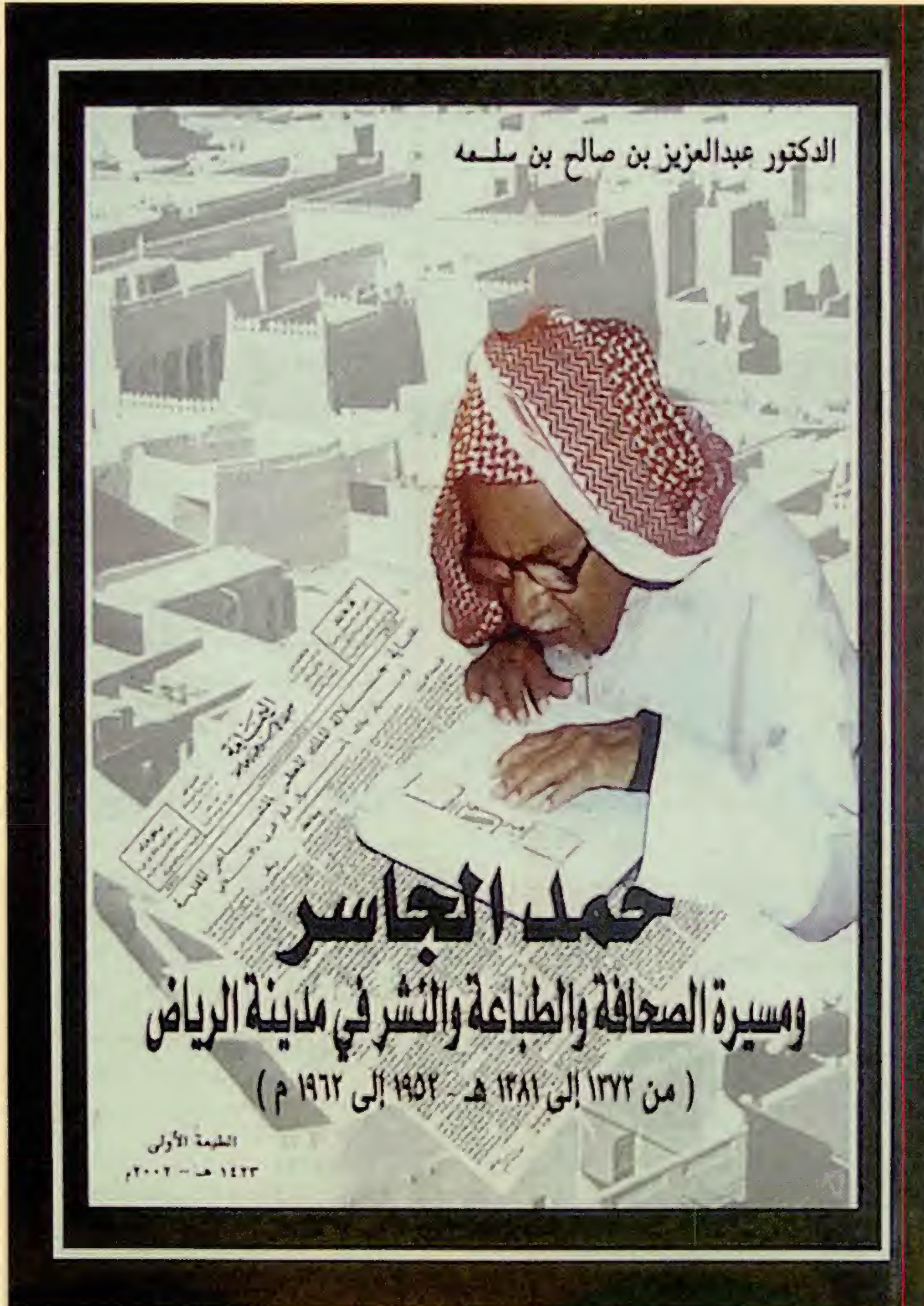
- الأنشطة الأهلية المؤسساتية.
- أنشطة القطاع الخاص.

ويتكفل هذا البرنامج بكامل فقراته المتنوعة بتشكيل المشهد الثقافي، الذي يبرز الشخصية العربية لمدننا ذات الموروث الحضاري العريق، المشهود له بين المجموعة الحضارية الدولية بسمته الخاص، الضارب الجذور الذي يجمع بين الأصالة والمعاصرة جنبًا إلى جانب ويسعى هذا البرنامج - كذلك - إلى تنمية ثقافية تؤهل كل دولة على حدة لدخول بوابة القرن الحادي والعشرين، ببناء حضاري شامخ وصرح ثقافيّ متميّز ذي قاعدةٍ صلبةٍ لا تؤثر فيها المعوقات!.

الهوامش

- هناك اليوم ما ينوف على المئة والخمسين تعريفًا للثقافة، بعضها جامع شامل، وبعضها الآخر محدود.
- وانظر مجلة العربي ٢٨٨ نوفمبر ١٩٨٢م، حديث الشهر د. محمد الرميحي.

صدر حديثاً



حمد الجاسر ومسيرة الصحافة والطباعة والنشر في مدينة الرياض

(من ١٣٧٢ إلى ١٣٨١ هـ. ١٩٥٢ إلى ١٩٦٢ م)

تأليف د. عبد العزيز بن صالح بن سلمه